أمريكا من الداخل

بمنظار سيد قطب

الدكتور
صلاح عبد الفتاح الخالدي

دار المنارة
للنشر والتوزيع
جدة - السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار المنارة
للنشر والتوزيع
جدة - السعودية
هاتف: ٦٦٠٣٢٣٨ - ٦٦٠٣٦٥٢ - تلكس: ٤٠٣٠٦٧ -
ص.ب: ٢١٤٣١/١٢٥٠

أمريكا من الداخل

بمنظار سيد قطب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعـد:

فإن لأمريكا صولة وجولة في مختلف بقاع العالم ـ ومنه عالمنا العربي والإسلامي ـ في هذا الوقت، مما يصحّ أن تسمَّى هذه الفترة من التاريخ بفترة «الهيمنة الأمريكية» على البشرية... وإن أمريكا قد ورثت عن الدول الغربية الاستعمارية استعمارها وسلطانها على البلدان التي كانت خاضعة لسيطرة تلك الدول ـ إلا ما خضع للاستعمار الروسي فيها ـ بل إن الدول الغربية الاستعمارية ذات التاريخ الاستعماري ـ إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وهولاندة وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا ـ أصبحت خاضعة لأمريكا، دائرة في فلكها متمتعة بحمايتها.. إن أمريكا بدأت تظهر بوجهها الاستعماري الكالح في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي حطّمت الدول الأوروبية المستعمرة، وجعلت شمسها تغرب عن مستعمراتها، فاستلمت أمريكا الراية الاستعمارية الجاهلية الدنسة، وأمعنت في استعمارها وهيمنتها وسلطانها على البلدان الخاضعة لها، على الطريقة الأمريكية البدائية، بصلفها وعنجهتها وغرورها وانتفاشها...

أما روسيا التي تقابل أمريكا في استعمارها وجاهليتها وصلفها وقوتها وهيمنتها فإنها ليست أقل منها في الروح الاستعمارية، ولكنها أقل منها في الحركة والخطط والمؤامرات والدسائس وإخضاع الأقطار الأخرى.. فهي متّصفة بصفات الدب الروسي البطيء العاجز...

وخضع عالمنا العربي والإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية للنفوذ الأمريكي، واكتَوَتْ شعوبه بالصلف الأمريكي، وذاقت الانتهازية الأمريكية، وطبقت أمريكا على هذا العالم ما تريد من مناهج ونظم، ومبادىء وقيم، وثقافات وفنون، وأخلاق وسلوك، ومؤامرات ودسائس، وحروب وأحداث...

وتعرّف كثيرون من أفراد هذا العالم ـ العربي والإسلامي ـ على النموذج الأمريكي، ووقفوا على سمات «أمريكا» وأبصر «المبصرون» من هؤلاء أمريكا على حقيقتها، وعرفوا حقيقة مبادئها وحضارتها ونظامها ومناهجها وعلومها ومعارفها، ومن ثم عرفوا كيف يقيمونها وكيف يزنونها، وكيف ينظرون إليها... وأخيراً عرفوا رصيدها من المبادىء والقيم، والأخلاق والمُثُل، وعرفوا حقيقة رسالتها، وخلفية أهدافها ورايتها ودعايتها، وعرفوا الكثير من دسائسها ومؤامراتها وأحابيلها، ومكرها وكيدها وانتهازيتها... ولذلك راحوا يُبَصِّرون الأمة الإسلامية بما يجري، ويعرِّفونها على حقيقة أمريكا ودورها في المنطقة، ويحذرونها من الخطر الأمريكي الماحق المدمر، ويبيّنون لها عواقب الاستسلام والخضوع لأمريكا، والثمار التي ستجنيها من ذلك. راحوا يبيّنون للأمة أمريكا وحضارتها ونظامها وقوتها، ويعرضونها لها على حقيقتها، وعلى ضآلتها، وعلى قزامتها، وعلى انتفاشها، وعلى غرورها، وعلى زخرفتها...

وفي الحقيقة نقول: إن عداء أمريكا للإسلام والمسلمين كبير، وإن أمريكا قد ورثت من الشعوب والدول الأخرى حقدها على الإسلام والمسلمين، وعداءها وصليبيتها ومكرها وكيدها ـ وهذا كله كبير ـ ثم أضافت إلى ذلك الإرث البغيض ما اتّصفت به الشخصية الأمريكية من بدائية وعناد

وغرور وصلف، وادّعاء وانتفاش، فجاء عداؤها لهذه الأمة ومكرها بها وكيدها لها كبير ﴿ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

ولمّا كنا قد أبصرنا كثيراً من هذه الأمور بعينين إسلاميتين، وقفنا على حقيقة الدور الأمريكي، وعرفنا قيمة أمريكا ووزنها بالميزان الإسلامي ـ ولله الحمد ـ فقد ازددنا قناعة وثقة ويقيناً بالإسلام، وازددنا استعلاء ـ بالإيمان ـ على المظاهر الأمريكية الخادعة ـ ولله الحمد على توفيقه وفضله وتثبيته، ونسأل الله المزيد من ذلك والثبات عليه ـ.

ولمّا كنا نطّلع على آثار سيد قطب المختلفة، من مقالات ودراسات وقصائد وكتب، ـ أثناء إعدادنا رسالتي الماجستير والدكتوراة ـ فقد وقفنا على مقالات لسيد قطب بديعة، عن أمريكا وحقيقتها وقيمها ورسالتها وخطرها، كما وقفنا على إشارات عن أمريكا ورسالتها وخطرها في مقالات ورسائل له، وفي مؤلفات أصدرها ـ ومنها الظلال ـ. . وقد أُعجبنا بما في تلك المقالات والإشارات من تحليلات دقيقة، ونظرات نافذة، ومعلومات صحيحة، وكلام سليم، وتقييم مطّرد دائم. . . وقد حصَّل سيد ذلك كله عندما أوفد إلى أمريكا في نهاية الأربعينيات، وبقي فيها سنتين كاملتين.

وقد كان سيد قطب يعدّ دراسة عن أمريكا، وضع فيها خلاصة ملاحظاته وتحليلاته هناك، وهي «أمريكا التي رأيت» وقد ضاع هذا الكتاب العجيب العميق في جملة ما ضاع من تراثه الفكري، وحُرمنا وحُرمت الجموع المؤمنة الواعية المجاهدة من هذا الخير العظيم. . . ولا حول ولا قوة إلا بالله. . .

وبما أن مقالات سيد قطب المذكورة في ثنايا مجلّات قديمة موضوعة على أرفُف المكتبات المركزية في بعض الجامعات، وبما أن كثيراً من المؤمنين لا يتمكنون من الوقوف على كلامه كله في تلك المجلّات، سواء المقالات منه أو الإشارات، وبما أننا أُعجبنا بكلامه عن أمريكا، وأدركْنا صدقه وصحته بحيث ينطبق على أمريكا في هذه الأيام ـ في أواسط الثمانينات ـ وهو الذي كتب عنها في نهاية الأربعينيات. . . لذلك كله أحببنا

أن نقدم للناس هذا الكتاب، وأن نضع بين أيديهم هذه الحقائق، وأن نُخرج هذا الكنز من كنوز سيد قطب من بين أطواء المجلّات ليرى النور، لعلّه يقدم مزيداً من الحقائق عن أمريكا، ويساهم في تحذير هذه الأمة من الخطر الأمريكي، وفي إعادتها إلى مصدر قوتها وعزّها وسعادتها...

وقد قسّمنا هذا الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: دراسة وضعناها بين يدي كلام سيد قطب الذي جمعناه، وهدفنا من الدراسة أن نزوِّد القارىء بمعلومات تاريخية عن سيد وأمريكا، وأن نعطيه خلاصة تقييم سيد لأمريكا.

وجاءت الدراسة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سيد قطب في أمريكا:

أشرنا فيه إلى نشاطه في مصر قبل إيفاده إلى أمريكا، وبيّنا أن إيفاده إلى أمريكا كان بقصد التخلّص منه، وعرَّفْنا على حقيقة مهمته في أمريكا، ورافقناه في رحلته إليها، وما جرى له في الرحلة من أمور، بصَّرته بنفسه ورسالته ودوره ودينه، وكان هذا توفيقاً من الله سبحانه، وتحقيقاً لإرادته عزّ وجلّ، ثم أشرنا إلى تنقله بين ولايات أمريكا، وإلى صور من نشاطه هناك... وأخيراً عودته إلى مصر بعد سنتين كاملتين.. ثم اصطدامه بأعوان أمريكا في مصر، واستقالته من وزارة المعارف ومهاجمته لهم ولأمريكا معهم...

الفصل الثاني: تقييم سيد قطب لأمريكا:

بيّنا فيه الأساس السليم والصحيح والمنضبط في التقييم، وهو الذي استخدمه سيد في تقييمها، فجاءت أحكامه صائبة، ونتائجه صحيحة... بيّنا من خلال كلام سيد قطب عن أمريكا ـ في الأماكن المتفرقة ـ أصل الأمريكيين ونفسياتهم، ثم تمكُّن صراع البقاء وشهوة الحرب في نفوسهم، وعرَّفْنا على مشاعرهم وعواطفهم.. وبيَّنا أن في أمريكا مساحات شاسعة ما زالت تعتبر أرضاً بكراً، وأن أمريكا هي «ورشة ضخمة» ليس إلا.. ثم

تحدّثنا عن البدائية الأمريكية، وأشرنا إلى نماذج من هذه البدائية: البدائية في النظرة إلى الدين. والنظرة إلى الجنس. والنظرة إلى الفن. والألعاب الرياضية. والأذواق والأمزجة.. ثم شاركْنا سيد إشفاقه على البشرية من أمريكا لأنها تمثل الانتهازية، ولأن شعبها بدون مشاعر أو أخلاق أو أعصاب.. ثم أشرنا إلى أن أمريكا تعيش عقوبة الفطرة الربانية التي خرجت عليها، فحقّت عليها سنّة الله، وأنها قد وضعت قدميها على أول طريق الزوال والسقوط، وأنها تعيش بداية نهايتها.. ختمنا هذا الفصل بالإشارة إلى أهم فضائل أمريكا.

الفصل الثالث: كلام سيد قطب عن أمريكا:

هدفنا منه إلى تعريف القارىء بأماكن ذلك الكلام التي يوجد فيها وأنواعه، فهو إما رسائل لسيد قطب بعثها من أمريكا إلى أهله وأقاربه ومعارفه وأصدقائه، وإما مقالات أوردها في مجلّات عن أمريكا، وإما إشارات لأمريكا في كتبه الإسلامية وفي طليعتها الظلال.. وختمنا هذا الفصل بتعريف القارىء بمصير كتابه «أمريكا التي رأيت».

القسم الثاني: النصوص:

خصّصنا هذا القسم لكلام سيد قطب عن أمريكا، وقد جاء هذا القسم في أربعة فصول:

الفصل الأول: مقالات سيد قطب عن أمريكا:

أوردنا فيها المقالات التي تحدّث فيها عن أمريكا، وخصّصها كلها لذلك الحديث. ومن المقالات التي أوردناها، مقالاته الثلاث التي نشرها في مجلة الرسالة بعنوان «أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية» وهي التي تعتبر صلب هذا القسم وزبدته وأهم ما فيه. ومن هذه المقالات «الضمير الأمريكاني وقضية فلسطين» و«إسلام أمريكاني» و«عدونا الأول الرجل الأبيض» في مجلة الرسالة. ومقالة «حمائم في نيويورك» في مجلة الكتاب.

وختمنا هذا الفصل بإيراد قصيدتين له قالهما وهو في أمريكا «هتاف الروح» في الرسالة و«دعاء الغريب» في الكتاب.

الفصل الثاني: إشارات سيد قطب في المجلّات عن أمريكا:

وهي إشارات مجملة وردت ضمن مقالة له كتبها في أمريكا، أو رسالة له بعثها من أمريكا، تحدث فيها عن موضوعات أخرى، فأخذنا منها الجزء المتعلق بهذا الكتاب، وتركنا الباقي. أوردنا في هذا الفصل تعليق سيد على مقال «العشرون الذين صاغوا القرن العشرين» وإشارته في مقالَي «موسيقى الوجود» و«في الأدب والحياة» في مجلة «الكتاب» ثم أوردنا ما يتعلق بموضوع الكتاب من رسائله إلى كلٍّ من: توفيق الحكيم، وعباس خضر، وأنور المعداوي.

الفصل الثالث: إشارات سيد قطب في الظلال عن أمريكا:

حيث لاحظنا أن سيد قطب استخدم أمريكا وسيلة إيضاح ـ وهو يفسّر آيات القرآن الكريم ـ فيلتفت إلى النموذج الأمريكي المجسم للمادية والجاهلية والكفر والانحلال، ويبيّن صدق انطباق الآية عليه، وصدق الدلالة الناتجة عنه.. وبلغت هذه الإشارات في الظلال خمس عشرة إشارة.

الفصل الرابع: إشارات سيد قطب في كتبه الإسلامية عن أمريكا:

حيث لاحظنا في هذا الفصل أيضاً أن سيد كان يلتفت إلى الواقع والنموذج الأمريكي، وهو يقدّم لنا الإسلام ومبادئه وقيمه وحضارته، باعتبار أمريكا نموذجاً مجسماً للنظام والحضارة والحياة الجاهلية. والكتب التي وجدنا تلك الإشارات فيها هي: «معركة الإسلام والرأسمالية» و«السلام العالمي والإسلام» و«دراسات إسلامية» و«الإسلام ومشكلات الحضارة» و«معالم في الطريق».

وختمنا هذا الفصل بتحليل صائب لسيد عن دور أمريكا في المنطقة واحتكارها لها، وقصيدة لسيد يصوِّر فيها أتباع أمريكا وعملاءها وهي قصيدة «هبل.. هبل».

ونحبّ أن نبين للقارىء الكريم أننا اجتهدنا في القسم الثاني ـ بفصوله الأربعة ـ في تقسيم كل مقالة أو رسالة أو إشارة إلى أقسام جزئية، واجتهدنا في وضع عنوان جانبي لهذه الفقرة الجزئية، وحرصْنا على أن يكون العنوان معبِّراً عن الفقرة، دالاًّ على موضوعها. . والذي حملَنا على هذا هو حرصُنا على «التصنيف الموضوعي» لكلام سيد أولاً، ثم رغبتنا في تسهيل الأمر على القارىء، وحصر الموضوع أمامه، وشد انتباهه له.

ونرجو أن نكون قد وُفّقنا في تقسيم الفقرات، ثم في اختيار العناوين. . .

لقد كتب كثيرون عن أمريكا، وسجلوا نظراتهم وتحليلاتهم، ولكنهم اختلفوا باختلاف المنظار والميزان والزاوية والأرضية. . ولقد كتب إسلاميون عن أمريكا في المجلات الإسلامية، وأفادوا كثيراً في مقالاتهم عنها. . وهناك كتب ستصدر عن «الظاهرة الأمريكية» في التحذير منها وتحليلها ـ منها كتب الأستاذ يوسف العظم «أمريكا تنهار من الداخل» الذي أعلن عنه ـ لكن يبقى لسيد قطب دقته وعمقه وتحليلاته، ويبقى لكلامه أصالته ومنهجيته وموضوعيته. . وأهم من هذا كله يبقى لسيد ولكلامه «سبقه» الزمني، حيث قاله في نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات من هذا القرن. .

وإننا نبارك كل الجهود الصادقة، في تحليل «الظاهرة الأمريكية» وتعريتها والتحذير منها، ونشجع كل كاتب أو أديب أو مُحاضِر أو صحفي، يُبصِّر الناس بالخطر الأمريكي، ويحذرهم من عواقبه، ويربطهم بمصدر قوتهم وعزّتهم. . وهو إسلامهم العظيم. . وإننا نثني على كل كلمة مخلصة تصدر عن لسان مؤمن، وقلب منيب سليم، تبيّن أمريكا على حقيقتها وإفلاسها. . وتحذّر من التبعية لها في السياسة أو الاقتصاد أو الأخلاق أو الاجتماع أو الفن أو التعليم أو غير ذلك. . ونعتبر كل هذا الجهد المبارك مساهمة صادقة من المخلصين في «بعث» الأمة الإسلامية بعثاً إسلامياً، وتعريفها على عدوها اللدود ـ «النظام الأمريكي» ـ وتزويدها بمختلف الوسائل للاستعلاء عليه ثم مهاجمته وهزيمته، ووراثته على منهج الله وشرعه. .

فإلى العاملين المخلصين نقدم هذه المساهمة، ونهدي هذا الكتاب، ليـزدادوا ثقـة ويقينـاً واستعـلاء ومعـرفـة، وإلى النـاس من المخـدوعين و«المضبوعين» نقدم هذا الكتاب لعلّهم يستيقظون ويعقلون . . . ونسأل الله أن ينفع بنا، وأن يتقبل منّا أعمالنا. . وأن يرحم أستاذنا الشهيد سيد قطب، ويُعلي منزلته في عليين. . إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. .

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

القِسمُ الأول

الدِّراسة

الفصل الأول : سيد قطب في أمريكا
الفصل الثاني : تقييم سيد قطب لأمريكا
الفصل الثالث : كلام سيد قطب عن أمريكا

الفصل الأوّل

سيّد قطب في أمريكا

١ ـ نشاط سيد قطب في مصر قبل إيفاده إلى أمريكا:

عاشت مصر في الأربعينيات من هذا القرن حياة قلقة، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت مظاهر القلق والتخبّط والاضطراب بارزة في حياتها الاجتماعية والأخلاقية والسياسية. ونشطت الدعوات المختلفة، وصار كل فريق يتقرب إلى جماهير الشعب المظلومة يمنّيها بوعوده البرّاقة، وآماله العريضة. وكان للدعوة الشيوعية انتشار في هذه الأوساط.

وكان سيد قطب قد وصل إلى قمة عطائه الأدبي والنقدي، ونشر العديد من مقالاته النقدية في المجلات الأدبية الشهيرة مثل «الثقافة» و«الرسالة» كما ظهرت له بعض الدراسات النقدية مثل «كتب وشخصيات» و«النقد الأدبي أصوله ومناهجه» وأصبح بعد منتصف الأربعينيات متربعاً على عرش «النقد» في مصر، واعترف له الكثيرون بالريادة والأستاذية.

وكان لا بدّ أن يلتفت سيد ـ وهو الأديب الصادق ـ إلى ما يعيشه قومه، فلم يكن مثل بعض الأدباء يعيش في «برج عاجي» يداعب أحلامه وخيالاته.. أو يحاور سكان «مدينته الفاضلة».. لقد كان لسيد حضوره الدائم مع شعبه ومعاناته الحيّة معهم، ومشاركته لهم حياتهم، وتحسّسه لآلامهم ونكباتهم، وبصره بالمظاهر الشائهة التي ترتسم على مجتمعهم..

كان يغضب لتحكّم رجال الإقطاع والباشوات في أفراد الشعب المحروم، ولاستغلال رجال القصر وأتباع الملك خيرات الشعب. ولسيطرة

رجال الاحتلال الإنجليزي وأعوانهم على مقاليد الأمور. ولفساد الأحزاب برجالها ومناهجها وبرامجها. . وكان يشفق على هذا الشعب المسكين أن يقع بعض أفراده ضحايا الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي، أو فرائس الحبائل التنصيرية والشيوعية!! . .

ولم يكتف سيد بالنظر إلى تلك الأمور من بعيد، وإعلان ألمه وإشفاقه وسخطه من بعيد أيضاً. . بل حمل سلاحه ـ الفكر والقلم والكلمة ـ ونزل إلى الميدان. .

وظهرت مقالات لسيد في المجلات السيّارة، أعلن فيها غضبه وسخطه على ما يحدث. وكان في مقالاته ومعالجاته يصدر عن نظرة إسلامية، وينطلق من مبادىء الإسلام، وبخاصة في مجال العدالة الاجتماعية ـ وكان في هذه الأثناء يعيش أفكار كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» ـ وكان لمقالاته أثر ملموس في أوساط القرّاء. .

ثم أحبّ أن تكون له مجلة تنطق باسمه، وتكون معرضاً لأفكاره وآرائه في الإصلاح، ويسّر الله له من يموِّل مشروعه، وهو الحاج محمد حلمي المنياوي ـ صاحب دار الكتاب العربي وعضو جماعة الإخوان المسلمين ـ فاتفق الرجلان على إصدار مجلة «الفكر الجديد» يكون المنياوي مموِّلاً لها، ويكون سيد قطب مشرفاً عليها ومحرِّراً لها، وترك المنياوي لسيد الحرية الكاملة في كتابة ما يريد. . .

صار سيد يكتب مقالاته الانتقادية الجريئة في المجلة. ويصبّ جام غضبه على المظاهر الاجتماعية والسياسية الشائهة في المجتمع، ويشير بأصابع الاتهام إلى المسؤولين عن السوء والفساد في البلد. وكان أكثر هجومه على رجال الحاشية الملكية ورجال الإقطاع ورجال الأحزاب والباشوات وأغنياء الحرب وعملاء الإنجليز. .

حارب القصرُ والحكومة مجلته ـ «الفكر الجديد» ـ فحدّا من انتشارها وتوزيعها. ثم سحبت الحكومة رخصة المجلة وأغلقتها بعد صدور اثني عشر عدد منها.

وضاقت الحكومة ذرعاً بسيد قطب، وأزعجها كثيراً بمواقفه وكلامه ومقالاته، فضيقت عليه وأقفلت في وجهه رسائل النشر.

لم تجد الحكومة القائمة ما يبرر اعتقالها له، ولم يكن بين يديها حجة قانونية في ذلك. رغم فساد العهد الملكي في ذلك العهد إلا أنه كان للقانون احترامه. ورغم شدة مقالات سيد إلا أنه كان يصوغ عباراته بحيث لا يكون عليه فيها مأخذ قانوني.

ورغم أن القصر الملكي أوعز للحكومة باعتقال سيد، إلا أن الحكومة لم تجد لها مستنداً قانونياً يبرِّر لها ذلك، بالإضافة إلى تعاطف رئيس الوزراء في ذلك العهد مع سيد قطب ـ وهو محمود فهمي النقراشي ـ الذي كان له صلة حزبية بسيد قطب عندما كان الرجلان عضوين في حزب الوفد[1].

٢ ـ إيفاده إلى أمريكا بسبب التخلّص منه:

أرادت الحكومة التخلّص من سيد قطب بطريقة تبدو مقبولة، وتظهر فيها مصلحته الشخصية وحرصها على تحقيقها له، كما أرادت أن تَحُول بين إيقاع الأذى عليه من القصر، وفي نفس الوقت لم تشأ أن تقف في وجه القصر علانية، وأن تظهر مخالفتها له.

وبما أن سيد قطب مغضوب عليه من قبل القصر، وبما أن الحكومة نفسها متضايقة من مقالاته وانتقاداته، لذلك فكرت في حل يرضي جميع الأطراف. وكان يتمثل في إيفاده ـ أو إبعاده ـ إلى أمريكا.

حتى وزارة المعارف التي كان يعمل بها سيد، كان المسؤولون فيها غير راضين عنه، إذ إنه لم يكن الموظف الذي يخضع ويخنع، أو يذلّ

(١) انظر في هذا الموضوع: كتابنا سيد قطب الشهيد الحيّ ـ طبعة مكتبة الأقصى: ١١٨ ـ ١١٩ و١٢٥ ـ ١٢٧. ومقابلة محمد قطب مع مجلة الغرباء في بريطانيا في العدد الثالث من السنة الثانية عشرة تاريخ رمضان ٩٥ وفق سبتمبر ١٩٧٥. صفحات: ٨ ـ ٩ وانظر «سيد قطب الأديب الناقد» لعبد الله الخباص صفحة: ٩٩.

ويستكين، أو يتزلف ويتذبذب، أو يرضى أن يكون مجرد موظف لا يقوم بشيء، ولا يهمّه أي شيء، وقُصارى أمله أن يحصل على التقاعد والإحالة على المعاش، فيجلس على مكتبه يعدّ ما تبقى له من خدمة، وينتظر الإحالة بحماس وشوق.

كثيراً ما قدّم المقترحات لإصلاحِ العمل في وزارة المعارف. وكثيراً ما أعدّ الخطط والبرامج لذلك، وكثيراً ما اصطدم ـ بسبب ذلك وغيره ـ بالمسؤولين والمتنفذين في الوزارة.

وإذا لاحظنا تغيّر الوزير باستمرار، فلا بدّ أن يتغير رجال الوزارة بتغييره، وإذا لاحظنا التضارب والتناقض والتشاكس والاختلاف بين الوزيرين ـ السابق والحالي ـ فلا بدّ أن يغيّر رجال الوزارة آراءهم وأفكارهم، وأن يعيدوا تشكيلها حسب الوضع الجديد أو الظروف الجديدة السائدة. ويبقون هكذا في عملية تغيير للأفكار والآراء والمواقف والاعتبارات والخيارات، حتى الأذواق والاهتمامات! لأن عملية تغيير الوزراء المتشاكسين لا تنتهي.

ولم يكنِ سيد قطب من هذا النوعِ الذي يغيّر مواقفه بتغيّر رؤسائه، ولكنه كان ثابتاً عند قناعاته وأفكاره. . وتبعاً لذلك لم يكن بالمرضي عنه عند المتشاكسين، وكان مادّة نكاية وسِعاية عند المتزلفين لأولئك المتشاكسين. . ولذلك كثيراً ما ضيّقوا عليه، ووجهوا له إنذارات. . وكثيراً ما كان يفكر بالاستقالة، بل لقد قدّمها مرة في الأربعينيات، ولم يثنه عنها سوى رئيسه ـ في ذلك الوقت ـ الدكتور طه حسين.

هذا بالإضافة إلى ما تجرّه عليه مقالاته المختلفة في المجلّات من أذىً وتضييق في وزارة المعارف.

لا نستغرب إذن التقاء رغبات الأطراف الثلاثة على التخلّص من سيد ـ القصر والحكومة ووزارة المعارف ـ[1].

---

(١) انظر في هذا: سيد قطب الشهيد الحيّ: ٩٤ ـ ٩٨ و١٢٥.

٣ ـ حقيقة مهمته في أمريكا:

التبس على الكثيرين حقيقة مهمة سيد قطب في أمريكا، وراحوا يخمّنون عن هذه المهمة، ويجتهدون في بيان عمله هناك. ويخرجون بنتائج وأحكام خاطئة، لأنهم بنوها على الافتراضات والاجتهادات الظنّيّة. وحددوا له مهمة لا تتفق مع مهمته الحقيقية.

ذهب البعض إلى أن سيد كان مبعوثاً من قِبَل وزارة المعارف إلى أمريكا للحصول على شهادة الماجستير. وذهب آخرون إلى أبعد من ذلك وأغرب، حيث اعتبروه موفداً للحصول على شهادة الدكتوراه ـ التي يجوز أن يحصل عليها قبل حصوله على الماجستير! كما أوحى إليهم خيالهم ـ وأنه مكث سنتين هناك دون حصوله على هذه أو تلك.

فما هي حقيقة مهمته إلى أمريكا؟ لماذا أوفدوه إليها؟ وما هو عمله هناك؟ لا ننسى ـ كما قلنا قبل قليل ـ أنهم أرادوا التخلّص منه أولاً، يعني أن المهم أن يخرج سيد قطب من مصر إلى أمريكا، ولا يهمّ تحديد مهمته هناك، إن تحديد المهمة أمر ثانوي في نظر بعض هؤلاء. فالمهم أن يخرج والسلام.

وبما أن سيد كان يعمل في التفتيش الفني في وزارة المعارف، ثم في المناهج الدراسية والتعليمية، فلا بدّ أن تكون مهمته ـ في الظاهر ـ تتفق مع عمله الذي كان يقوم به.

كانت مهمته هناك بالتحديد «دراسة المناهج التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية»، ولا يقوم بهذه الدراسة كطالب يريد الحصول على الماجستير ـ أو الدكتوراة ـ وإنما كخبير في المناهج، ومتخصِّص في البرامج، وباحث في الأساليب.

ولم يكن مقيداً في بعثته ـ أو مهمته ـ بجامعة معينة، أو مواد خاصة نظرية للدراسة، كما لم تكن هذه البعثة مقيدة بزمن معين. وتركت له الحرية

في مجال الدراسة وميدانها وتخصصها وزمانها ومكانها!.. ألم نقل إن المقصود إخراجه من مصر، وما سوى ذلك لا يعني المسؤولين؟

بعدما تلقى سيد دراسة خاصة باللغة الإنجليزية، التي لم يكن قد تلقاها أثناء دراسته في كلية دار العلوم، صار يقوم بجولات عملية ميدانية، للاطّلاع على مناهج الدراسة في مختلف الجامعات والمعاهد الأمريكية، ويتعرّف على برامج وأساليب التدريس في تلك الجامعات والمعاهد.

وشملت جولته مختلف المدن هناك من نيويورك إلى جريلي ودنفر وسان فرنسيسكو...

مهمته هناك عملية ميدانية، ومدتها مفتوحة، وأمر إنهائها بيده هو(١).

٤ - في طريقه إلى أمريكا:

لم يغادر سيد قطب إلى أمريكا إلا بعد منتصف عام ١٩٤٨. وقد علمنا أنه حتى نهاية شهر أغسطس (آب) عام ٤٨ كان لا يزال في القاهرة. حيث أخبرنا الأستاذ عباس خضر أن سيد تدخل لدى قسم شرطة حلوان لإخراج عباس من القسم، بعد أن أوقفوه لشكّهم فيه، وكان هذا في النصف الثاني من شهر أغسطس المذكور(٢).

ويَطيب لي في هذه المناسبة إيراد كلام عباس خضر حول الحادثة، بعد مضيّ حوالي عشرين سنة عليها لدلالتها على نفسية سيد وهمّته ودوره الاجتماعي:

قال في مقاله: «وهؤلاء عرفتهم: سيد قطب» في مجلة الثقافة: «ولا أنسى ليلة قضيتها في قسم «البوليس» بحلوان.. إذ اشتبه فيَّ رجل غبي، وكنت في منطقة «عين حلوان» أتنزه، فلما رآني هناك ليلاً أمسك بي، متهماً أيّاي بوضع قنبلة عند العين لنسف مبناها. وعلى هذا الافتراض فأنا عميل صهيوني.. وكان ذلك عقب قيام إسرائيل.

---

(١) انظر: سيد قطب الشهيد الحيّ: ١٢٥ وسيد قطب الأديب الناقد للخباص: ١٠٠.
(٢) انظر مجلة الرسالة سنة ١٦ مجلد ٢ عدد: ٧٩٠ تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ صفحة ٩٦٥.

قال لي ضابط الشرطة «النوبتجي» في القسم: أتعرف أحداً بحلوان يضمنك؟ قلت: نعم، وأمليت عنوان سيد قطب ـ وكان لا يزال مأموناً موثوقاً به عند السلطات ـ.. وجاء الصديق المُنجِد.. جاء لابساً معطفاً فوق «البيجامة» وبقدميه «شبشب» لم يلبث حتى يستبدل به حذاء.. وعرف الموضوع من رجل الشرطة الذي استدعاه، فلما دخل ورآني أشار إليَّ ضاحكاً وهو يقول للضابط: إنه صهيوني لا تدعوه يفلت! وخرجت من القسم ناجياً من النوم على «البرش» في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وكتبت على أثر ذلك كلمة في الرسالة بعنوان «الأدب والفن في قسم حلوان» ومما يذكر أن الضابط كتب في المحضر: «وبتفتيشه عثر في جيبه على شعر ومقالات..»[1].

غادر سيد قطب الإسكندرية إلى أمريكا في أواخر عام ١٩٤٨ م، على ظهر باخرة عبرت به البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.. وهناك على ظهر الباخرة جرت له عدة حوادث أثَّرت في حياته فيما بعد، وعاش بعض المشاعر والخواطر التي رسمت له مستقبله وحددت له طريقه! ولذلك ما أن غادر الباخرة في الميناء الأمريكي الذي وصله، وما أن وطئت قدماه أرض أمريكا حتى كان قد عرف طريقه، وحدد رسالته، ورسم معالم حياته في الدنيا الجديدة!..

لما وجد نفسه على ظهر سفينة سابحة وسط المياه، أحسّ مظاهر رحمة الله وعنايته، وعاش ألواناً من نعمة الله عليه، وأدرك بكل كيانه ومشاعره آية الله في هذا، وكان في هذا كله يفسّر تفسيراً عملياً قوله تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبثّ فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض.. لآيات لقوم يعقلون ﴾[2].

---

(١) مجلة الثقافة: مجلد ٨ سنة ٤. عدد ٤٧ تاريخ أغسطس ١٩٧٧ صفحات ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) البقرة: ١٦٤.

وقد عرض لنا بعض ما كان يحسّه ويعيشه من ذلك، عندما فسّر هذه الآية بعد سنوات، حيث قال: «وأشهد ما في هذه اللفتة من عمق، قدر ما أحسست ونقطة صغيرة في خضم المحيط، تحملنا وتجري بنا، والموج المتلاطم والزرقة المطلقة من حولنا، والفلك سابحة متناثرة هنا وهناك.. ولا شيء إلا قدرة الله، وإلا رعاية الله، وإلا قانون الكون الذي جعله الله، يحمل تلك النقطة الصغيرة على ثبج الأمواج وخضمها الرهيب»[1].

وفي موضع آخر يخبرنا سيد عن حالته الإيمانية، وانفعاله المؤثر، ومشاعره الجيّاشة، وهو على ظهر الباخرة، وتعبيره عن هذا بعبارة «موسيقى الوجود».

«... أحسست هذه الموسيقى العلوية الشاملة.. موسيقى الوجود. مرة وأنا في عرض المحيط، والباخرة تُمرُّ مَرَّ الريح على وجه الخضم، والنسيم رخاء. والليل ساكن والقمر مفضفض اللألاء... لست أدري كيف أحسست، ولست أدري كيف أقول. إلا أن قولاً واحداً انساب على لساني في تلك اللحظة التي أومضت في روحي كما تومض الشعلة فتكشف لي الطريق إلى بعيد ثم تغيب... تعبير واحد أحسست فيه كل ما فاض على خاطري في تلك اللحظة من قدسية وشفافية وتسبيح.. موسقى الوجود»[2].

وفي ظلال هذه الحالة الإيمانية راح يخاطب نفسه «أأذهب إلى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين الذي يكتفون بالأكل والنوم، أم لا بدّ من التميّز بسمات معينة؟ وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه والالتزام بمناهجه في الحياة وسط المعمعان المترف المزوّد بكل وسائل الشهوة واللذة والحرام؟ وأردت أن أكون الرجل الثاني..»[3].

---

(١) الظلال ١: ١٥٢.

(٢) انظر مقالة «موسيقى الوجود» في مجلة الكتاب. مجلد ٩ جزء ٤ تاريخ أبريل ١٩٥٠ صفحة: ٣٢٦.

(٣) مجلة الشهاب سنة ٦ عدد ٩ أيلول ١٩٧٢ صفحة: ٨.

من هذه الروايات عن سيد نفسه عرفنا كيف كان ركوبه الباخرة ومروره بتجربتها وسط الأمواج، عامل خير يسّره الله له ليتحدد سيره في طـريق الإسلام وتثبت قدماه عليه.

ولذلك ثبت أمام المغريات والإغراءات على ظهر الباخـرة ـ والتي سنشير إليها بعد قليل ـ ثم انتقل إلى خطوة أخرى عملية مارس فيها إسلامه، وجهر بأداء شعائره على ظهر الباخرة!

فها هو يرى مبشِّراً يحاول تنصير المسلمين من ركاب الباخرة، ويعرض عليهم مبادئه بأساليبه الملتوية، فيثير هذا سيد ويوقظ مشاعره الإيمانية.. ويذهب إلى قبطان الباخرة ويطلب منه السماح لكل المسلمين عليها بأداء صلاة الجمعة، ويشارك جميعهم بتلك التظاهرة الإسلاميـة ـ حتى عمال السفينة ولعلّها أول مرة يشاركون فيها ـ ويقف سيد خطيباً في هؤلاء.. وتؤدى صلاة الجمعة وسط نظرات ودهشة واستغراب الآخرين..

وقد كان هذا الحادث مؤثراً عن سيد، استقر في أعماق نفسه، وكان يستحضره ويسجل دلالاته.. وفي الظلال أشار إليه في عدة مواطن، «ووظفه» دليلاً على إعجاز القرآن في تأثيره حتى في من لم يعرف اللغة العربية..

ونظراً لارتباط كلامه عن ذلك الحادث بحديثنا عن ما جرى له في طريقه إلى أمريكا فإننا نورد كلامه عنه في تفسيره لسورة يونس:

«إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشري.. إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً.. وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول ـ وإن لم تكن هي القاعدة ـ ولكن وقعها يحتاج إلى تفسير وتعليل.

ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري، ولكني أذكر حادثاً وقع لي وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً.. كنّا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط

الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة ليس فيهم مسلم. . وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم - أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة، وحاول أن يزاول تبشيره معنا! . . . وقد يسّر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزياً - أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطُهاتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلّي منهم معنا من لا يكون في «الخدمة» وقت الصلاة! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى اللتي تُقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة. . . وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة، والركاب الأجانب - معظمهم - متحلّقون يرقبون صلاتنا! وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح «القُداس»!!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا! ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم «تيتو» وشيوعيته - كانت شديدة التأثّر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشدّ على أيدينا بحرارة، وتقول - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثّر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح. . إلخ»(١).

كانت رحلة سيد إلى أمريكا بداية الطريق الجديد الذي هداه الله إليه، ووفّقه لسلوكه والسير فيه. . وهو في هذا يختلف عن كثير من المبتعثين. . الذين يمنعهم الحياء ومراعاة الأعراف والتقاليد من الانحراف - أو المجاهرة به - في أوطانهم عندما يكونون بين أهلهم ومعارفهم وذويهم. . فإذا ما فتح أمامهم باب السفر والاغتراب والابتعاث فإنهم يخلعون ثوب الحياء والتجمّل، ويمارسون حياة بهيمية يجاهرون فيها بكل حرام، ويبدأون هذا منذ اللحظة التي يغادرون فيها الوطن، وتغيب عن نواظرهم معالمه!!

ولكن سيد لم يكن من هؤلاء، وإنما كان السفر والاغتراب تجربة

---

(١) الظلال ٣: ١٧٨٦.

جديدة «وظّفها» للتعرّف على غايته ورسم طريقه، والسير فيه بخطوات واثقة ثابتة..

لقد فتح الله على سيد في الباخرة ما فتح من رحمته فعاش فيوضاتها وخيراتها، ومن ذا الذي يغلق ما فتح الله له؟ كان يعيش عملياً قوله تعالى: ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾[1].

وما أن حطّت قدما سيد أرض نيويورك ـ المحطة الأولى من رحلته العلمية إلى أمريكا ـ حتى كان صاحب رسالة، وجندي دعوة، ورجل فكرة، ملتزماً بالإسلام، داعية إليه متحركاً به، «موظّفاً» لكل مكتسباته الجديدة في سبيله.

٥ ـ بين إرادة الله وإرادة الأمريكان:

يعتبر سيد قطب ـ بالتزامه بالإسلام ودعوته إليه منذ أن غادر مصر إلى أمريكا ـ نموذجاً عملياً واقعياً حيّاً لتُحقّق إرادة الله سبحانه الخير لعباده، عندما تنفتح قلوبهم لهذا الخير، ويتفاعلون مع إيحاءاته، ويسيرون خطوات عملية للتحقّق به والتزامه، كما يعتبر نموذجاً لفشل أصحاب الباطل وجنود الشر، وتعطل إرادتهم وهزيمتها عندما يحادون الله سبحانه، ويحاولون تعطيل إرادته وإيقاف أمره.

أقول يعتبر سيد نموذجاً معاصراً لهذا الأمر، لأن القرآن حدّثنا عن نماذج كثيرة من قصص السابقين حاول فيها الكفار والطواغيت مغالبة قدر الله، ومحادة أمره، والوقوف في وجه إرادته... ويذهبون مشيعين باللعنة والذل والعذاب... فلا يكون إلا ما يريده الله.. وخير مثال لهذه الإرادة ما أراده الله أن يعيش بنو إسرائيل وأن يربى «بطلهم المنقذ» نبي الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قصر فرعون ليكون هلاك فرعون على يده بعد ذلك. وتعطلت إرادة فرعون وتحققت إرادة الله.

---

(١) فاطر: ٢.

وكم يخبرنا التاريخ ـ القديم والوسيط والحديث ـ عن نماذج كثيرة تخلّفت وتعطلت فيها إرادة أصحاب الشر والفساد ضد الإسلام ومبادئه وجنوده رغم حرصهم على نفاذها وتحققها، وأساس الخطأ عندهم أنهم يقفون أمام إرادة الله القوي القاهر، ويريدون أن يغالبوا أمره وقدره، وأن يعطلوا مشيئته، وأن يطفئوا نوره ويطمسوا دينه ويقضوا على جنوده... وما درى الأغبياء السذّج أنهم بعملهم هذا ﴿ إن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾[1]. لأن قدر الله غالب وإرادته نافذة، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وسبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء!!.

وبالنسبة لسيد مرّ معنا الهدف الذي هدفت إليه مصر وأمريكا من إيفاده إليها، وتخطيط أمريكا لذلك. إن أمريكا كانت تعدّ نفسها ـ في أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ لوراثة إنجلترا في المستعمرات الأخيرة فيما وراء البحار، ولذلك كانت تجند مجموعة من قادة السياسة والاقتصاد والفكر والأدب والفن والصحافة... إلخ ليكونوا جنوداً لها يمهدون لاستعمارها الثقافي والاقتصادي والإعلامي والسياسي في البلدان المستعمرة.

وفي مصر جنّدت أمريكا ـ وعملاؤها ممّن يملكون دفّة الحكم والسلطان والتخطيط والتوجيه في البلاد ـ مجموعة من هؤلاء، وأُعطيت لهم دورات في الخفاء ـ في مصر أو في أمريكا ـ وتخرّج الكثير منهم كما يريد لهم أساتذة الشرّ والفساد. وظهر في البلاد جيش من المزورين والخادعين في مختلف المجالات طليعة للاستعمار الأمريكي لمصر والعالم العربي..

واختار التعساء سيد قطب ليكون أحد هؤلاء العملاء، باعتباره في مقدمة رجال الأدب والنقد والفكر في مصر.. ورسموا له الخطط لإفساده أخلاقياً ونفسياً وفكرياً، ليستسلم لهم ويوظف فكره ومواهبه لخدمتهم.. وما درى أولئك المساكين أن الله سبحانه أراد لسيد أمراً آخر.. أراد أن يكون جندياً من جنوده، وداعية إلى دينه، وحرباً على أعدائه.. وفشل الماكرون في

---

(١) الأنعام: ٢٦.

احتواء سيد وتجنيده وخاب مسعاهم. . . ﴿ ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين. . ﴾[1].

وقد أطلعنا سيد على بعض الوسائل الأمريكية لإغوائه وإغرائه، حيث بدأوا معه بالإغراء بهدف السيطرة عليه. . بدأوا معه بالانحراف الأخلاقي، لأن الانحراف الأخلاقي بداية السقوط الذي يعقبه الاستسلام الكامل ـ كما أخبرتنا نماذج الساقطين المعاصرة ـ.

استخدم الأمريكيون إحدى ساقطاتهم لإغرائه وإغوائه وهو على ظهر الباخرة. . ولكن متى؟ بعد ما قرر أن يكون جندياً لله، وبعد ما تعامل مع رحمة الله الفيّاضة!!!.

. . . «وأردت أن أكون الرجل الثاني ـ المسلم الملتزم ـ وأراد الله أن يمتحنني: هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة»؟.

كان ابتلاء الله له، بعد دقائق من اختياره طريق الإسلام، إذ ما أن دخل غرفته «حتى كان الباب يقرع، وفتحت، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري. وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة؟ فاعتذرت بأن الغرفة معدّة لسرير واحد، وكذا السرير لشخص واحد! فقالت: وكثيراً ما يتّسع السرير الواحد لاثنين!!. واضطررت أمام وقاحتها، ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة. . ».

«بعد نجاحه في الابتلاء الأول قال»: الحمد لله. هذا أول ابتلاء. وشعرت باعتزاز ونشوة، إذ انتصرت على نفسي! وبدأتْ تسير في الطريق الذي رسمتُه لها. .

هذه الفتاة كانت الوسيلة الأولى في الخطة الأمريكية لاحتوائه.

---

(١) الأنفال: ٣٠.

ولكن الله علم منه صدق الاختيار ـ اختيار جانبه ـ فوفّقه لهذا الانتصار!

لم تنقطع المحاولات الأمريكية لإغرائه وإغوائه. مثل تلك الفتاة التي قامت بجهد كبير لغوايته، ولاحقته من جامعة إلى أخرى.. وتلك الفتاة التي ناقشته في معهد المعلمين في مدينة جريلي في كولورادو في مسائل جنسية مكشوفة.

وعامِل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسية طبيعية أو شاذة، وأثاره بالحديث المكشوف عن عيّنات منها. والشاب العربي الذي كان يغريه بإسماعه قصصاً عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات. والممرضة التي كانت تغريه وهو في المستشفى بإسماعه مواصفاتها التي تطلبها في الشخص ليكون عشيقاً لها. والفتاة الجامعية التي تريد أن تمحو من فكره النفور من الرذيلة الجنسية، وتزعم أنها عملية بيولوجية جسدية لا داعي لإقحامها في المعاني الأخلاقية. وغير ذلك[1].

أما من الناحية السياسية فقد أخبرنا سيد عن نماذج من التنافس بين رجال المخابرات الإنجليزية والأمريكية لتجنيده. وخرج من تلك المحاولات كلها سليماً معتزّاً بدينه ملتزماً بإسلامه.

من هذه المحاولات ما أشار إليه سيد بقوله: «والكثير من الحاكمين في الدولة الأمريكية تخرّجوا في المعاهد التبشيرية. وهي حقيقة أفضى بها إليّ أحد الأساتذة الإنجليز الذين التقيت بهم في أمريكا. وعدَّ لي عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية وفي السلك السياسي. ولم يكن يفضي إليَّ بهذه الحقيقة بريئاً لوجه الله، وإنما هو ـ كما عرفت فيما بعد ـ أحد رجال قلم المخابرات البريطاني، الذين يهمّهم ألّا يثق الشرقيون كثيراً في نيّات أمريكا. مما دعاني إلى التشكّك في بياناته لي. فتحققتها بوسائل أخرى..»[1].

---

(١) سيد قطب الشهيد الحي: ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٢) معركة الإسلام والرأسمالية: ٩٧ ـ ٩٨.

وهذا الرجل الذي أشار إليه عو «جون هيوورث دن» قد ادّعى الإسلام وتسمى «جمال الدين دن» وتزوج مصرية مسلمة اسمها «فاطمة» وقد عرض على سيد قطب ـ إغراء له ـ أن يترجم كتابه الجديد «العدالة الاجتماعية في الإسلام» إلى الإنجليزية، مقابل عشرة آلاف دولار. ولكن سيد رفض العرض. وأعطى الكتاب إلى «المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية» ليترجم مجاناً. حيث قام بترجمته المستشرق «يوحنا: جون ب. هاردي» الأستاذ بجامعة «هاليفاكس» بكندا»[1].

ورغم التزامه بالإسلام في أمريكا، ورغم استعلائه على مكر الأمريكيين وخططهم، وانتصاره على إغراءاتهم.. رغم ذلك إلا أن أعداء الحق ـ ممّن يلبسون ثوب التقدم واليسار من الشيوعيين ـ اعتبروا سيد أداة بيد مخابرات أمريكا، وأن مدة إقامته هناك كانت دورة تخرج منها بوقاً لأمريكا وعدواً للاشتراكية والتقدم!!

فها هو أحد هؤلاء ـ أحمد عباس صالح ـ يقول عن سيد قطب: «إنه لفت أنظار الاستعمار الأمريكي منذ وقت مبكر بكتاباته المناوئة للاشتراكية، بدعوى أن الإسلام والاشتراكية متناقضان.. فدُعي إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأمضى أكثر من عام، وعاد بعدها لينشر كتاباً مليئاً بالمغالطات ضد العدل الاجتماعي وضد الفكرة الاشتراكية تحت ستار الدعوة الإسلامية»[2] سبحانك هذا بهتان عظيم!!

٦ ـ تنقله بين ولايات أمريكا:

لم يكن سيد ملتزماً بمنهج دراسي محدد في أمريكا، وكانت طبيعة مهمته هناك رحلة علمية عملية للاطّلاع على مناهج التربية وأساليب التدريس في الجامعات والمعاهد العلمية. وهذا يعني أن يقوم برحلات عملية في عدة ولايات أمريكية، وزيارة معاهد المعلمين والجامعات في مدن تلك الولايات.

---

(١) سيد قطب الشهيد الحيّ: ١٣٠.
(٢) مجلة الكاتب الشيوعية عدد: ٥٤ السنة الرابعة. سبتمبر أيلول ١٩٦٥ صفحة: ٣.

وكان الوقت يسمح له بالقيام بجولات وزيارات لمرافق المدينة التي يُقيم فيها وإعداد دراسات اجتماعية عن الأمريكيين، والذهاب إلى المناظر الطبيعية الساحرة، والتمتّع بجمالها وسحرها وجوها في الحدائق والقرى والوديان.

وكان سيد يرسل مقالات لبعض المجلاّت في مصر، ويسجّل المدينة أو الولاية التي كتب فيها مقاله، كما كان يرسل رسائل شخصية إلى أهله وأقاربه، وإلى زملائه من الأدباء ويكتب اسم المدينة أو الولاية التي يقيم فيها في نهاية الرسالة. وقد عرفنا ـ بفضل هذه الطريقة البديعة ـ بعض المدن والولايات التي أقام فيها.

معروف أن مدينة نيويورك كانت المحطة الأولى التي نزل فيها. لأنها تمثّل نهاية خط سير الباخرة التي أقلّته من الإسكندرية إلى نيويورك.

وأقام في نيويورك ما كُتب له أن يقيم، وتفتحت عيناه على معالم الحياة الأمريكية فيها، وأطلق من هناك ـ ومنذ أيامه الأولى بل منذ نظراته الأولى ـ على أمريكا كلها لقب «الورشة الضخمة» والتي تمثلها مدينة نيويورك تماماً. هذه المدينة التي لها من اسمها نصيب، فلو قلت إن اسمها بالعربية: العمل الجديد. أو الورشة الجديدة الضخمة لما كنت مخطئاً أو مبالغاً. وأكثر ما لفت انتباهه وأثار استغرابه رؤيته لسرب من الحمائم الوادعة في نيويورك، حيث لا مكان لهنّ وسط تلك الورشة، فكان مقاله «حمائم في نيويورك» تسجيلاً لخواطره حوله.

من المدن التي ذهب إليها: واشنطن العاصمة، وعرفنا عنه في العاصمة أنه بعث رسائل منها إلى صديقه الأديب توفيق الحكيم، ونشرت مجلة الرسالة رسالتين منها. وتجلّت فيها موهبة سيد في تقييم الحياة الفرنسية ـ التي يحبّها توفيق الحكيم ـ والحياة الأمريكية ـ كما لمسها هو ـ من خلال مقارنتها بالحياة الإسلامية النظيفة الصادقة. وعرفنا أنه أُصيب بمرض أثناء إقامته في العاصمة، وأنه أُدخل مستشفى «جورج واشنطن» فيها.

ومن هذه المدن: مدينة جريلي بولاية كولورادو، ويبدو أن إقامته في هذه المدينة طالت وقاربت العام. وطال تردده على معهد المعلمين في المدينة، ويبدو أنه في تلك المدينة قد أنهى المهمة الأولى في اللغة الإنجليزية، ونجح فيها، وأصبح بإمكانه أن يطّلع ـ مباشرة ـ على الثقافة والعلوم من المجلات والكتب باللغة الإنجليزية.

في هذه المدينة ـ وفي معهد المعلمين ـ كان يعقد المناقشات ويوجّه الانتقادات لعفن الحياة الأمريكية وانحرافها الأخلاقي. ويلاحظ مظاهر الفساد والانحراف والإباحية التي تسللت إلى كنائسها. وفي هذه المدينة كان عضواً في نادي كنيستها. وفي هذه المدينة كانت له مشاركة في مجلّاتها. حيث كتب في إحداها مقالة سياسية لاذعة عن أمريكا بعنوان «العالم ولد اق». ومن هذه المدينة بعث مقالاً بعنوان «أضواء من بعيد» نشر في مجلة الكتاب في مصر.

ومن المدن التي أقام فيها. مدينة دنفر.

ومن الولايات التي استقر فيها ولاية كاليفورنيا. وتنقل بين عدة مدن فيها. أقام طويلاً في سان فرنسيسكو، واختلط بالحياة الاجتماعية لسكان المدينة وسجل انتقاداته اللاذعة لهم. ويبدو أن جوّها لم يناسبه، واعتلّت صحته وأقام فترة في أحد مستشفياتها. ويبدو أنه أثناء إقامته في ذلك المستشفى وقعت حادثة اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا في مصر. ورأى سيد هناك بأمّ عينه مظاهر الفرح والابتهاج لدى العاملين في المستشفى بذلك.

ومن هناك بعث مقالاً نشر في مجلة الكتاب بعنوان «موسيقى الوجود» الذي كتبه بعد زيارته لمَعْلَم طبيعي من أجمل معالم الطبيعة في العالم، المتمثل في الحديقة الطبيعية المنسقة من الصخور والمسمّاة بحديقة الآلهة.

ويبدو أن جو مدينة سان فرنسيسكو لم يناسبه فغادر المدينة إلى إحدى قراها الريفية الجميلة الواقعة في وادٍ زارعي جميل، قرية «بالوألتو».

ثم تحول إلى مدينة أخرى في ولاية كاليفورنيا. وهي مدينة «سان

دييجو» ومنها بعث رسالتين إلى صديقه عباس خضر، نشرهما الأخير في مجلة «الرسالة» في زاويته الأسبوعية: «الأدب والفن في أسبوع».

هذه هي أهم المدن التي عرفنا أن سيد ـ من خلال كلامه هو ـ أقام بها، وانتقل إليها أثناء وجوده في أمريكا. وبهذا يظهر أنه تنقل بين مختلف ولايات أمريكا. ما بين نيويورك في الشرق وكولورادو في الوسط وكاليفورنيا في الغرب.

٧ ـ صور من نشاطه في أمريكا:

لم يكتف سيد ـ أثناء وجوده في أمريكا ـ بالاطِّلاع على مناهج وأساليب التدريس، ولم يكن يعيش حياته هناك سلبياً، ولم يكن منعزلاً عن المجتمع والناس من حوله، وإنما رأيناه يعيش حياته بطريقة أخرى إيجابية ثقافية، تتفق مع طبيعته ونفسيته واهتماماته..

فبعد أن عرف طريقه الجديد وحدّد معالمه، وبعد أن أحسن تصنيف أمريكا ـ العالم الجديد ـ في مكانها الطبيعي في سلّم الحضارة والتقدم والتأثير. أيقن أن هذه الفرصة قد لا تعود مرة أخرى، فعليه أن يستغلها ويغتنمها، وعليه أن يحسن استغلال أيامه فيها، وأن يبذل جهده في الخروج بدلالات سليمة، ودروس وعِبَر صائبة، ونتائج وأحكام صحيحة.

لقد رأينا سيد في أمريكا ـ منطلقاً من دينه وإيمانه والتزامه ـ رجلاً إيجابياً مؤثراً واجتماعياً فعّالاً، ودارساً فاحصاً، وناظراً متأملاً، وباحثاً موضوعياً.. لقد استخدم مواهبه ومكاسبه ومعارفه وثقافاته في دراسة «الظاهرة» الأمريكية الفريدة، التي سحرت الكثيرين من العالم، وصارت مثالاً يحتذيه «المضبوعون» ويسعون على إلحاق أقطارهم فيه. فأراد أن يقدم للناس ـ في العالم العربي والإسلامي وفي مصر على وجه الخصوص ـ أمريكا على حقيقتها وطبيعتها، بدون زخارف أو رتوش أو تجميل، ليعرفوا دورها ورسالتها ومكانتها بين الحضارات، وليحذروا سمومها ومكرها ومخططاتها.

كما كانت رسالته الاجتماعية الجديدة، ونشاطاته العملية المتنوعة، تحدياً منه لتخطيط أمريكا بالنسبة له، واستعلاء منه على إغرائها وإغوائها له، وتسجيلاً لفشل خطتهم في تجنيده واحتوائه، وفضحاً لمخازيها، وغزواً لها في صميم حياتها وأنظمتها ووجودها، وإثباتاً لعظمة الإسلام عندما يقبل عليه رجل بصدق وجدية والتزام.. وإنني أعتقد أن حياة سيد في أمريكا ونشاطاته هناك يجب أن تكون مِثالاً يقتدي به المبعوثون إليها، والدّارسون في جامعاتها.

تنوع نشاط سيد في أمريكا في مظاهره وأشكاله، وتعددت لقاءاته ومقابلاته مع مختلف «شرائح» الحياة الأمريكية. وتكررت وقفاته المتأملة أمام ألوان «الحضارة» والتقدم في أمريكا...

كان لسيد نشاط إسلامي، يتمثل في انطلاقه من الإسلام لكشف سوءات ومفاسد الكيان الأمريكي، وبيان سموّ الإسلام ومزاياه في أنظمته ومبادئه من خلال تلك المقارنة. وهذا بعكس منهج بعض المحبّين للإسلام في أمريكا الذين كانوا يدافعون عن دينهم «دفاعاً» عاجزاً أمام الهجوم الأمريكي الماكر.

«بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام ـ في أمريكا ـ في السنوات التي قضيتها هناك ـ وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير.. وكنت على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية.. سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة، أو في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية... إلخ.

وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية... وهي حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض في ضوء الإسلام..»[1].

كان يحرص على أن يرى انطباق بعض آيات القرآن على الحياة في

(١) معالم في الطريق: ٢١٥ ـ ٢١٦ باختصار.

أمريكا. فكان يتلو الآية ويرى صدق انطباقها على الواقع هناك «ويبين المدلول الواقعي لها، ويجد بذلك طعماً ومذاقاً وحيوية وتأثيراً فريداً لكتاب الله سبحانه.

طبق على حياة الأمريكيين قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾(١) فرأى أمراً عجيباً، أخبرنا عنه في الظلال ـ في تفسيره لتلك الآية ـ بقوله: «ولقد كنت ـ في أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية ـ أرى رأي العين مصداق قول الله سبحانه ﴿فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ فإن المشهد الذي ترسمه هذه الآية.. مشهد تدفق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب. لا يكاد يتمثل في الأرض كلها كما يتمثل هناك!

وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقف على الرجل الأبيض وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة، وفي صلف على أهل الأرض كلهم...

كنت أرى هذا كله فأذكر هذه الآية، وأتوقع سنّة الله.. وأكاد أرى خطواتها وهي تدبّ إلى الغافلين..»(٢).

وكان لسيد نشاط آخر في المجال الاجتماعي، وهو مكثّف منوّع، «وظف» فيه مختلف مشاهداته ونشاطاته ونقاشاته وتأملاته للحقيقة التي يريدها، وهي «تصنيف» أمريكا وحضارتها في سلّم الحضارات. وعرض هذا على الآخرين حتى لا ينخدعوا.

إذا ذهب إلى فندق أمعن نظراته فيه وفي نزلائه وناقش هؤلاء. وإذا دخل إلى معهد أو جامعة أمعن نظراته وناقش «شرائح» اجتماعية فيه في

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) الظلال ٢: ١٠٩١ باختصار.

موضوعات أخلاقية واجتماعية وحضارية وفنية وأدبية. وإذا مرض ودخل «مستشفى» للعلاج وظّف ما يجده فيه وما يكتسبه من نظرات وتأملات ونقاشات لهدفه الذي يريد. وإذا جمعته جلسة مع أفراد من الأمريكيين - من مختلف التخصصات والاتجاهات - عرض خلفية تفكيرهم واهتماماتهم وعرّى نفسياتهم وثقافاتهم. . عرض بدائيتهم في كل شيء: في الأفكار والمعارف والثقافات، وفي الآداب والفنون، وفي أذواقهم في الطعام والشراب واللباس والزينة والجنس والشهوات.

وإذا دخل مدينة حرص على تفحصها واكتشافها وتسجيل حقيقة الحياة فيها، وانخرط في مظاهر حياتها الاجتماعية.

وإذا رأى الكنائس في المدينة يسعى إلى تفسير كثرتها وجمالها الخارجي، وينخرط في ناديها، ويدلف إلى مبانيها، ويتفحص الداخلين إليها، ويتعجب من مسارعتها - وهي المبنية للعبادة - إلى جذب أفراد الجنسين، مستخدمة في ذلك وسائل لا أخلاقية من الجنس والإباحية، داعية الشباب والشابات إلى الفجور والعربدة في ردهاتها، وممراتها ولْيبارك «ربهم» فجورهم وعهرهم.

وإذا انتقل إلى متحف للفن أمعن النظر فيه، وفي روّاده وزائريه، وحلّل أذواقهم في ذلك.

وإذا جلس مع مفكرين أو أدباء أو صحفيين أو سياسيين، عرض عليهم نماذج شوهاء من مجتمعاتهم، وأتبعها بنماذج سامقة ومضيئة للمسلمين.

وإذا زار دار صحيفة يسعى إلى الكتابة فيها، مقالات انتقادية سياسية، واجتماعية لاذعة لنقد الحياة الأمريكية.

وإذا رأى منظراً ساحراً طبيعياً يأنس به «ويستخسره» على الأمريكيين البدائيين! وكم تعجب ودهش واستغرب عندما رأى سرب حمائم وادعة في نيويورك، لأنه لا وجود له وسط هذه «الورشة» فكأنه شاذ نشّاز.

وإتذا رأى عشرات الأمريكيين يسارعون إلى أعمالهم الوظيفية الرتيبة

في الصباح والمساء، راعه أداؤهم للحياة وممارستها بطريقة ميكانيكية آلية، لا تختلف عن أداء الآلات التي يصنعونها، والمصانع التي يشيدونها.

وإذا ضجر من هذه المشاهد الآلية، وسئم من هذه النماذج البشرية الشائهة، وتصبّ من هذه الدراسات الفاحصة، و«قرف» من هذه الورشة الصناعية الضخمة... غادر المصانع والآلات ـ اليدوية والبشرية ـ إلى جمال الطبيعة الحالم، ومشاهدها الساحرة، وانساب إليها، وقضى أوقاتاً ممتعة، ولحظات زاكية مباركة، يتذوق جمالها، ويعيش سحرها، ويتحسّس مظاهر «النِّعمية» فيها باعتبارها من نِعَم الله الساحرة، التي لا يلتفت إليها الصناعيون.

وبعد هذا كله كم كان يحزنه ويؤلمه ويسوءه أن يرى في مصر ـ أرض الكنانة ـ من يدعو إلى ممارسة الحياة على الطريقة الأمريكية: سياسياً أو اجتماعياً أو فنياً أو اقتصادياً أو حضارياً. ويشفق على وطنه أن يكون صورة شوهاء لوجود أمريكي مشوّه.

٨ ـ عودته إلى مصر:

في أيام سيد قطب الأخيرة. في أمريكا، سيطر عليه الشوق والحنين إلى مصر، وكم كان يتمنى أن يعود إليها، ويمتّع نفسه بجمالها.

وبما أن بعثته إلى أمريكا لم تكن محددة بزمن معين، ولا بخطة دراسية خاصة ـ كما بيّنا ـ فقد كان أمر إنهائها بيده هو، يعود متى شاء.

وبما أن إخراجه من مصر كان عملية للتخلص منه، فقد رأى أن الظروف قد تغيرت ـ نوعاً ما ـ ولا سيما أن قبضة الملك فاروق على البلاد قد ضعفت، وصار في البلاد نوع من الديمقراطية أكثر من ذي قبل، وكانت البلاد تعيش عدة تيارات ودعوات متضاربة، ولا يعلم أحد ما تتمخض عنه الأحداث.

لهذا كله أدرك سيد أن مكانه الطبيعي بين أهله وإخوانه، وفي خدمة

أمته ووطنه، وأن من واجبه ـ وقد أفلت من الحصار والاحتواء الأمريكي ـ أن يُبصِر الناس ويحذرهم مكر الماكرين.

عندها قرر سيد العودة إلى مصر عام ١٩٥٠.

وقد نظم ـ وهو في أمريكا وفي مدينة سان فرنسيسكو بالذات ـ قصيدة حمّل كلماتها شوقه وحنينه إلى أرض الكنانة، قال في الأولى التي سمّاها «دعاء الغريب».

يا نائيات الضفاف — هنا فتاك الحبيب
عليه طال المطاف — متى يعود الغريب
متى تمسّ خطاه — ذاك الأديم المغبر
متى تشم شذاه — كالأقحوان المعطر
متى ترى عيناه — تلك الربوع المواثل
أحلامه ومناه — تدعوه خلف الحوائل
حنينه رفّاف — إلى الديار البعيدة
متى متى يا ضفاف — تأوي خطاه الشريدة

إلى أن يقول فيها:

يا أرض ردّي إليك — هذا الوحيد الغريب
هواه وقف عليك — ردّي فتاك الحبيب(١)

وقال في الثانية «هتاف الروح»:

في الجو يا مصر دفء — يدني إليَّ خيالك
وتستجيش حنيني — إلى الليالي هناك
للأمسيات السكارى — نشوى ترفّ خيالك
ونسمة فيك تسري — ريانة من جمالك
نجواك ملء فؤادي — تُرى خطرت ببالك

(١) مجلة الكتاب مجلد ٩ جزء ٦ السنة الخامسة: يونية ١٩٥٠ صفحة ٩٤٧.

إلى أن يقول فيها:

في النفس يا مصر شوق لخطرة في رباك
لضمة من ثراك لنفحة من جواك
لومضة من سماك لهاتف من رؤاك
لليلة فيك أخرى مع الرفاق هناك
ظمآن تهتف روحي متى تراني أراك[1]؟

وإن شوق سيد إلى مصر، ولهفة نفسه إليها، وحنينه لرؤيتها، يكاد يبرز من خلال كلمات هاتين القصيدتين، ونكاد نراه مجسماً محسوساً ملموساً.. ونكاد نرى مشاعر سيد وأشواقه وأحلامه وخواطره. بل إنه يبدو ـ من خلال القصيدتين ـ وقد تحوّل إلى مجموعة من المشاعر والأشواق، وليس مجرد إنسان عنده شوق وحنين!!

وقد أخبر أهله ومعارفه بموعد قدومه إلى مصر. وكان في مقدمة معارفه الذين علموا بذلك الموعد عباس خضر ـ وقد كان يحرِّر زاوية ثابتة في مجلة الرسالة هي زاوية الأدب والفن في أسبوع. فسارع بنشر ذلك الخبر في زاويته. وجاء فيها قوله:

«يصل بالطائرة يوم ٢٠ أغسطس الحالي (١٩٥٠) الأستاذ سيد قطب عائداً من أمريكا، حيث كان مبعوثاً من وزارة المعارف لدراسة النظم التعليمية هناك..»[2].

وما أن حلّ ذلك الموعد حتى حطّت قدما سيد أرض مصر وسط استقبال وترحاب أهله ومعارفه وأصدقائه ومحبّيه.

---

(١) الرسالة سنة ١٨ مجلد ١ عدد: ٨٧٧ تاريخ ٢٤ إبريل: صفحة ٤٧٢.
(٢) الرسالة سنة ١٨ مجلد ٢ عدد: ٨٩٤ تاريخ ٢١ أغسطس صفحة: ٩٥٨.

وبذلك عاد إلى مصر بعد أن غاب عنها سنتين كاملتين في أمريكا ـ من أغسطس ١٩٤٨ حتى أغسطس ١٩٥٠.

لكنه عاد صاحب رسالة ودعوة، ممتلئاً بالتجارب والخبرات، حيث كانت أمريكا بداية المنعطف الجديد في حياته، لقد وجد نفسه وإيمانه وإسلامه هناك، فسار في طريقه حتى نال الشهادة.

وبعد ما عاد من أمريكا ظن البعض أنه حصل على درجة الدكتوراة، وأطلقت عليه إحدى الصحف لقب «دكتور» فسارع بالتصحيح وأنه ليس دكتوراً. يقول السيد عباس خضر حول هذا: «كان سيد جادّاً مترفعاً، أذكر عقب عودته من أمريكا أن كتبت عنه جريدة «المصري» شيئاً قالت فيه: «الدكتور سيد قطب» فكتب في العدد التالي أنه ليس دكتوراً.. وكان يمكن أن يترك ذلك اللقب يجري على الأقلام والألسنة ويشيع مسنداً إليه.. كما يفعل بعض المواطنين..»[1].

٩ ـ هجومه على أمريكا:

عاد سيد قطب إلى عمله في وزارة المعارف، في إدارة التفتيش الفني، عاد مؤهلاً بخبرات وتجارب ومناهج من بعثته إلى أمريكا تؤهله ليمارس دوره في وضع المناهج والنظم التعليمية للوزارة، وهو من الأنسب منه ليقوم بذلك العمل، وهو العائد من أمريكا؟

توقعت أمريكا وعملاؤها في مصر من سيد أن ينقل المناهج والأساليب الأمريكية إلى مصر، وأن يتبناها ويقررها.. ولكن سرعان ما فجعوا بآمالهم في سيد، وتبددت أحلامهم وخابت ظنونهم.

لقد عاد سيد إلى مصر رجلاً مؤمناً ملتزماً، صاحب رسالة ودعوة وغاية، استمدّها من دينه، وسعى إلى أداء رسالته وحرص على مرضاة ربه.. لذلك عمل على تحقيق هذه الرسالة في الأعمال التي أسندت إليه، والمهام التي

---

(١) الثقافة: المجلد الثامن السنة الرابعة عدد: ٤٧ أغسطس ١٩٧٧ صفحة: ٥٠.

نيطت به.. فعمل على النظر في المناهج والنظم والأساليب التعليمية من خلال الإسلام ومبادئه وتوجيهاته، وأراد صوغ ذلك وفق تلك المبادىء والتوجيهات.. وهو في هذا أغضب الأمريكان وعملاءهم. فحصل الصدام بينه وبينهم، ووقفوا في وجهه، وعملوا على عرقلة عمله وتعطيل خطته.. ونتج عن ذلك الحيلولة بينه وبين العمل والتنفيذ، فأصبح عمله في وزارة المعارف «مشلولاً».. ولذلك لم يجد أمامه إلا الاستقالة من الوزارة... وهكذا كان.. حيث تفرغ بعد ذلك للعمل للإسلام كتابة ودعوة وجهاداً.

وقد أخبرنا عن بعض العقبات التي وضعت أمامه في وزارة المعارف بقوله: «ألم أُحاول عشرين مرة ـ بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا ـ أن أُنشىء لوزارة المعارف إدارة فنية صحيحة، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم، ففشلت في هذه المرات فشلاً ذريعاً، لأن المراد في هذه المرة كان إصلاحاً في الصميم»(١).

وحول أساس الاختلاف بين سيد وبين رجال أمريكا في وزراة المعارف يقول الأستاذ يوسف العظم: «أول ما نادى الرجل المسلم والمفكر القرآني أن مناهج التربية الأمريكية مناهج غريبة عنّا لا تنبع من أعماق جذور أمتنا ولا ترتبط بأصالتها برباط. ودعا إلى اتخاذ المنهاج الإسلامي الشامل المتكامل أساساً للتربية في ديار الإسلام، فقامت قيامة الأبواق الأمريكية في وزارة التربية والتعليم المصرية، وكان على رأسها يومئذ الأستاذ إسماعيل القباني يغفر الله له..»(٢).

وبعد ما ترك وزارة المعارف صار يهاجم أمريكا باستمرار، يهاجمها في رجالها وعملائها، في حياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية، في مناهجها التعليمية والاجتماعية، ويكشف دورها في السيطرة على بلدان العالم الثالث، ويفضح أساليبها في توجيه الحياة في مصر ـ وغيرها ـ إلى الوجهة الأمريكية،

---

(١) الرسالة سنة ٢٠ مجلد ١ عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢ صفحة: ٨٣٧.
(٢) رائد الفكر الإسلامي المعاصر ليوسف العظم: ٣٤.

ويبيّن نفوذها وسيطرتها على وزارة المعارف وعلى صحف ومجلات مصرية، وعلى رجال السياسة والاقتصاد والأدب والفكر في البلاد.

ما ترك وسيلة متاحة إلا واستخدمها في هذه المهمة، سواء كانت جلساته وأحاديثه وحواره مع الناس، أو مقالاته في الصحف والمجلات، أو محاضراته في النوادي والجمعيات، أو تحليلاته السياسية أمام الزائرين، أو كتبه التي يصدرها.

قال في مقالة «عدونا الأول: الرجل الأبيض»: الذين يعتقدون أن الأمريكان يمكن أن يكونوا معنا ضد الاستعمار الأوروبي هم قوم إما مغفلون أو مخادعون، يشتغلون طابوراً خامساً للاستعمار المنتظر لبلاد الشرق الأوسط!

إن مصالح الاستعمار الأمريكي قد تختلف أحياناً مع مصالح الاستعمار الأوروبي، ولكن هذا ليس معناه أن يكونوا في صف استقلالنا وحريتنا. إنما معناه أن يحاولوا زحزحة أقدام الأوروبيين ليضعوا هم أقدامهم فوق رقابنا. وفي الغالب هم يجدون حلًّا لخلافاتهم مع الاستعمار الأوروبي على حسابنا.

إن الرجل الأبيض هو عدونا الأول. سواء كان في أوروبا أو كان في أمريكا.. وهذا ما يجب أن نحسب حسابه. ونجعله حجر الزاوية في سياستنا الخارجية، وفي تربيتنا القومية كذلك.

.. ولكن الذي نفعله هو عكس هذا على خط مستقيم.. عندنا في وزارة المعارف عبيد للرجل الأبيض.. عبيد يعبدون هذا الرجل كعبادة الله.. بل إنهم ليلحدون في الله ولا يلحدون في أوروبا أو أمريكا. سرّاً وعلانية..

وعندنا في معاهد التربية التي تخرج المدرِّسين، فتؤثر بذلك في عقلية أجيال بعد أجيال.. عندنا فتات آدمي ينظر إلى الرجل الأبيض نظرة التقديس، ويطبع مشاعر الطلبة الذين سيصبحون مدرِّسين بطابع الإعجاب والقداسة لأولئك المستعمرين القذرين، الذين يحتقروننا ويهينون كرامتنا، فنتلقى ذلك منهم بالشكر والثناء.. وهذه جناية قومية وجناية إنسانية..

. . . هذا هو الاستعمار الذي بثّه في أرواحنا المدرسة المصرية التي تنفذ أهداف الاستعمار إلى اللحظة الحاضرة. بل يقوم على رأسها وزير كان من عُباد إنجلترا ثم أضحى من عُباد أمريكا ومعه معاهد تربية تتعبد أمريكا من دون الله في الأرض!!.

إلى أن يقول: «إن الاستعمار لا يغلبنا اليوم بالحديد والنار، ولكنه يغلبنا قبل كل شيء بالرجال الذين استعمرت أرواحهم وأفكارهم، يغلبنا بهذا السوس الذي تركه الاستعمار في وزارة المعارف، وفي الصحف، والكتب، يغلبنا بهذه الأقلام التي تغمس في مداد الذل والهوان الروحي لتكتب عن أمجاد فرنسا، وأمجاد بريطانيا وأمجاد أمريكا. . »[1].

وأعطانا نموذجاً عملياً لتنافس الدول المستعمرة ورجال مخابراتها على احتواء وتجنيد واكتساب المسؤولين والمتنفذين وقادة الرأي والفكر في مصر. هذا النموذج هو الدكتور طه حسين، وما فعل به الإنجليز عندما صار وزيراً للمعارف: «فهم يعرفون أن ميول الرجل ـ حسب ثقافته فرنسية ـ فلما صارت إليه وزارة المعارف أدركوا أن هناك خطراً على الثقافة الإنجليزية قد يصيبها مع وجود هذا الوزير. وهنا فقط تذكروا أن طه حسين أديب كبير، يستحق الدعوة إلى إنجلترا والضيافة على الحكومة البريطانية والمعهد البريطاني والتكريم بالألقاب الجامعية من جامعات بريطانيا. . فقط عندما صار وزيراً للمعارف! إنه الاستعمار يخشى على حبائله في وزارة المعارف أن تتكشف أو تتزعزع. . »[2].

وعن سيطرة رجال المخابرات الأجنبية ـ والأمريكية على وجه الخصوص ـ على الصحف والمجلات في مصر، وتوجيهها لها لتخدم مخططات أولئك الأعداء يقول: «إن الصحف المصرية ـ إلا النادر القليل ـ مؤسسات دولية، لا مصرية ولا عربية، مؤسسات تساهم فيها أقلام

(١) الرسالة سنة ٢٠ مجلد ٢ عدد: ١٠٠٩ تاريخ ٣ نوفمبر ١٩٥١ صفحا ١٢١٧ ـ ١٢١٩ باختصار.

(٢) معركة الإسلام والرأسمالية: ١٠٠ ـ ١٠١.

المخابرات البريطانية والأمريكية والمصرية والعربية أخيراً!! مؤسسات تحرّر صفحات كاملة فيها بمعرفة أقلام المخابرات هذه لتروج دعايتها في أوساط الجماهير، مؤسسات تخدم الرأسمالية العالمية أكثر مما تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة، وهذا هو السر في أن الدولة لا تفرض عليها القيود التي تفرض على الكتب. لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية، وهي كفيلة بأن تسندها وتذلل لها العقبات وتفسح لها الطريق، لنشر دعايتها المستوردة في أطراف البلاد العربية جميعاً»[1].

نكتفي هنا بهذه النماذج لهجومه على أمريكا، وكشفه لمكرها ومؤامراتها، وتفنيده لأفكارها، لأن هدفنا هو جمع كلامه المتفرق في المقالات والكتب عن أمريكا، وسيقف القارىء على تحليلاته الصائبة في القسم الثاني من هذا الكتاب بإذن الله.

---

(١) الرسالة سنة ١٩ مجلد ١. عدد ٩٤٣ تاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥١ صفحة ٨٥٤.

الفصل الثاني

تقييم سيد قطب لأمريكا

١ ـ أساس التقييم:

يختلف تقويم الناس للأمر الواحد نظراً لاختلاف الأساس الذي سلكه كلٌّ منهم في التقويم، واختلاف النظرة التي ينظر من خلالها إليه، والأرض التي يقف عليها، والزاوية التي ينطلق منها، والمنظار الذي ينظر به... وتختلف تبعاً لذلك الأحكام الصادرة على ذلك الشيء.

وبالنسبة لموضوعنا «تقويم أمريكا» يختلف الناس فيها، تبعاً لاختلاف الأدوات التي سلكوها في التقويم ثم التقييم.

فأمريكا عند المتأثرين بها «المضبوعين» بقوتها المفتونين بتقدمها. هي أقوى دولة، وأساس الحضارة، وكعبة العلم، والمثال الذي يحتذى في التقدم العلمي والمادي والتكنولوجي والحضاري. وعلى كل من أراد التقدم أن يسير على خطاها وأن يقتفي آثارها.

وأمريكا عند من يعتبر الحضارة هي التقدم المادي والعلمي والتكنولوجي هي أمّ الحضارة وزعيمة العالم.

وأمريكا عند «المهزومين» سياسياً وعسكرياً ونفسياً وحضارياً: هي القوة الضاربة، وصاحبة السطوة والسلطان، التي لا يجوز أن يخرج أحد عليها أو يخالف توجيهاتها ورغباتها.

وأمريكا عند «المفتونين» بالديمقراطية والحرية الشخصية والاقتصادية

والاجتماعية، هي «أمّ الحرية» وموطن الديمقراطية، وراعية الحقوق الإنسانية. . .

هذه أمريكا في نظرة الماديين والمخدوعين والمضبوعين والمهزومين والمفتونين، وهؤلاء هم السذّج البله الغافلون الجاهلون، ولا يخرجون عن هذه الصفات وإن كثر عددهم في البلاد، وإن تسلموا مركز المسؤولية والتوجيه والتربية والتخطيط في البلاد الإسلامية كما هو الحاصل في هذه الأيام؟!

ولكن أمريكا في منظار المؤمنين شيء آخر، وهي بميزان المؤمنين لها قيمة أخرى، ويخرج هؤلاء المؤمنون المبصرون بنتيجة صادقة وأحكام صائبة على أمريكا وقوتها، عندما يستخدمون الأدوات الصحيحة في التقييم، والمنظار الإسلامي في النظر، والميزان القرآني في الوزن، والأساس الرباني في التقويم والتقييم.

إنهم يقيسونها بما تملك من القيم والأخلاق والاعتبارات الإنسانية، وما يتمثل فيها من مبادىء ومُثُل وأعراف مدنية إنسانية، وما تملك من رصيد الفطرة الإنسانية الصافية التي فطر الله الناس عليها. وما تولّيه من اهتمامات بالروح والنفس والمشاعر والأحاسيس. ومن ثم يتساءلون عن مقدار ما أضافته إلى رصيد التاريخ الإنساني والحضارة الإنسانية والفضائل الإنسانية والروح الإنسانية. . .

وهكذا يجب أن تكون النظرة وأن يكون التقدير والتقويم والتقييم، وأن يكون الميزان والحكم والتوجيه. يجب النظر بالمنظار القرآني، ويجب الانطلاق من الأرضية بالإيمانية والزاوية الإسلامية، ويجب استعمال الميزان الرباني والمقياس الإيماني في ذلك.

والذي يفعل ذلك يكون رجلاً مؤمناً بصيراً ذكياً فطناً عاقلاً صاحب لبّ ووعي. وبصر وبصيرة. . . ومن ثم تكون أحكامه ونظراته وتحليلاته صائبة صادقة صحيحة دقيقة سليمة موضوعية منهجية. .

وسيد قطب في دراسته لأمريكا وتحليله لها وكلامه عنها، استخدم تلك الأدوات والوسائل والأسس والموازين الإيمانية. وما كان له أن يستخدم غيرها، لأنه عرف دينه وإسلامه وإيمانه، وانطلق من ذلك في عملية التقييم.

يخبرنا عن المنهج والأساس الذي انطلق منه في تقييم أمريكا بقوله:

«أمريكا.. أمريكا.. أمريكا هذه كلها.. ما الذي تساويه في ميزان القيم الإنسانية؟ وما الذي أضافته إلى رصيد البشرية من هذه القيم، أو يبدو أنها ستضيفه إليه في نهاية المطاف؟

أخشى أن لا يكون هناك تناسب بين عظمة الحضارة المادية في أمريكا، وعظمة «الإنسان» الذي ينشىء هذه الحضارة. وأخشى أن تمضي عجلة الحياة، ويُطوى سجل الزمن، وأمريكا لم تضف شيئاً ـ أو لم تضف إلا اليسير الزهيد ـ إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم، التي تميز بين الإنسان والشيء، ثم بين الإنسان والحيوان.

إن كل حضارة من الحضارات التي مرّت بها البشرية لم تكن كل قيمتها فيما ابتدعه الإنسان من آلات، ولا فيما سخره من قوى، ولا فيما أخرجت يداه من نتاج.. إنما كان معظم قيمتها فيما اهتدى إليه الإنسان من حقائق عن الكون، ومن صور وقيم للحياة، وما تركه من هذا الاهتداء في شعوره من ارتقاء، وفي ضميره من تهذيب، وفي تصوره لقيم الحياة من عمق والحياة الإنسانية بوجه خاص، مما يزيد المسافة بُعداً في حسابه وحساب الواقع، بينه وبين مدارج الحيوانية الأولى في الشعور والسلوك، وفي تقويم الحياة وتقويم الأشياء.

فأما ابتداع الآلات، أو تسخير القوى أو صنع الأشياء، فليس له في ذاته وزن في ميزان القيم الإنسانية، إنما هو مجرد رمز لقيمة أساسية أخرى: هي مدى ارتقاء العنصر الإنساني في الإنسان، ومدى الخطوات التي يبعد بها عن عالم الأشياء، وعالم الحيوان. أي مدى ما أضاف إلى رصيده الإنساني من جراء فكرته عن الحياة، وفي شعوره بهذه الحياة.

هذه القيمة الأساسية هي موضع المفاضلة والموازنة بين حضارة وحضارة. وبين فلسفة وفلسفة، كما أنها هي الرصيد الباقي وراء كل حضارة، المؤثر في الحضارات التالية، حين تتحطم الآلات وتفنى الأشياء، أو حين تنسخها آلات أجدّ وأشياء أجود، مما يقع بين لحظة وأخرى، في مشارق الأرض ومغاربها..»[1].

وتطبيقاً لهذا الأساس والمنهج في النظرة إلى أمريكا و«حضارتها» يخرج بنتيجة محددة من ذلك يقول فيها: «وإنه ليبدو أن العبقرية الأمريكية كلها قد تجمعت وتبلورت في حقل العمل والإنتاج، بحيث لم تَبق فيها بقية تنتج شيئاً في حقل القيم الإنسانية الأخرى... ولقد بلغت في ذلك الحقل ما لم تبلغه أمة، وجاءت فيه بالمعجزات التي أحالت الحياة الواقعية إلى مستوى فوق التصور وفوق التصديق لمن لم يشهدها عياناً.

ولكن «الإنسان» لم يحفظ توازنه أمام الآلة، حتى ليكاد هو ذاته يستحيل آلة، ولم يستطع أن يحمل عبء العمل المنهك ثم يمضي قدماً في طريق الإنسانية، عندئذ أطلق للحيوان الكامن العنان، ضعفاً عن أن يحمل عبء العمل وعبء «الإنسان»[2].

أمريكا لا ترى إلا العمل والكدح، ولا تؤمن إلا بالعمل والكدح، ولا تزن الأفكار والمعاني إلا بميزان العمل والكدح، ولا تعرف الرجال والعباقرة إلا بمنظار العمل والكدح. جميل أن يكون في الحياة عمل وكدح، جميل أن يكون في الحياة لذة ومتاع. ولكن على أن لا يستغرق كلاهما الحياة. على أن تبقى فترة للتأمل الهادىء، والتطلّع إلى آفاق أعلى من اللذة والمتاع. ولكن «العالم الجديد» لا يعرف الحياة إلا كدحاً في العمل المادي حتى اللغوب، وارتشافاً للذة الحسيّة حتى الهمود... حتى التفكير يكاد يكون جهداً عضلياً. فهو جهد غايته تحسين المصنع، وترقية المعمل وإدارة العمل، وتنظيم الأشغال؟

(١) الرسالة سنة ١٩ عدد ٩٥٧ تاريخ ٥ نوفمبر ١٥٩١ صفحات: ١٢٤٥ ـ ١٢٤٦.
(٢) المرجع السابق: ١٢٤٦.

والحب! الحب الذي يطلق الطاقات الإنسانية جميعاً. . . إنه هنا في أمريكا جسد يتشهى جسداً، وحيوان يتشهى حيواناً، ولا وقت للأشواق الروحية. . »[1].

٢ ـ أصل الأمريكيين ونفسياتهم:

لماذا تركيز الأمريكيين على العمل والإنتاج؟ لماذا يغفلون الروح والأخلاق والقيم الإنسانية؟ ما هي جذور هذا الطريق الذي اختارته أمريكا؟ وما هي بواعث هذا الاختيار؟ لقد أجاب سيد قطب على ذلك بإيجاز، وأشار إلى بواعث وأسباب ذلك باختصار.

يقرر سيد أن أمريكا ليست فريدة ولا متفردة، بل هي غصن جديد للشجرة الشيطانية والنبت الخبيث النكد، تلك هي «المادية الجاهلية» التي تسمى الحضارة الأوروبية، هذه الشجرة أنتجت أغصاناً وفروعاً، تحمل سمات وصفات وخصائص ذلك النبت الخبيث الشيطاني، فذاك فرع «إنجليزي» وذاك فرع «فرنسي» وهذا غصن «ألماني» وذاك غصن «روسي» وذاك غصن «إسباني» أو «برتغالي» أو «هولندي» أو «إيطالي» وأخيراً أنتجت تلك الشجرة «الغصن الأمريكي» في العالم الجديد.

لا غرابة ولا عجب أن تتمثل في أمريكا خصائص وسمات العقلية الغربية المشوهة، والنفسية الغربية الممسوخة، والوجود الغربي الممزق.

يقول سيد في مقاله «الضمير الأمريكاني وقضية فلسطين».

«فها هي ذي أمريكا تتكشف للجميع. هذا هو «ترومان» يكشف عن الضمير الأمريكاني في حقيقته، فإذا هو نفسه ضمير كل غربي، ضمير متعفن لا يثق به إلا المخدوعون.

إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد، هو تلك الحضارة المادية التي لا قلب لها ولا ضمير. تلك الحضارة التي لا تسمع إلا صوت الآلات، ولا

---

(١) مجلة الكتاب. مجلد ٨ جزء ١٠ ديسمبر ١٩٤٩ صفحة: ٦٦٧.

تتحدث إلا بلسان التجارة، ولا تنظر إلا بعين المرابي، والتي تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس.

كم ذا أكره أولئك الغربيين وأحتقرهم؟ كلهم جميعاً بلا استثناء: الإنجليز، الفرنسيون، الهولنديون. وأخيراً الأمريكان الذين كانوا موضع الثقة من الكثيرين..»[1].

هذا عن الصلة بين الأصل والفرع، ومظاهر الاتفاق بين أمريكا وأمها أوروبا. أما نفسيات الأمريكيين الأوائل وهم يغادرون أوروبا إلى أمريكا فيكشفها سيد بقوله: «ويحسن ألّا ننسى الحالة النفسية التي وفد بها الأمريكي إلى هذه الأرض فوجاً بعد فوج، وجيلاً بعد جيل، فهي مزيج من السخط على الحياة في العالم القديم، والرغبة في التحرّر من قيوده وتقاليده»[2].

أما أصل الأمريكيين فهو عجيب! من هم الأجداد الأوائل الذين وصلوا إلى أمريكا؟ وما هي صفاتهم وملامحهم؟ وما هو سجلهم الحياتي؟ وما هي أهدافهم العملية؟ يحدد سيد قطب هؤلاء بأنهم فريقان: فريق المجرمين واللصوص والقتلة! وفريق المغامرين طلّاب الثراء والمتعة والمتاع، وكل شخص من أولئك الأجداد إما أن يكون مجرماً أو مغامراً أو قد يجمع بين الصفتين الخبيثتين معاً!

«ويحسن كذلك ألّا ننسى الحالة الاجتماعية والفكرية لغالبية هذه الأفواج الأولى، التي تألفت منها نواة هذا الشعب الجديد. فهذه الأمواج هي مجموعات من المغامرين ومجموعات من المجرمين، فالمغامرون جاءوا طلّاب ثراء ومتاع ومغامرات. والمجرمون جيء بهم من بلاد الامبراطورية الإنجليزية لتشغيلهم في البناء والإنتاج..»[3].

---

(١) الرسالة سنة ١٤ مجلد ٢ عدد ٦٩٤ تاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٤٦ صفحة: ١١٥٥.
(٢) الرسالة سنة ١٩ مجلد ٢ عدد ٩٥٧ تاريخ ٥ نوفمبر ١٩٥١ صفحات ١٢٤٥ - ١٢٤٦.
(٣) الرسالة - المرجع السابق - صفحة: ١٢٤٧.

واستمرت هذه الصفات والملامح في الأمريكيين، حيث انتقلت من الأصل إلى الفرع بمثابة «جينات» وراثية، وملامح بارزة. واكتسب الابن والحفيد سمات وملامح ونفسية الأب والجد! والأمريكي «الحفيد» إما أن يكون مغامراً مادياً، أو مجرماً محترفاً، أو مغامراً مجرماً في نفس الوقت! وأنعِم بنظام يقيمه هؤلاء، وبحضارة ينشئها هؤلاء، وبقوة يشيدها هؤلاء. وترحم على الإنسانية المشوهة الممسوخة عند هؤلاء، وعلى البشرية السلام إذا قادها هؤلاء!!

٣ ـ الأمريكيون وصراع البقاء:

الأمريكيون الأوائل عاشوا حياتهم في صراع البقاء، وأمضوا عمرهم كله في هذا الصراع، واحترقوا بأتون المعركة الشديدة العنيدة. وأخذ أحفادهم هذا الأمر، وورثوا منهم هذه الصفة، وأمضوا عمرهم في صراع متشعب الجوانب، متعدِّد القوى، لكنه صراع حادّ مرير. يُعلي جوانب القوة المادية والعضلية للإنسان، ويشوِّه معالمه الإنسانية، وقيمه الأخلاقية، ويغلق الباب أمام الروح والمشاعر والعواطف والأحاسيس، لأنها لا وجود لها في وسط الصراع الذي يتنافى مع الرحمة والعطف والإنسانية!!

يتحدث سيد قطب عن صراع البقاء الذي عاشه الأمريكيون «الأجداد» مع الطبيعة وهم في طريقهم إلى أمريكا، ثم وهم يجوبون مجاهل أمريكا فيقول: «وقد يدهش الإنسان وهو يقرأ قصص الجماعات الأولى التي هاجرت إلى أمريكا في أيامها الأولى، ويتصور كفاحها الطويل العجيب، مع الطبيعة الجامحة في تلك الأصقاع المترامية، ومن قبل مع أنواء المحيط الرعيبة وأمواجه الجبارة، وفي تلك القوارب الصغار الخفاف، حتى إذا رست على الصخور محطمة أو ناجية، لقيت النازحين مجاهل الغابات، ومتاهات الجبال، وحقول الجليد، وزعازع الأعاصير، ووحوش الغابات وأفاعيها وهوامها...

... ولقد قابلوا الطبيعة بسلاح العلم وقوة العضل، فلم تثر فيهم إلا

قوة الذهن الجاف، وقوة الحسّ العارم، ولم تفتح لهم منافذ الروح والقلب والشعور، كما فتحتها في روح البشرية الأولى...»[١].

أما الأبناء الذين ولدوا في هذا الجو الحربي، جو المعركة وصراع البقاء، فقد فتحت عيونهم على العلم والمادة، وأغلقت منافذ حسّهم على العواطف، وزوت أرواحهم وأخلاقهم ومشاعرهم في أطواء نفوسهم وكمنت هناك لعلّها تجد لها منفذاً أو متنفساً! ولكن أنّى لها أن تجد ذلك!! «أما في أمريكا فقد ولد الإنسان على مولد العلم، فآمن به وحده، بل آمن بنوع منه خاص، هو العلم التطبيقي، لأنه وهو يواجه الحياة الجديدة في القارة الجديدة، وهو يتسلم الطبيعة هناك بكراً جامحاً عنيدة، وهو يهم أن ينشىء ذلك الوطن الجديد الذي أنشأه بيده، ولم يكن له من قبل وجود، وهو يصارع ويناضل لبناء هذا الوطن الضخم. كان العلم التطبيقي هو خير عون له في ذلك الجهد العنيف..»[٢].

ونتيجة لذلك أصبح الأمريكي مادياً غليظاً، صاحب حس مادي جاف، وتفكير مادي خشن، واتّسمت حياته ونظراته بالمادية والآلية.

٤ ـ الأمريكيون وشهوة الحرب:

نتج عن الصراع العنيف الذي عاشه الأمريكيون وتوالدوا في جوِّه، نتج عن ذلك أمر جديد ملازم لكيانهم وحياتهم ووجودهم، واعتُبر فيما بعد سمة دائمة لهم، وطبيعة مميزة لهم. هذا الأمر هو الحرب والانتقام، والحقد والتشفّي، لم يكونوا يحاربون لحاجة أو مصلحة أو ضرورة، وإنما إشباعاً لرغبة الانتقام والتشفّي فيهم، وتلبية لشهوة الحرب المتأصلة فيهم، الحرب للحرب هي سمة الحروب العنيفة التي خاضها الأمريكيون في داخل أمريكا وخارجها. وما الحروب التي أثارتها أمريكا وأوقدت نارها في العالم بخارجة عن تحقيق تلك الشهوة، وتنفيذ تلك الرغبة.

---

(١) الرسالة سنة ١٩ مجلد ٢ عدد ٩٥٧ تاريخ ٥ نوفمبر ١٩٥١ صفحة ١٢٤٧.
(٢) المرجع السابق: ١٢٤٦.

ومنذ أن ظهرت أمريكا على المسرح العالمي كقوة عظمى وقائدة للبشرية، وهي تشعل الحروب الباردة والفاترة والساخنة والملتهبة والحمراء في مختلف بقاع العالم، وحتى تخفي هذه الرغبة المدمرة، وتغلّف تلك الشهوة الجارفة، ادّعت أنها دولة محبّة للسلام، داعية إليه حريصة عليه، وأنها لا تشعل الحروب ولا تفني من البشر ولا تتلف من الأموال والإمكانيات إلا لتحقيقه!! وصدّق المخدوعون تلك الإشاعة، وراجت فيهم تلك الخرافة: خرافة أن الشعب الأمريكي شعب محبّ للسلام.

يقول سيد عن سيطرة رغبة الحرب على أمريكا، وتحكّم شهوة الحرب في أفرادهم:

«إن الأمريكي بفطرته محارب محبّ للصراع. وفكرة الحرب والصراع قوية في دمه، بارزة في سلوكه، وهذا هو الذي يتفق مع تاريخه كذلك. فقد خرجت الأفواج الأولى من أوطانها قاصدة إلى أمريكا بفكرة الاستعمار والمنافسة والصراع. وهناك قاتل بعضهم بعضاً وهم جماعات وأفواج. ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) وما يزالون يحاربونهم حرب إفناء حتى اللحظة الحاضرة. ثم قاتل العنصر الأنجلوسكسوني العنصر اللاتيني هناك، وطرده إلى الجنوب في أمريكا الوسطى والجنوبية. ثم حارب المتأمركون أمّهم الأولى إنجلترا في حرب التحرير بقيادة «جورج واشنطن» حتى نالوا استقلالهم عن التاج البريطاني ثم حارب الشمال الجنوب بقيادة «إبراهام لنكولن» تلك الحرب التي اتّسمت بسمة «تحرير العبيد» وإن كانت دوافعها الحقيقية هي المنافسة الاقتصادية...

وانقضت فترة العزلة، وانتهت سياستها، عندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى، ثم اضطلعت بالحرب العالمية الثانية. ثم ها هي ذي تنهض بالحرب في كوريا، والحرب العالمية الثالثة ليست بالبعيدة! ولست أدري إذن كيف راجت تلك الخرافة العجيبة عن شعب هذا تاريخه في الحروب»[1].

---

(١) الرسالة: سنة ١٩ مجلد ٢ عدد ٩٥٩ تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥١ صفحات: ١٣٠١ - ١٣٠٢.

ويطيب لي بهذه المناسبة ـ ومن باب عرض أدلة أخرى من التاريخ العالمي الحديث على سيطرة النزعة العدوانية الانتقامية على العقلية الأمريكية، وتمكُّن شهوة الحرب والحقد والانتقام في حياتها وتوجيهها لسياستها ـ أن أورد هذا التلخيص الفريد المفيد الدّال عن «قصة التدخلات الأمريكية في دول العالم» إذ أن هذا المكان هو أنسب موضع لهذا الكلام.

«أمريكا.. تاريخ في الغزو العسكري»:

التدخلات العسكرية الأخيرة في لبنان وغرينادا. ليست وليدة اليوم... أو حديثة العصر.. فهي ذات جذور تاريخية تمتد إلى أكثر من **١٥٠** سنة ـ أي قرن ونصف القرن ـ قضتها أمريكا في ممارسة هوايتها...

وهنا نستعرض شريطاً تاريخياً لهذه التدخلات العسكرية من بدايتها من قرن ونصف إلى ما وصلت إليه الآن...

في عام **١٨٣٣** قامت القوات الأمريكية بغزو نيكاراغوا.

وفي عام **١٨٣٥** دخلت هذه القوات إلى بيرو.

وفي عام **١٨٤٦** احتلت القوات الأمريكية أرضاً طالبت بها المكسيك. وهي ما تعرف الآن بولاية تكساس. وبهذا أُثيرت الحرب المكسيسكية. وفي أعقاب انتصار سنة **١٨٤٨** ضمّت الولايات المتحدة تلك الأرض بالإضافة إلى كاليفورنيا ونيومكسيكو.

وفي عام **١٨٥٤** دمر المارينز الأمريكي ميناء جراي تاون في نيكاراغوا انتقاماً من إبعاد الوزير الأمريكي الذي كان في تلك البلاد.

وبعد ذلك بعام غزت القوات الأمريكية أُوراغواي.

ثم قامت بغزو قناة بنما.

وفي عام **١٨٥٧** تدخلت القوات الأمريكية في نيكاراغوا لإفشال محاولات وليم روكز وهو مغامر من تنيسي حاول تولّي السلطة في نيكاراغوا.

قامت القوات الأمريكية بغزو كولومبيا عام ١٨٧٣ بعدة إنزالات عسكرية تتابعت في الأعوام ١٨٨٥ و١٨٩١ و١٨٩٢ و١٨٩٣ و١٨٩٨ و١٨٩٩.

وفي عام ١٨٨٨ تدخلت القوات الأمريكية في هايتي.

وفي عام ١٨٩١ في تشيلي.

وفي عام ١٨٩٤ تدخلت القوات الأمريكية مرة أخرى في نيكاراغوا.

وفي عام ١٨٩٨ كانت الحرب الأمريكية الإسبانية. حيث افتعلت الولايات المتحدة حادثة كوبا. وقد حاصر على أثرها الأسطول الأمريكي الموانىء الكوبية بينما قام الجيش والمتطوعون بما فيهم من رجال تيودور روزفلت بسحق القوات الإسبانية على الشواطىء.

وبعد ثلاثة أعوام جعلت الولايات المتحدة من كوبا وكراً أمريكياً للقمار كما ضمنت الحق في قاعدة بحرية في خريج جوانتا نامو. وما زالت تحتفظ بها حتى الوقت الحاضر.

وفي عامي ١٩٠١ و١٩٠٢ تدخلت القوات الأمريكية في كولومبيا.

وفي عام ١٩٠٢ تدخلت في هندوراس.

وفي عام ١٩٠٦ خلال الحرب الأهلية في كوبا انتظمت القوات الأمريكية في جيش التهدئة الكوبية لاستعادة النظام، وإقامة حكومة مستقلة خلال ثلاث سنوات.

وفي عام ١٩٠٧ تدخلت القوات الأمريكية واستولت على ست مدن في هندوراس.

وفي عام ١٩١٤ دخل المارينز الأمريكيون إلى هايتي في عملية إنزال، حيث سرقوا البنك المركزي استرداداً لأحد الديون!!

وبعد سنة واحدة أي في عام ١٩١٥ دخلت القوات الأمريكية إلى هايتي، واحتلت البلاد حتى عام ١٩٣٤.

وفي عام ١٩١٤ أمر الرئيس ولسون بحريته بقصف واحتلال فيركروز.

وفي عام ١٩١٦ وبعد غارات مكسيكية على الأراضي الأمريكية أرسل قوة بقيادة بير شنغ حيث دخلت المكسيك لمطاردة زعيم الثوار بانكوفيلا.

وفي عام ١٩١٦ تدفقت القوات الأمريكية إلى الدومينكيان لتهزم الثوار وتسيطر على البلاد بحكومة عسكرية حتى عام ١٩٢٤.

وفي عام ١٩٣٢ تدخلت القوات الأمريكية في السلفادور بمساعدة السفن الكندية.

وفي عام ١٩٥٤ أطاحت الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة غواتيمالا.

وفي عام ١٩٦١ غزت أمريكا خليج الخنازير في كوبا بواسطة جيش من المبعدين الذين تبنتهم. وانتهى هذا الغزو إلى الفشل.

وفي عام ١٩٦٢ فرض الرئيس كيندي حصاراً جوياً وبحرياً على كوبا لإجبار السوفيات على إبعاد صواريخهم الذرية من الجزيرة.

وفي عام ١٩٦٧ ساعدت المخابرات المركزية الأمريكية «سي. آي. إيه»، عسكر بوليفيا على جيفارا في بوليفيا.

وفي هذه الأثناء لا ننسى التدخلات الأمريكية في فيتنام وكوريا.

وفي عام ١٩٦٧ أمدّت الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل بالمال والعتاد والأسلحة، ونتج عن ذلك هزيمتها للعرب في نكسة عام ١٩٦٧.

وفي عام ١٩٧٣ زعزعت الولايات المتحدة الاستقرار في تشيلي، مما هيأ الطريق أمام قيام دكتاتورية عسكرية.

وفي نفس العام تدخلت الولايات المتحدة عن طريق وزير خارجيتها هنري كيسنجر وأوقفت مدّ النصر العربي على إسرائيل في حرب ١٠ رمضان المجيدة.

واعتباراً من تولّي الرئيس ريجان للسلطة عام ١٩٨٠ وهي ترسل المساعدات والمستشارين وعملاء «السي. آي. إيه.» إلى مختلف بلاد العالم.

وفي عام ١٩٨١ و١٩٨٢ بدأت أمريكا بتعزيز أساطيلها العسكرية في الخليج ونشر الصواريخ في أوروبا.

وفي هذا العام ١٩٨٣ تدخلت القوات الأمريكية في لبنان بدعوى حفظ السلام. وغزت جرينادا في أمريكا اللاتينية(١)...

هذه نماذج سريعة للتدخلات الأمريكية في العالم، وغزوها العسكري للدول الأخرى.. وهي كافية في الدلالة على تعمّق الصلف والعنجهية في الشخصية الأمريكية، وسيطرة شهوة الغزو والحرب عليها، واستخدامها آلتها الحربية وصناعتها العسكرية وجيشها وأسلحتها في السيطرة على العالم، وزعزعة الحرية والاستقرار والاستقلال فيه. نعرض هذه النماذج أمام المخدوعين بأمريكا ليعرفوها على حقيقتها، وينظروا إلى وجهها الكالح القبيح بدون رتوش أو تجميل.. ليعرفوا إلى أين تقودهم أمريكا.. وما الذي تريده بهم ومنهم.. لعلّهم يستيقظون ويتعظون...

٥ ـ مشاعر وعواطف الأمريكيين:

أمريكا لا رصيد لها من المشاعر والعواطف الإنسانية، بل لا تكاد تجد هذه المشاعر مكاناً لها هناك! ويعلّل سيد السبب في ذلك بقوله: «وحينما يقضي الإنسان ساعات حياته كلها في عمل مضنٍ شاق، وجهته الدولار! وحينما تضيق آفاق الحياة كلها فلا تتسع إلا لوجه الدولار. عندئذ لا يبقى للأشواق الروحية مجال، ولا للأحاسيس الشاعرة المجنحة مكان(٢)...

وأما الروح عندهم فهي ضامرة لا تأثير ولا قيمة، ولا وزن لها ولا اعتبار. ولا يلتفتون إليها إلا إذا قوِّمت تقويماً مادياً. ووزنت وزناً مادياً. ولقد

(١) آفاق إسلامية: نشرة غير دورية يصدرها الإخوان المسلمون في الأردن.
(٢) مجلة الكتاب مجلد ٨ جزء ١٠ ديسمبر ١٩٤٩ صفحة: ٦٦٨.

عاش سيد في أمريكا سنتين ابتلي فيها بصلادة وصلف وجلافة الأمريكيين، وأحسّ إهمالهم للروح والروحانيات.. وإغفالهم للأخلاقيات والقيم الإنسانية.. ولذلك لما أهداه «توفيقه الحكيم» كتابه «الملك أُوديب» وقال في كلمة الإهداء «ممّن يذكرك دائماً» انفصلت نفس سيد، واستروح في الإهداء وفي كلمة الإهداء حياة الشرق وأخلاقه.. وقارن بين أهل الشرق وأهل أمريكا، ثم كتب إلى توفيق الحكيم قائلاً: «لقد استروحت في كلمة الإهداء: «ممّن يذكرك دائماً» فسحة رخية من روح الشرق الأليف ـ فالذكرى هي خلاصة هذه الروح ـ وما كان أحوجني هنا إلى تلك النسمة الرخيّة.. إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيين ـ على حين تذخر أمريكا بكل شيء ـ شيء واحد لا قيمة له عندهم... الروح!».

إلى أن يقول للحكيم:.. «ما أحوجني هنا لمن أُبادله حديثاً بحديث، في غير موضوع الدولارات ونجوم السينما وماركات السيارات.. حديثاً في شؤون الإنسان والفكر والروح»[١]..

ويقرر سيد حقيقة واضحة عن اهتمام أمريكا بالروح والمشاعر والقيم والعواطف: «وأخشى أن تختفي عجلة الحياة، ويُطوى سجل الزمن، وأمريكا لم تُضِف شيئاً ـ أو لم تضف إلا اليسير الزهيد ـ إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم، التي تميز بين الإنسان والشيء ثم بين الإنسان والحيوان[٢]..

ويقرر هذه الحقيقة أيضاً بعبارة محددة ذات دلالة: «يبدو الأمريكي بدائياً في الإعجاب بالقوى العضلية، والقوى المادية بوجه عام، بقدر ما يستهين بالمُثُل والمبادىء والأخلاق في حياته الفردية وفي حياته العائلية، وفي حياته الاجتماعية ـ فيما عدا دائرة العمل بأنواعه وعلاقات الاقتصاد والمال ـ[٣]..

(١) الرسالة سنة ١٧ مجلد ١ عدد ٨٢٧ تاريخ ٩ مايو ١٩٤٩ صفحة: ٨٢٣.
(٢) الرسالة عدد ٩٥٧ صفحة: ١٢٤٥.
(٣) الرسالة عدد ٩٥٩ صفحة ١٣٠١.

وسيد يملك الأدلة الكثيرة من حياة أمـريكا ونـظرة أهلها للروابط الاجتماعية والفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية، هذه الأدلة مستقّاة من الواقع الأمريكي، تمثّل نماذج لأفرادها وشرائح بشرية لهم.

وقد عرض بعض هذه النماذج ـ الشوهاء ـ وقدم لها بقوله: «إن الحيوية المادية عند الأمريكي مقدسة، والضعف أيّاً كانت أسبابه جريمة.. جريمة لا يغتفرها شيء. ولا تستحق عطفاً ولا عوناً.. وحكاية المبادىء والحقوق خرافة في ضمير الأمريكي لا يتذوق لها طعماً. كن قوياً ولك كل شيء. أو كن ضعيفاً فلا يسعفك مبدأ ولا يكون لك مكان في مجال الحياة الفسيح، أما الذي يموت فيرتكب بالطبع جريمة الموت! ويفقد كل حق له في الاهتمام والاحترام! أليس إنه قد مات»[١]؟

ونشير في هذا المقام إلى النماذج التالية التي عرضها سيد قطب: مشهد مجموعة من المرضى في المستشفى تضحك متفكهة أمام مريض في حالة الاحتضار. ومشهد مجموعة من القوم قدموا للعزاء في ميت. وقد جلسوا في حجرة من المنزل في دعابات وفكاهات بينما الميت مسجّى في حجرة أخرى، والعجيب أن زوجة الميت وأهله كانوا مُشاركين في الدعابات والفكاهات.. ومشهد المرأة التي مات زوجها قبيل موعد حفلة خاصة فخرجت إلى الحفلة تبحث لها عن رفيق. ومشهد امرأة تتحدث عن زوجها الذي مات قبل قليل: «لقد كنت حسنة الحظ، فقد كنت مؤمِّنة على حياته، حتى علاجه لم يكلفني إلا القليل، لأنني كنت مؤمنة عليه في هيئة الصليب الأزرق «وابتسمت ضاحكة»[٢].

وقد خبر سيد الأمريكيين ثم وصفهم بقوله: «ولم ألمح في هذه الفترة الطويلة من الزمان، ولا في خلال تلك المساحة الشاسعة من المكان ـ إلا في

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٣٠٢.

(٢) انظر الرسالة عدد ٩٥٩ صفحات: ١٣٠٢ ـ ١٣٠٣.

مرات نادرة ـ وجهاً إنسانياً يعبّر عن معنى الإنسان، أو نظرة إنسانية تطلّ منها معاني الإنسانية.. ولكني وجدت القطيع في كل مكان»[1].

ولذلك يحذّر الناس من الاقتداء بالأمريكيين في مجال العواطف والمشاعر بقوله: «هذه البشرية تخطىء أشنع الخطأ، وتعرِّض رصيدها من القيم الإنسانية للضياع، إتذا هي جعلت المُثل الأمريكية مُثُلها في الشعور والسلوك»[2]..

٦ ـ أمريكا أرض بكر:

حبا الله الأمريكيين نعماً غامرة، وفضلاً واسعاً، وعطاءً لا ينفذ، وهو يتمثل في طبيعة تلك البلاد الساحرة، وجمالها الطبيعي الفتّان، ومواردها وخيراتها وإمكاناتها.. إنهم يعيشون في قارة شاسعة مترامية الأطراف، لها موارد طبيعية لا تنضب، وتحوي كنوزاً قيّمة، وطاقات مذخورة، وتمتلك غنىً عريضاً.. ورغم انهماك الأمريكيين على موارد بلادهم وحرصهم على استغلالها، وهو لهم مرتبة رفيعة في هذا المجال.. رغم كل ذلك فإن الكثير من تلك الكنوز ما زال مخبوءاً، وتلك الطاقات والمواد ما زالت مذخورة، وتلك الأراضي ما زالت بكراً لم تستغل.

يقول سيد قطب: «وأمريكا.. تلك المساحات الشاسعة من الأرض بين الأطلنطي والباسيفيكي.. تلك الموارد التي لا تنضب من المواد والخامات. ومن القوى والرجال[3]...

ويعرض لنا نموذجاً من الجمال الأمريكي الطبيعي الفاتن ذلك المتمثّل في مدينة «جريلي» بولاية كولورادو: «وهذه المدينة الصغيرة «جريلي» التي أقيم بها الآن. إنها جميلة جميلة، حتى يخيّل إلى الإنسان أنها أنبتت نباتاً في

---

(١) مجلة الكتاب مجلد ٨ جزء ١٠ صفحة: ٦٦٦.
(٢) الرسالة ٩٦١ صفحة: ١٣٦٠.
(٣) الرسالة ٩٥٧ صفحة ١٢٤٥.

روضة حالمة. كل بيت كأنه نبتة في حديقة، وكل شارع كأنه طريق في روضة»[1]..

ويشير إلى نموذج آخر من ذلك الجمال الطبيعي في سان فرنسيسكو «وأنا على قمة جبل تشرف على حديقة من الصخور، يسمّونها هنا «حدائق الآلهة» وقد انكشف المرتقى والمنحدر كلاهما، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء»[2]..

وحول خامات وكنوز أمريكا المخبوءة وأراضيها البكر التي لم تستغل حتى الآن ـ والتي تطيل في عمر أمريكا أجيالاً أخرى ـ يقول سيد: «ولم يفرغ الأمريكي بعد من مرحلة البناء، فما تزال هنالك مساحات شاسعة لا تكاد تُحدّ، من الأراضي البكر التي لم تمسُسها يد، ومن الغابات البكر التي لم تطأها قدم، ومن المناجم البكر التي لم تفتح ولم تستغل، وما يزال ماضياً في عملية البناء الأولى»[3]..

وكمظهر من حركته هناك بإسلامه، ونظرته إلى الأمور والأشخاص بمنظار قرآنه، كان في أمريكا يرى بعض آيات القرآن تنطبق عليها تماماً، فتكون تلك الرؤية بمثابة تفسير عملي للآيات. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾.. باعتبار أمريكا نموذجاً له: «لقد كنت في أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية أرى رأي العين مصداق قول الله سبحانه: ﴿ فما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ فإن المشهد الذي ترسمه هذه الآية.. مشهد تدفّق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب.. لا يكاد يتمثل في الأرض كلها كما يتمثل هناك»[4]!

---

(١) الكتاب مجلد ٨ جزء ١٠ صفحة ٦٦٨.
(٢) الكتاب مجلد ٩ جزء   صفحة ٣٢٦.
(٣) الرسالة عدد ٩٥٧ صفحة ١٢٤٦.
(٤) الظلال ٢: ١٠٩١.

٧ ـ أمريكا «ورشة ضخمة»:

هذا لقب عجيب ساخر أطلقه سيد قطب على أمريكا. وأعتقد أن القارىء الذي قرأ ما سبق من هذا الفصل، ووصل إلى هذا المبحث، يدرك صحة وصوابية هذا اللقب، ويقف على موهبة سيد الفريدة في النقد والتقييم، وسخريته اللاذعة من بعض الأمور والأشخاص.

أمريكا التي احتلت منزلة رفيعة عند كثير من المفتونين، ومكانة سامية في قلوبهم، والتي أطلقوا عليها الكثير من الألقاب، مثل كونها «أُمّ الحرية» و«قائدة العالم المتحضّر» و«موطن العلم والتقدم والمدنية والنظام». و. . . أمريكا هذه عند سيد قطب لا تعدو أن تكون «ورشة» ورشة ضخمة ليس إلا. تصلح أن تكون ورشة للآلات، ومخزناً للأسلحة، ومستودعاً للمادة، واحتياطياً للأدوات والصناعات والغذاء والطعام، تصلح لكل هذا، أما أن تكون مثالاً للحضارة والحرية والتقدم، والأخلاق والنظم والقيم.. فلا تصلح.. وكم تخسر البشرية إذا جعلت هذه الأخيرة لأمريكا وتبعتها فيها..

يقول سيد «وقضيت عاماً في تلك «الورشة» الضخمة التي يسمّونها «العالم الجديد»، وتنقلت من نيويورك إلى واشنطن، إلى دنفر، إلى جريلي»[١] . . .

ويقول: «وإنه ليبدو أن العبقرية الأمريكية كلها قد تجمعت وتبلورت في حقل العمل والإنتاج، بحيث لم تبق فيها بقية تنتج شيئاً في حقل القيم الإنسانية الأخرى. ولقد بلغت في ذلك الحقل ما لم تبلغه أمة، وجاءت فيه بالمعجزات، التي أحالت الحياة الواقعية إلى مستوى فوق التصور ووراء التصديق لمن لم يشهدها عياناً. ولكن الإنسان لم يحفظ توازنه أمام الآلة، حتى ليكاد هو ذاته يستحيل آلة»[٢].

(١) الكتاب مجلد ٨ جزء ١٠ صفحة ٦٦٦.
(٢) الرسالة عدد ٩٥٧ صفحة ١٢٤٦.

صار سيد يراسل أصدقاءه وزملاءه يعرفهم على حقيقة أمريكا، ويدعوهم إلى أن يبيّنوا هذا للناس ليحولوا بينهم وبين زخارف المخادعين في تلميع «الوجه الأمريكي» وتزيينه بالفضائل المصطنعة.

من تلك الرسائل رسالته إلى توفيق الحكيم الذي قال له: «شكراً لك على هديتك الكريمة: كتابك الجديد «الملك أوديب» إنها شيء عزيز ثمين بالقياس إليَّ هنا في تلك الورشة الضخمة السخيفة، التي يسمّونها: العالم الجديد»[١]..

ومنها رسالته إلى أنور المعداوي: «كيف أنت والأدب والفن على حسّك؟ أحسّ أن آباداً وآماداً بيني وبين ذلك الماضي القريب منذ عام، هنا الغربة غربة الروح والجسد، هنا في تلك الورشة الضخمة التي دعونها العالم الجديد»[٢].

ومنها رسالته إلى عباس خضر: «تصلح أمريكا أن تكون «ورشة العالم» فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون.. أما أن يكون العالم كله كأمريكا فتلك هي كارثة الإنسانية بكل تأكيد[٣]...

٨ ـ البدائية الأمريكية:

مرّ معنا فيما سبق كيف أن رصيد أمريكا من العواطف والمشاعر لا يكاد يذكر، وكيف أنها متقدمة تقدماً مذهلاً مُعجِزاً في العلوم والصناعات والاختراعات.

وفي هذا المبحث سنبيّن «البدائية الأمريكية» في حياتها، ونعرض ألواناً ونماذج لهذه البدائية من مختلف اهتماماتها وحياتها، وأوجه نشاطها وممارستها.

---

(١) الرسالة عدد ٨٢٧ صفحة ٨٢٣.
(٢) الكاتب: سنة ١٥ عدد ١٧٣ تاريخ أغسطس ١٩٧٥ صفحة: ٢٨.
(٣) الرسالة: سنة ١٨ مجلد ٢ عدد ٨٨٧ صفحة ٧٥٦.

الأمريكيون بلغوا الذروة في المادة والتقدم العلمي والرفاهية المادية، والرخاء والتنظيم والترتيب. وقد سبقوا الدول الأخرى في هذا المجال. ولكنهم في المشاعر والسلوك، وفي التديّن والعبادة، وفي العلاقات الاجتماعية والعائلية، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الأذواق والعادات والممارسات... قوم بدائيون.. بدائيون إلى درجة عجيبة، تثير الحيرة والعجب والدهش والاستغراب...

يقول سيد قطب: وإن الباحث في حياة الشعب الأمريكي ليقف في أول الأمر حائراً أمام ظاهرة عجيبة، قد لا يراها في شعب من شعوب الأرض جميعاً: شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك.

ولكن هذه الحيرة تزول بعد النظرة الفاحصة في ماضي هذا الشعب وحاضره، وفي الأسباب التي جمعت فيه بين قمة الحضارة وسفح البدائية»[١]..

وقد تحدّث سيد عن أهم أسباب هذا الازدواج، وممارسة البدائية في أبرز صورها: منها أن الأمريكي لم ينْمُ نمواً طبيعياً سليماً كباقي الشعوب، وإنما نموّاً شاذّاً مشوّهاً، حيث ولد على مولد العلم المادي التطبيقي، فآمن به دون سواه، فتضخم الجانب العضلي في كيانه وضمر الجانب الإنساني. ومنها: أصل الأمريكي ونفسية أجداده وهروبهم من الإنسان الأوروبي بكامل سماته... ومنها: التركيبة الاجتماعية والفكرية لأولئك الأجداد الذين كانوا إما مغامرين أو مجرمين. ومنها: الصراع الدامي المرير الذي عاشه الأمريكي مع الطبيعة والكون والإنسان.

ذلك المزيج من الملابسات، وهذا المزيج من الأفواج، من شأنه أن يستنهض وينمّي الصفات البدائية في ذلك الشعب الجديد، ويتهم أو يقاوم

(١) الرسالة عدد ٩٥٧ صفحة: ١٢٤٦.

الصفات الراقية في نفسه أفراداً وجماعات، فتنشط الدوافع الحيوية الأولى كأنما يستعيد الإنسان خطواته الأولى، بفارق واحد أنه هنا مسلح بالعلم الذي ولد على مولده وخطا على خطواته. والعلم في ذاته ـ وبخاصة العلم التطبيقي ـ لا عمل له في حقل القيم الإنسانية، وفي عالم النفس والشعور، وبذلك ضاقت آفاقه، وضمرت نفسه، وتحددت مشاعره، وضؤل مكانه على المائدة العالمية الزاخرة بالأنماط والألوان»[1]..

٩ ـ البدائية في النظرة إلى الدين:

الأمريكي بدائي في تدينه، بدائي في نظرته إلى الدين، وفي صلته به، وممارسته لشعائره، و«رجال الدين» الأمريكيون بدائيون في الكنائس وفي أساليب دعوة الناس إليها، وتصرفات الناس فيها، ومباركة وتشجيع «رجال الدين» هؤلاء للفواحش والفجور في تلك الكنائس...

ليس أكثر من الأمريكان تشييداً للكنائس.. حتى لقد أحصيتُ في بلدة واحدة لا يزيد سكانها على عشرة آلاف، أكثر من عشرين كنيسة. وليس أكثر ذهاباً إلى الكنائس في ليلات الأحد وأيامه، وفي الأعياد العامة وأعياد القديسين المحليين، وهم أكثر من «الأولياء» عند عوّام المسلمين...

وبعد ذلك كله ليس هناك من هو أبعد من الأمريكي عن الشعور بروحية الدين واحترامه وقداسته.. وليس أبعد من الدين عن تفكير الأمريكي وشعوره وسلوكه...

وإذا كانت الكنيسة مكاناً للعبادة في العالم المسيحي كله، فإنها في أمريكا مكان لكل شيء إلا العبادة... وإنه ليصعب عليك أن تفرّق بينها وبين أي مكان آخر معدٍّ للهو والتسلية، أو ما يسمونه بلغتهم أل (Fun) ومعظم قُصادها إنما يعدّونها تقليداً اجتماعياً ضرورياً، ومكاناً للقاء والأنس،

---

(١) الرسالة عدد ٩٥٧ صفحة ١٢٤٧.

ولتمضية وقت طيب.. وليس هذا شعور الجمهور وحده، ولكنه شعور سدنة الكنيسة ورعاتها»[1]..

وقد خرج سيد بتلك النتيجة اليقينية وأصدر عليهم ذلك الحكم الصحيح، لأنه كان ملمّاً بالممارسة الأمريكية للتديّن، وخبيراً بالسلوك الأمريكي البدائي للتديّن: «كنت عضواً في عدة نوادٍ كنسية في كل جهة عشت فيها، إذ كانت هذه ناحية هامة من نواحي المجتمع تستحق الدراسة عن كثب ومن الداخل»[2]..

عرض سيد لنا بعض النماذج الدالّة على تلك البدائية: تشييد الكنائس، ونوادي الكنائس، والإعلان عن نشاطات وتسليات الكنائس، والتنافس في ذلك بين الكنائس، والبرامج الفاجرة في الكنائس، واستخدام أجمل الفتيات لاصطياد الشباب إلى الكنائس، وحفلات الرقص والغناء للجنسين في الكنائس، وتهيئة الأجواء للعهد والفجور والفواحش داخل الكنائس، ومباركة وتشجيع رجال الدين لكل هذا الذي يجري في الطريق إلى الكنائس، والذي يجري داخل الكنائس[3]...

وبعد كل هذا يتساءل سيد: (ما قيمة اجتذابهم إلى الكنيسة وهم يخوضون إليها مثل هذا الطريق، ويقضون ساعاتهم فيه؟ أهو الذهاب إلى الكنيسة هدف في ذاته، أم آثاره التهذيبية في الشعور والسلوك؟ من وجهة نظر «الآباء» التي أوضحتها فيما سلف، مجرد الذهاب هو الهدف)[4]...

١٠ ـ البدائية في النظرة إلى الجنس:

الأمريكي بدائي -إلى أدنى درجات البدائية- في حياته الجنسية، بدائي في نظرته إلى الجنس، وفي ممارسته له، بدائي في العلاقات

(١) الرسالة: عدد ٩٥٩ صفحة ١٣٠٣.
(٢) انظر الرسالة: ٩٥٩ صفحة ١٣٠٤.
(٣) انظر الرسالة عدد ٩٥٩ صفحات: ١٣٠٣ ـ ١٣٠٥.
(٤) الرسالة عدد ٩٥٩: ١٣٠٥.

الاجتماعية والنفسية والجنسية بين الجنسين. . ولا تختلف حياته الجنسية عن حياة القوم البدائيين في مجاهل الغابات، بل لا تختلف في إباحيتها وعهرها وعربدتها عن حياة الحيوانات.

يقول سيد: (والأمريكي بدائي في حياته الجنسية، وفي علاقات الزواج والأسرة. ولقد مررت في أثناء دراساتي للكتاب المقدس بتلك الآية الواردة في «العهد القديم»، حكاية عن خلق الله للبشر أول مرة وهي تقول: (ذكراً وأنثى خلقهم) مررت بهذه الآية كثيراً، فلم يتمثل لي معناها عادياً واضحاً جاهراً، كما تمثل لي في أثناء حياتي بأمريكا.

إن كل ما تعبت الحياة البشرية الطويلة في خلقه وصيانته من آداب الجنس، وكل ما صاغته حول هذه العلاقات من عواطف ومشاعر، وكل ما جاهدت من غلاظة الحسّ، وجهامة الغريزة، لتطلقه إشعاعات مرفرفة، وهالات مجنحة، وأشواق طليقة. وكل الروابط الوثيقة حول تلك العلاقات في شعور الفرد، وفي حياة الأسرة وفي محيط الجماعة. . إن هذا كله قد تجردت منه الحياة في أمريكا مرة واحدة، وتجلّت عارية عاطلة من كل تجمّل (ذكراً وأنثى) كما خلقهم أول مرة جسداً لجسد، وأنثى لذكر، على أساس مطالب الجسد ودوافعه، تقوم العلاقات وتتحدد الصلات، ومنها تُسْتمد قواعد السلوك وآداب المجتمع، وروابط الأسرة والأفراد. .

بفتنة الجسد وحدها، عارية من كل ستار، مجردة من كل حياء، تلقى الفتاة الفتى، ومن قوة الجسد وضلاعته يستمد الفتى إعجاب الفتاة، ويستمد الزوج حقوقه ـ هذه الحقوق التي تسقط جميعها في عُرْف الجميع، يوم يعجز الرجل عن الوفاء بها لسبب من الأسباب[1]. . .

ولا يفوت سيد أن يعرض الأدلة على ما يقول، وأن يبين النماذج المنتزعة من الواقع الأمريكي التي تمثل هذه البدائية الجنسية. بعرضه شرائح اجتماعية للفتيان والفتيات تتمثل فيها بوضوح. وذلك مثل إشارته إلى مظاهر

---

(١) الرسالة: عدد: ٩٥٩ صفحة ١٣٠٥.

الفتنة في الفتاة الأمريكية، كما تبدو في نظر الرجل هناك، وإشارته إلى المواصفات النموذجية «الحيوانية» في الشاب ليحظى بالقبول عند الفتاة. وإلى الممارسات الحيوانية لهم في عالم الجنس والشهوة والمتعة، وإلى إسقاط كلمات: الرذيلة والفضيلة، والعيب والخجل والحياء من القاموس الأمريكي للجنس، لأن الجنس مسألة. «بيولوجية» جسدية ليس إلا، مثلها مثل البول وقضاء الحاجة[1]. . .

إن الأمريكيين «يوظفون» الجمال الطبيعي الذي وهبه الله لهم توظيفاً جنسياً شهوانياً حيوانياً، كمظهر من البدائية الجنسية التي يعيشونها. يقول سيد: (وتطلع عليك الفتاة كأنها الجنية المسحورة أو الحوراء الهاربة. ولكن ما إن تقرب إليك حتى تحسّ فيها الغريزة الصارخة وحدها مجردة من كل إشعاع، وحتى تشم رائحة الجسد المحترق لا نكهة العطر الفوّاح. ثم تنتهي إلى لحم. مجرد لحم. لحم شهي حقاً، ولكنه لحم على كل حال. .)[2].

وعاش الأمريكيون حياتهم الجنسية بدائية وشيوعية، وانحرافاً وشذوذاً، وعهراً وفجوراً، ورأى سيد هناك ما رأى وسمع من هناك وعن هناك ما سمع: «نعم شاهدت في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي والاختلاط الجنسي بكل صوره وأشكاله. إن هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها. إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع! وشاهدت الأمراض النفسية والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، وإلا من التلهّف على الجنس الآخر المحبوب. شاهدتها بوفرة، ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه. . ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذي لا يقيده قيد، ولا يقف عند حد. وللصداقات بين الجنسين، تلك التي يباح معها كل شيء، وللأجسام العارية في الطريق، وللحركات المثيرة، والنظرات الجاهرة، واللفتات الموقظة. .)[3].

---

(١) انظر الرسالة عدد ٩٥٩ صفحات: ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦.

(٢) الكتاب مجلد ٨ جزء (١٠) صفحة: ٦٦٧.

(٣) الظلال ٢: ٦٣٧.

وجَنَت أمريكا ثمار هذه البدائية الجنسية، وحصدت من تلك البدائية الحيوانية أمراضاً مختلفة: «وقد قررت لجنة الأربعة عشر الأمريكية التي تعنى بمراقبة حالة البلاد الخلقية، أن ٩٠٪ من الشعب الأمريكي مصابون بالأمراض الجنسية السرية الفتّاكة..»[١].

ووصلت أمريكا أخيراً إلى هذه النتيجة التي أعلنها رئيس أمريكي «وأخيراً يعلن رئيس الولايات المتحدة أن ستة من كل سبعة من شباب أمريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذي يعيشون فيه»[٢].

١١ ـ البدائية في النظرة إلى الفن:

تنسحب بدائية الأمريكيين إلى الفنون والنظر إليها وتذوقها. وفي ذلك يقول سيد: «الأمريكي بدائي في ذوقه الفني، سواء في ذلك تذوقه للفن، أو أعماله الفنية»..

الموسيقى المختارة المفضلة عند الأمريكيين عموماً هي موسيقى «الجاز» فما هو أصل هذه الموسيقى؟ وما هي البدائية فيها؟ يجيب سيد على ذلك بقوله: «هي تلك الموسيقى التي ابتدعها الزنوج لإرضاء ميولهم البدائية ورغبتهم في الضجيج من ناحية، ولاستثارة النوازع الحيوانية من ناحية أخرى.. ولا تتم نشوة الأمريكي تماماً بموسقى «الجاز» حتى يصاحبها غناء مثلها صارخ غليظ. وكلما علا ضجيج الآلات والأصوات، وطنَّ في الآذان إلى درجة لا تطاق.. زاد هياج الجمهور، وعلت أصوات الاستحسان، وارتفعت الأكفّ بالتصفيق الحاد المتواصل الذي يكاد يصمّ الآذان»[٣]..

أما السينما «فهي الفن الوحيد الذي يتقنه الأمريكان ـ وإن يكن سواهم لا يزال يفوقهم في الناحية الفنية فيه»..

---

(١) الظلال ٤ : ٢٥١١.

(٢) الظلال ٢ : ٦٣٦.

(٣) الرسالة عدد ٩٦١ صفحة ١٣٥٧.

ومع ذلك فإن «الكثرة الغالبة من الأفلام الأمريكية تتجلى فيها بدائية الموضوع، وبدائية الانفعالات، وهي في الغالب أفلام الجريمة البوليسية، وأفلام رعاة البقر»[١].

بهذه البدائية الفنية يتذوق الأمريكيون الفنون، ويتفحصون اللوحات الفنية في المعارض والمتاحف، ويمرّون على مشاهد الطبيعة ومناظر الجمال الساحر الذي وهبه الله بلادهم.

أما متاحف الفن وبدائية الأمريكيين فيها، فقد بيّنها سيد بعد ما امتحن الأمريكيين.. «ذهبتُ للمرة العاشرة إلى متحف الفن في سان فرنسيسكو، وجعلت مادة امتحاني إحدى قاعات الصور من الفن الفرنسي، ووزّعت اهتمامي على ما فيها من الصور،، ولكنني ركّزته على صورة واحدة بارعة اسمها «ثعلب في بيت الدجاج».. وجلست أمامها أربع ساعات كاملة، مرّ بي خلالها مائة وتسعة، فرادى وأزواجاً وجماعات، ومعظمهم من الفتيان والفتيات... كم من هؤلاء التسعة والمائة بدا عليه أن يحسّ شيئاً مما يرى؟ واحد فقط تلبث أمام الصورة المنتقاة نحو دقيقتين.. وكررتُ التجربة في قاعات المتاحف الأخرى، ثم كررتها في متاحف أخرى في عدة مدن.. ثم انتهيت إلى أن قلة نادرة من هذه الكثرة الكثيرة تدرك شيئاً من هذه الثروة الفنية الهائلة[٢]..

أما تذوقهم لجمال الطبيعة واستمتاعهم به.. فقد امتحنهم في مدينة «جريلي» الجميلة «لي ستة أشهر لم أشهد مرة واحدة فرداً أو أسرة جالسة تستمتع بذلك الجمال البارع الحالم، ولا سيما في ليالي الصيف التي ترفّ فيها النسمات كالأحلام، المهم هو تنمية الحديقة وتنظيمها، بنفس الطريقة التي ينظم بها صاحب المتجر متجره، وصاحب المصنع مصنعه».. «لا شيء وراء ذلك من تذوق الجمال، والاستمتاع بالجمال»[٣]..

---

(١) المرجع السابق: ١٣٥٩.
(٢) الرسالة عدد ٩٦١ صفحة: ١٣٥٩.
(٣) الكتاب مجلد ٨ جزء ١٠ صفحة ٦٦٨.

١٢ ـ البدائية في الألعاب الرياضية:

الأمريكيون بدائيون إلى أدنى درجات البدائية، في ممارساتهم للألعاب الرياضية، وفي الإعجاب بها وتشجيعها، وفي الإشادة بأبطالها. إنهم بدائيون، بل إنهم متوحشون في تلك الألعاب، لا ينال إعجابهم إلا أكثر اللاعبين عنفاً ووحشية وحيوانية، ولا يثيرهم إلا منظر الدماء تسيل من اللاعبين، ولا يرغبون إلا في اللاعب الذي يعتمد على قواه العضلية.. أما الألعاب الرفيعة النظيفة فهي لا قيمة لها عندهم، واللاعبون الهادئون لا منزلة لهم عندهم.

والألعاب الأمريكية تتجلى فيها هذه البدائية، من كرة القدم أو حفلات المصارعة الحرّة الأمريكية، التي تتميز عن حفلات المصارعة الأخرى، بكونها بدائية وحشية فوضوية دموية مدمرة، لا يحكمها عرف أو نظام أو قانون، وللمصارع أن يفعل في خصمه ما شاء، ما دام قادراً على استعمال عضلاته بحيوانية ووحشية...

حول هذا يخبرنا سيد بقوله: «ومنظر الجماهير وهي تتبع مباريات كرة القدم، على الطريقة الأمريكية الخشنة، التي ليس لها من اسمها «كرة القدم» أي نصيب، إذ أن «القدم» لا تشترك في اللعب. إنما يحاول كل لاعب أن يخطف الكرة بين يديه، ويجري بها ليقذف بها إلى الهدف، بينما يحاول لاعبوا الفريق الآخرة أن يعوقوه بكل وسيلة، بما في ذلك: الضرب في البطن، وتهشيم الأذرع والسيقان، بكل عنف وكل شراسة. منظر الجماهير وهي تتبع هذه اللعبة، أو تشاهد حفلات الملاكمة والمصارعة الوحشية الدامية.. منظرها في هياجها الحيواني، المنبعث من إعجابها بالعنف القاسي، وعدم التفاتها إلى قواعد اللعب وأصوله، بقدر ما هي مأخوذة بالدم السائل والأوصال المهشمة، وصراخها هاتفة، كلٌّ يشجع فريقه: حطّمٍ رأسه، دق عنقه. هشّم أضلاعه، اعجنه عجناً.. هذا المنظر لا يدع مجالاً للشك في بدائية الشعور التي تفتن بالقوة العضلية وتهواها»[١]..

(١) الرسالة عدد ٩٥٩ صفحة ١٣٠١.

١٣ ـ البدائية في الأذواق والأمزجة:

يستمر سيد قطب في عرضه لنا مظاهر البدائية في الحياة الأمريكية، ويصل إلى حديثه عن البدائية في ذوق الأمريكي ومزاجه، البدائية في الملابس التي يلبسونها، ألوانها وأشكالها وتفصيلاتها، والرسومات عليها.. والبدائية في طعامهم من حيث أنواعه وأشكاله وإعداده وتركيب أصنافه.. ويعرض لنا نماذج صارخة تمثل هذه البدائية أصدق تمثيل..

«لنهبط إلى ألوان الملابس وإلى مذاق الأطعمة، إن بدائية الذوق لا تتجلى في شيء كما تتجلى في تلك الألوان الصارخة الزاهية، وفي تلك التقاسيم المبرقشة الكبيرة وبخاصة ملابس الرجال: ذلك السبع أو النمر الواثب على صدر الصدرية، وذلك الفيل أو الثور الوحشي الجاثم على ظهرها. تلك الفتاة العارية الممددة على رباط العنق من أعلى إلى أسفل، أو تلك النخلة الصاعدة فيه من أسفل إلى أعلى.. لطالما تحدث المتحدثون عندنا عن فستان العيد في الريف أو عن ثوب العروس في القرية. بألوانه الزاعقة البدائية، التي لا تربط بينها رابطة إلا أنها كلها فاقعة الألوان، ليت هؤلاء يرون معي أقمصة الشبان في أمريكا لا ملابس الفتيات، ولطالما تحدّث المتحدّثون عن الوشم عند الغجر أو في أواسط أفريقية، ليتهم يرون أذرع الشبان الأمريكيين وصدورهم وظهورهم موشحة بالوشم الأخضر: ثعابين وحيّات وفتيات عاريات وأشجاراً وغابات، في أمريكا المتحضرة في الدنيا الجديدة في العالم العجيب!..».

وينتقل سيد من الحديث عن البدائية العجيبة في الأزياء، إلى البدائية الأعجب في الطعوم والمذاقات: «أما الطعوم فشأنها هو الآخر عجيب، إنك تلفت النظر وتثير الدهشة حين تطلب قطعة أخرى من السكر لكوب الشاي أو القهوة تشربه في أمريكا، ذلك أن السكر محتفظ به للمخلّل والسلطة!! كما أن الملح يا سيدي محتفظ به للتفاح والبطيخ. وفي صفحة طعامك تجتمع قطعة اللحم المملحة إلى كمية من الذرة المسلوقة. وكمية من البازلاء المسكرة وبعض المربى الحلوة.. وفوق ذلك كله كلمة (Grafy) المؤلّف

أحياناً من السمن والخل والدقيق ومرقة العجل والتفاح والملح والفلفل والسكر والماء!!».

ولم ينسَ سيد أن يعرِض علينا طرفاً من تفكهه على الأمريكيين وذوقهم العجيب، عندما جعلهم يضعون على البطيخ سكراً في اليوم الأول وفلفلاً حارّاً في اليوم التالي! فاستطعموه واستلذوه وأعجبوا به! ويختم حديثه عن البدائية في الذوق بقوله: «وباختصار فكل ما يحتاج إلى قسط من الذوق، فالأمريكاني ليس له فيه حتى الحلاقة»[1]...

١٤ ـ إشفاق على البشرية من أمريكا:

أمريكا بمواصفاتها ومؤهلاتها وسماتها التي أشرنا لها فيما سبق، هي مصدر خطر على البشرية فيما لو تزعمت العالم، فكيف تتزعم العالم دولة أو أمة لا رصيد لها من القيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية؟ أمة لا ترى أمامها إلا المادة والعمل والعضل؟ أمة تسري شهوة الحرب في عروقها وأوصالها؟ أمة محطمة نفسياً مريضة أخلاقياً مشوهة شعورياً؟ أمة بدائية في حياتها في شتى مجالاتها: الدينية والفنية والاجتماعية والجنسية والسياسية والذوقية؟ أمة هذه صفاتها وهذه مؤهلاتها كيف تحكم العالم؟ وإذا حكمته فإلى أين توصله؟

إن أمريكا تصلح أن تكون «مستودعاً» للبشرية، ومصدراً لما تملك من أدوات واختراعات مادية وتكنولوجية، وما وهبها الله من مواد استهلاكية وأصناف غذائية.. تصلح لهذا كله.. أما أن تحكم الدنيا وتقود العالم. فهذا هو الدمار والخراب للبشرية...

وفي هذا المعنى يقول سيد قطب: «كنت دائم الشعور» باستخسار «هذا الشعب، الذي يصنع المعجزات في عالم الصناعة والعلم والبحث ألّا يكون له رصيد من القيم الإنسانية الأخرى، وأنا شديد الإشفاق على الإنسانية أن تؤول قيادتها إلى هذا الشعب، وهو فقير من تلك القيم جميعاً»[2]..

---

(١) الرسالة عدد: ٩٦١ صفحة: ١٣٦٠.
(٢) الرسالة عدد ٩٦١ صفحة ١٣٥٧.

ويقول كذلك: «أمريكا تصلح أن تكون «ورشة العالم» فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون، أما أن يكون العالم كله أمريكا فتلك هي كارثة الإنسانية بكل تأكيد»[1]..

أمريكا تقدم نفسها للعالم على أنها القمة والقدوة والنموذج والمثال لكل الفضائل والمزايا المادية والأخلاقية والإنسانية، وهي بهذا تخدعه وتخادعه، ولا يستجيب لها إلا المخدوعون. وتجند أمريكا لدعايتها وتزويرها وخداعها «جيشاً» من العملاء في مختلف بلاد العالم، وفي مختلف المواقع، وبمختلف الإمكانات والتخصصات.. وينشط هؤلاء في الدعاية، ويخدعون السذّج بزخارفهم وتضليلاتهم: عرفت الآن مدى الدعاية التي تغمر بها أمريكا العالم، والتي يسهم فيها المصريون الذين جاءوا إلى أمريكا ثم عادوا. وأستطيع أن أقيس ـ على ضوئها ـ مدى الدعاية التي تغمرنا بها أوروبا، والتي يسهم فيها المصريون العائدون من هناك.

إنهم لا يجدون لأنفسهم قيمة ذاتية، فيبالغون في تضخيم أوروبا وتضخيم أمريكا، علّهم يستمدون منها قيمة ذاتية[2]!

وعندما ينظر المؤمن البصير إلى واقع البشرية في منتصف الثمانينيات وإلى الآثار الملحوظة لقيادة أمريكا لها، وإلى الحصاد المرّ الذي تجنيه البشرية من هذه القيادة الشيطانية يدرك عمق نظرة سيد ونفاذ بصيرته وصدق فراسته، رحمه الله، ويشاركه الإشفاق على البشرية والعمل على خلاصها من رقها..

١٥ ـ الانتهازية الأمريكية السياسية:

الدور الأمريكي في الناحية السياسية، ودورها في المجال السياسي العالمي، أصبح واضحاً لكل من يعيش في الربع الأخير من القرن العشرين،

(١) الرسالة عدد: ٨٨٧ صفحة: ٧٥٦.

(٢) الكاتب عدد: ١٧٣ صفحة: ٢٨.

وهو قمة الهيمنة والسيطرة والقرصنة والانتهازية الأمريكية السياسية. والذي ينظر في هذا «النتاج الأمريكي السياسي» يجده لا يخرج عن هذه الأشياء: «انتهازية وقرصنة وتزوير وتزييف وخداع وسيطرة وهيمنة واستعمار واستغلال».. وهذا النتاج بحدٍّ ذاته خطير مدمِّر مخرِّب، ولكن الأشد خطراً وتدميراً وتخريباً منه هو أن أمريكا أصبحت بذلك «مدرسة» سياسية، متميزة بسماتها وأوصافها السابقة، وأدخلت أمريكا في «مدرستها السياسية» تلامذتها من سياسيي وحكام ومسؤولي العالم الثالث، وتخرّجوا منها بهذه الصفات «الأمريكية» الملعونة. وعادوا إلى بلادهم «ليمارسوا» عليها «العِلْم» الأمريكي الرفيع في مجال السياسة والحكم والسلطان والتوجيه.. وصارت شعوبهم المنكوبة بهم تجني ثمار الإبداع الأمريكي السياسي: حصاداً مرّاً، وأشواكاً قاتلة، وسموماً ناقعة، وتخريباً وإفساداً وإذلالاً.. وهذا الحصاد بارز لكل ذي عينين!!.

لقد أشار سيد قطب إشارات سريعة إلى السياسة الأمريكية ـ بصفاتها السابقة ـ فالضمير الأمريكي السياسي: ضمير أميركاني: «أخيراً يتكشف ضمير «الولايات المتحدة» هذا، فإذا هو ـ ككل أمريكي آخر ـ ضمير أمريكاني»!

ونحن نعرف في مصر «اللعبة الأمريكية» ونعرف أنها «نصب» في ««نصب» وقد حُرمت هذه اللعبة لما فيها من غش وخداع. والضمير الأمريكي الذي تكشف عنه تصريحات «ترومان» لا يرتفع كثيراً عن هذه اللعبة الممنوعة»[1]..

ويقول عن عداوة الرجل الأبيض الذي تقوده أمريكا لنا ولكل الحق والخير في العالم: «إنني لا أكاد أتصور أن هناك إنساناً له مشاعر الإنسان يرى الرجل الأبيض يدوس بأقدامه على أعناقنا في كل مكان ثم يجد نفسه قادراً على تمجيد هذا الرجل، أو حتى مصادقته.. إنني أشك في آدمية هؤلاء

---

(١) الرسالة عدد ٩٦٤ صفحة: ١١٥٥.

الكتّاب وهؤلاء الوزراء، وهؤلاء الأساتذة. نعم أشك في آدميتهم لأن أول مميزات الإنسان أن يحسّ بكرامة الإنسان..

.. «مَنْ الذي لا يحتقر أمريكا ويحتقر معها آدمية الأمريكان وهو يجد المعدّات الأمريكية والدولارات الأمريكية تشدّ أزر الاستعمار الأوروبي في كل مكان.. لقاء مساومات اقتصادية أو استراتيجية أو عسكرية»[1]..

١٦ ـ أعصاب الأمريكيين:

أمريكا التي قدّمت لشعبها كل ممكن في المجال المادي، والتي «ذلّلت» له الشعوب الأخرى، واستنزفت خيراتها وطاقاتها من أجل الأمريكيين، هل استطاعت أن تقدم لشعبها الطمأنينة والراحة والسعادة؟ هل استطاعت أن تُذيقهم طعم الرضا وأنس الاطمئنان وحلاوة الحياة؟.. إن هذه القيم والمعاني لا يمكن أن تُشترى بالدولار ولذلك لا تخضع للثمن الأمريكي البخس!! إن الأمريكيين محرومون من الرضا والطمأنينة والسعادة، وإنهم يعيشون أيامهم، ويتقلبون في حياتهم، ويستخدمون الرفاهية والتنعم المادية والظاهري، في قلق وحيرة، وفي شقاء وتعاسة. يعيشون بنفوس مريضة، وأنفاس مضغوطة، وكيان ممزق، وأرواح ضامرة، وقلوب خاوية.. إنهم يعيشون بأعصاب متوترة، ومشاعر مضطربة، ولعنة دائمة... لعنة «الحضارة» والمادة والأدوات والاختراعات.. هذا هو النموذج الأمريكي المثالي، الذي تُدعى الشعوب المقهورة إلى تمثله والاقتداء به.. وعلى الدنيا السلام! ومن ساواك بنفسه فما ظلم!...

يقول سيد قطب عن هذه الملامح الأمريكية النفسية: «كل شيء في أمريكا لا يدلّ على أعصاب مستريحة، بالرغم من كل وسائل الحياة

(١) الرسالة عدد: ١٠٠٩ صفحة: ١٢١٧، ونشير ـ كشاهد قريب لما نقول ـ إلى تصريحات الملك حسين إلى جريدة نيويورك تايمز حول أمريكا وعدائها لنا. أنظر على سبيل المثال جريدة الرأي الأردنية عدد: ٥٠٢٦ الجمعة ١٦ آذار ١٩٨٤ وعنوانها: «الحسين يكشف الأوراق الأمريكية: أدرك الآن أن المبادىء لا قيمة لها بالنسبة للولايات المتحدة».

المريحة، وكل ضماناتها المطمئنة، وكل يسْر وسهولة في إنفاق الطاقات الفائضة[1]..

ويقول: «في كل مكان ضحكات، وفي كل محلّة مرح، وفي كل زاوية أحضان وقبلات، ولكنك لا تلمح في وجه واحد معنى الرضا، ولا تحس في قلب واحد روح الاطمئنان»[2]..

وانظر إلى هذه الأوصاف لأعصاب الأمريكيين وأسباب هذا البلاء في قول سيد في الظلال: «والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المُسكِرات والمخدرات ليعوِّض خواء الروح من الإيمان، وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب.. ثم الانتحار[3].

«إن الناس ليسوا سعداء.. إنهم قلقون يطل القلق من عيونهم وهم أغنياء! وإن الملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج، وإنهم يُغرقون هذا الملل في العربدة والصخب تارة، وفي التقاليع الغربية الشاذة. وفي الشذوذ الجنسي والنفسي تارة. ثم يحسّون بالحاجة إلى الهرب. الهرب من أنفسهم، ومن الخواء الذي يعشش فيها! ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجريانها. فيهربون بالانتحار. ويهربون بالجنون. ويهربون بالشذوذ. ثم يطاردهم شبح القلق والخواء والفراغ ولا يدعهم يستريحون أبداً»[4].

١٧ ـ أمريكا تعيش عقوبة الفطرة:

أمريكا التي ابتعدت عن طريق الله وسارت في طريق الشيطان، والتي عاشت حياتها على هواها بدون ضابط أو وازِع، أو اعتبار لقيمة أو خلق أو

(١) الرسالة عدد: ٩٥٩ صفحة: ١٣٠٦.
(٢) الكتاب مجلد ٨ جزء ١٠ صفحة: ٦٦٨.
(٣) الظلال ١: ٢١١.
(٤) الظلال ١: ٣٢٦.

فضيلة، عاشت حياتها إباحية وعهراً وشذوذاً وانحرافاً وفساداً وإفساداً.. أمريكا التي زرعت كل هذه المفاسد والمباذل والانحرافات، لا بدّ أن تجني ما غرست وأن تحصد ما زرعت.. وها هو الجنى الفاسد والحصاد السام والثمر المرّ على «البيدر» الأمريكي.. يتمثل هذا في الملايين من الشعب الأمريكي رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً وهي تدفع «الثمن» باهظاً، ثمن الانحراف والفساد والإباحية والشذوذ، تدفع ثمنه من صحتها وحياتها، من فطرتها وروحها، من أعصابها وشبابها، من قوتها وفتوّتها، من وجودها وكيانها.. وبكلمة: إن أمريكا الآن تدفع الثمن غالياً وهي تعيش عقوبة الفطرة، عقوبة خروجها على فطرتها وضميرها وروحها وإنسانيتها... ويشفق العقلاء هناك على أمريكا، ويروعهم الثمن الذي يدفعونه، ويخيفهم الطريق الذي يسيرون فيه، ويرتفع صوتهم بالنكير والتحذير.. ولكن هو من الذي يسمع! وأنَّى للمخمور أن يسمع؟ وأنَّى للغافل أن يَعي، وأنَّى للميت أن يستيقظ؟...

سيد قطب رأى هذا في الواقع الأمريكي بعينيه الإيمانيتين، وأدرك كيف يدفع الشعب هناك الثمن ويعيش عقوبة الفطرة.. واستخدم سيد هذا الواقع المريض نموذجاً لكل من خرج عن منهج الله واتبع هواه. وصار يحذّر الناس من ذلك الطريق، ويُبصرهم ببشاعة المصير.

يقول عن الشعر الأمريكي هناك: «إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطّرد بسبب فوضى الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكِرات والمخدرات ليعوِّض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب... ثم الانتحار[1]..

ويقول عن النذر التي تتوالى هناك على القوم وهم سادرون: «ونذر السوء تتوالى، والأمرة الأمريكية في عنفوانها لا تتلفت للنذر، ولكن عوامل

(١) الظلال ١: ٢١١.

التدمير تعمل في كيانها، على الرغم من هذا الرواء الظاهري، وتعمل بسرعة، مما يَشي بسرعة الدمار الداخلي على الرغم من كل الظواهر الخارجية!! لقد وُجد الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم، لا لأنهم في حاجة إلى المال، ولكن لأن بهم شذوذاً جنسياً ناشئاً من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع.

.. وأخيراً يعلن رئيس الولايات المتحدة أن ستة من كل سبعة من شباب أمريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذي يعيشون فيه..»(١).

١٨ ـ بداية النهاية لأمريكا:

أمريكا التي تعيش عقوبة الفطرة ـ كما مرّ معنا في البحث السابق ـ لا بدّ أن تبدأ في التراجع، فإن أمة بلا فضائل أخلاقية، ولا ثروة من القيم الإنسانية، لا يمكن أن تستمر في قيادة البشرية، وإن أمة تخرج عن منهج ربّها، وتصادم فطرتها وروحها، لا يمكن أن تبقى في الوجود الحضاري، وعندما يحلّ بها أمر الله ـ كما حلّ بالأمم السابقة ـ فإنه لن تُغني عنها أموالها ودولارها، ولن تُغني عنها ثرواتها وخيراتها، ولن تُغني عنها صناعاتها وأدواتها، ولن يُغني عنها رصيدها وتاريخها ـ إن كان لها رصيد إنساني أو تاريخ مشرف ـ وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، وأولئك هم وقود النار ﴾(٢). وحيث يقول: ﴿ ولا يُغني عنهم ما كسبوا شيئاً، ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ﴾(٣)..

إن أمريكا تعيش أيضاً بداية النهاية. وإنها تسير نحو هاويتها بسرعة عجيبة، وهي لا تكاد تشعر، وإن المشفقين والعقلاء يحاولون ـ عبثاً ـ إيقاف

---

(١) الظلال ٢ : ٦٣٦.
(٢) آل عمران: ١٠.
(٣) الحاشية: ١٠.

الانهيار، وتأخير النهاية، ولكن لا رادّ لأمر الله، ولن ينفعهم شيء عندما يأتيهم بأسه. ﴿ فلم يَكُ ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا، سنّة الله التي قد خلت في عباده، وخسر هنالك الكافرون ﴾[1].

ومن المؤشرات على هذه الحقيقة، والعلامات البارزة على أن أمريكا بدأت نهايتها وهي وشيكة ـ الأمثلة التي طرحناها في البحث السابق، ونضيف إليها هذه الأمثلة السريعة، التي عرضها سيد في الظلال: انتشرت موجة الإجرام بين المراهقين والمراهقات من شباب أمريكا... وقد قدّرت لجنة الأربعة عشر الأمريكية التي تعنى بمراقبة حالة البلاد الخلقية أن ٩٠ بالمئة من الشعب الأمريكي مصابون بالأمراض الجنسية السرية الفتّاكة (وذلك قبل وجود المركبات الحديثة من مضادات الحيويات كالبنسلين والأستريبتو مايسين).. وكتب القاضي «لندسي» بمدينة «دنفر» أنه من كل حالتي زواج تعرض قضية طلاق[2].

ويقول: «ما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية في الأرض حتى يكون الانطباع الأول في حسّه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم من ذوات نفوسهم، وسرعان ما يتكشف الرخاء المادي والمتاع الحسّي الذي يصل إلى حدّ التمرّغ في الوحل، عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمسكِرات والمخدرات والجريمة... وفراغ الحياة من كل تصور كريم..»[3].

ولقد طبّق سيد عليه قوله تعالى: ﴿ فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فإذا بهم مبلسون ﴾[4].. فخرج بنتيجة أن الخيرات والنعم عليهم وافرة، وأنهم مغترّون بها، وأن العذاب إليهم قادم «وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء

---

(١) غافر: ٨٥.
(٢) الظلال ٢: ٦٣٧.
(٣) الظلال ١: ٤٢٢.
(٤) الأنعام: ٤٤.

الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقْفٌ «على الرجل الأبيض» وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة، وفي صلف على أهل الأرض كلهم... كنت أرى هذا كله فأذكر هذه الآية، وأتوقع سنّة الله، وأكاد أرى خطواتها وهي تدبّ إلى الغافلين»(١).

١٩ ـ من فضائل أمريكا:

وأخيراً نختم هذا الفصل بالإشارة إلى فضائل أمريكا، وهذا تطبيق منّا للنظرة الإسلامية العادلة، التي تأمر المسلم بالعدل في الغضب والرضا، والمحبة والشنآن، وتُلزم هذا المسلم بالإشارة إلى فضائل خصمه، وحسنات عدوه، وهو يدرسه ويتحدث عنه، وهو يقوِّمه ويقيمه...

وقد يتساءل أحد الناس بعد قراءة المباحث السابقة في هذا الفصل: هل لأمريكا من فضائل؟ هل أمريكا التي عرفناها على حقيقتها وضآلتها وإفلاسها في عالم القيم والمبادىء هل لها من حسنات أو مزايا؟ هل هناك جوانب إيجابية محددة في أمريكا وواقعها وحياة أفرادها وتشريعاتها ونظمها المادية؟ وإذا كانت هناك فضائل فما هي أهمها؟

وللجواب على هذه التساؤلات نقول: نعم. إن لأمريكا فضائل. ولولا تلك الفضائل فإنها لا يمكن أن تعيش وأن تقود العالم!! لا يمكن أن يوجد الشر خالصاً محضاً في أمة أو دولة أو حضارة، بل لا بدّ أن يكون ذلك الشر الغالب الكثير ممزوجاً بقليل من الخير.. إن لأمريكا عيوبها ونقائصها وهي كثيرة، وإن لأمريكا قبائحها ومباذلها وهي كثيرة، وإن لأمريكا رسالتها ودورها ووظيفتها وهي شيطانية مفسدة، وإن لأمريكا استعمارها واستغلالها وانتهازيتها وهي مدمرة مخربة... ولكن ـ ومع ذلك كله ـ إن لأمريكا فضائلها وهي قليلة، وحسناتها وهي يسيرة، ومزاياها وهي ضائعة وسط ذلك الركام من النقائص والمفاسد..

إن أهم فضائل أمريكا هي استغلالها كل طاقاتها لتقدم شعبها وتجنيدها

---

(٣) الظلال ٢: ١٠٩١.

كل إمكاناتها لرفاهيته المادية. وتوظيفها لكل طاقاتها ومواهبها لخدمته، واستخدام الطبيعة والعلم والصناعة والتقدم والتكنولوجيا والعقول والأدمغة لمزيد من الاختراعات والصناعات والأدوات التي تحقق الرخاء والرفاهية للشعب الأمريكي.. إن من فضائلها تقدمها المادي وتفوقها العلمي وسبقها التكنولوجي.. وإبداعها وإجادتها في هذا الجانب إلى حدٍّ لا يخطر على بال أحد.. وفي هذا يقول سيد قطب: «إن لأمريكا دورها الرئيسي في هذا العالم، في مجال العلم التطبيقي، وفي مجال البحوث العلمية، وفي مجال التنظيم والتحسين والإنتاج والإدارة، وكل ما يحتاج إلى ذهن وعضل فهذا تبرز فيه العقلية الأمريكية.. ولكن هذه البشرية تخطىء أشنع الخطأ، وتُعَرض رصيدها من القيم الإنسانية للضياع، إذا هي جعلت المَثل الأمريكي مَثَلها في الشعور والسلوك... إن هذا لا يعني أن الأمريكان شعب بلا فضائل، وإلا لما أمكنه أن يعيش، ولكنه يعني أن فضائله هي فضائل الإنتاج والنظام، لا فضائل القيادة الإنسانية والاجتماعية، فضائل الذهن واليد لا فضائل الذوق والشعور..»[1].

(١) الرسالة عدد ٩٦١ صفحة: ١٣٦٠.

الفصل الثالث

كلام سيد قطب عن أمريكا

تمهيد

كان سيد قطب حريصاً على دراسة المجتمع الأمريكي والظاهرة الأمريكية دراسة فاحصة، وتحليله تحليلاً صائباً، وقد كان يسجّل ملاحظاته ونظراته، ويدوِّن نتيجة تجربته، ومظاهر الحياة هناك، ويورد الأمثلة والنماذج على كل ما عنده من الواقع الأمريكي، لأنه يملك الكثير من الأمثلة المنتزعة من ذلك الواقع.

وقد كان يدرك ويعي الدور الأمريكي في المنطقة العربية والإسلامية، ويلمح مظاهر الخطة الأمريكية لاحتواء وإخضاع والسيطرة على هذه المنطقة، ويستحضر في ذهنه نماذج من الأشخاص - في مصر وغيرها من العالم العربي - المخدوعين بأمريكا، والمهزومين أمام تقدمها المادّي، والمضبوعين بسيطرتها وتفوقها العسكري، والمتأثرين بمناهج حياتها.. وهم الذين يؤْثرون كل ما هو أمريكي، ويفضلون نتاج وإنتاج العبقرية الأمريكية، وينشرون من ثَم معارفها وفنونها وعلومها، ويرددون دعاياتها وزخارفها وأباطيلها.. وكان يحزنه أن يرى هؤلاء على تلك الصورة من التبعية والذل والاستسلام، ويشفق عليهم، ويأسى لحالهم.. كما كان يخشى من سيطرة هؤلاء على مقاليد الأمور في بلادهم، ويدرك المصير الأسود البائس لبلادهم لو تمّت تلك السيطرة...

من أجل ذلك كله كان سيد حريصاً على تسجيل كلامه وملاحظاته ونتائج تحليلاته للواقع الأمريكي، وحريصاً على أن يراسل معارفه وأصدقاءه

وأقاربه ليطلعهم على ذلك ـ وعلى غيره من مكتسباته الجديدة في العالم الجديد ـ وكان ينشر بعض نظراته وتحليلاته في الصحف والمجلات المصرية. كما كان راغباً في إعداد دراسة خاصة عن أمريكا بعنوان «أمريكا التي رأيت» والتي لم تَرَ النور. . ليعرف الجميع مَن هي أمريكا، وما هي حقيقتها، وما هو دورها وما هي رسالتها. . .

ولما أقبل على القرآن يفسره في الظلال، ولما صار يصدر دراساته الإسلامية الرصينة، كان حريصاً على الاستشهاد بالواقع الأمريكي على الجاهلية وفسادها وانحلالها وإباحيتها. . وكان يطبّق الآيات القرآنية على الواقع المعاصر وبخاصة تلك التي تتحدث عن السُنن البشرية الثابتة، أو نهاية كل من خرج عن أمر ربه وإيحاء فطرته. . وكان حريصاً على إيراد الشاهد الحيّ والنموذج العملي الواقعي على ذلك، ولن يكون هذا إلا الواقع الأمريكي الذي خَبِره وأدركه.

وفيما يلي من الباحث نشير إشارات موجزة إلى أماكن كلامه عن أمريكا. والصحف والمجلات والكتب والدراسات التي حَوَت ذلك، ليكون القارىء على بيِّنة من هذا الأمر. . .

١ ـ رسائل له من أمريكا:

نلاحظ أن سيد قطب كان يكثر ـ وهو في أمريكا ـ من مراسلة معارفه وزملائه، وأهله وأقاربه، وقد قلّل من نتاجه الأدبي في القصيدة والمقالة، بل إن نفسه عزفت عن الكتابة الأدبية، ولم نجد له مقالات أو قصائد إلا النادر اليسير.

كان يجد نفسه في كتابة الرسالة، وكان يحس أنه يعش أفكاره وخواطره على سجيتها وسهولتها ويسرها، وكان يدرك أنه يناجي صاحبه ـ المرسل إليه ـ ويبثّه ما يجده من أفكار وخواطر وحقائق. . .

يقول عن نفسه وهو في أمريكا: «عندما كنت بعيداً عن الوطن ـ مدى عامين في أمريكا ـ كان في نفسي عزوف لا أدري مأتاه، عن الكتابة إلا في

القليل النادر. . . ولعلّ منشأ هذا العزوف كان هو الرغبة في تحقيق شيء أكبر من مجرد الكتابة[1]. . .

وقد استعاض عن كتابة المقالات بكتابة «الرسائل الإخوانية» ـ كما يسميها الأدباء ـ ولكن داء الكتابة لم يزايلني البتة في خلال تلك الفترة! كنت أكتب إلى أخي وأختيَّ وأصدقائي في مصر وسائر البلاد العربية وفي إنجلترا وفرنسا كذلك. . . وكنت أقول لهم في رسائلي الخاصة ما أودّ أن أقوله للناس في الكتابات المنشورة. . . كنت أستروح لهـذا اللون من التعبير الضيق المباشر، لأني لا أتكلف له ما يتكلفه الكُتّاب عادة لما ينوون نشره، وكن أحس فيه من الصدق والإخلاص والبساطة ما لا أحسه للكثير من المنشور، وكنت أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه[2]. . .

وقد أطلعنا على مقاطع من رسائله إلى أهله ومعارفه في مقاله «في الأدب والحياة» الذي نشره في مجلة الكتاب بعد عودته من أمريكا. . . من تلك المقاطع التي أوردها: مقطع من رسالته إلى شقيقته في مصر. . . ومقطع آخر من رسالته إلى صديق مكتئب ضيق الصدر بالناس وما هم عليه. . ومقطع ثالث من رسالته إلى صديق اعتزل الناس لأنه أرفع منهم وأسمى. . ومقطع رابع من رسالته إلى صديق يبيّن له فيها أن الغاية لا تبرر الوسيلة[3]. . .

ومن رسائله وهو في أمريكا رسالته إلى توفيق الحكيم، وقد كانت رسالة مطوّلة نشرت في عددين من مجلة الرسالة وكانت ردّاً على هدية له من الحكيم هي كتابه «الملك أُوديب» فاستغلها سيد فرصة لنقد أدبي من منظور إسلامي لكتاب الحكيم[4].

(١) الكتاب مجلد ١٠ جزء ٤ صفحة: ٣٨٩.
(٢) المرجع السابق: ٣٩٠ ـ ٣٩١.
(٣) المرجع السابق: ٣٩١ ـ ٣٩٣.
(٤) انظر الرسالة سنة ١٧ عدد ٨١٧ تاريخ ٩ مايو ٤٩ صفحة: ٨٢٣ ـ ٨٢٦ وعدد ٨٢٨ تاريخ ١٦ مايو ٤٩ صفحة ٨٥٤ ـ ٨٥٥.

ومن هذه الرسائل رسالتان بعث بهما إلى أنور المعداوي يتحدث له فيهما عن أمريكا، وعن النقد الأدبي وعقباته ومشقاته، ويخبره في إحداهما عن هجره للنقد الأدبي وانشغاله في برنامج اجتماعي وإصلاحي شامل. وقد نشر هاتين الرسالتين أخيراً السيد علي شلش في مجلة الكاتب المصرية. كان تاريخ الرسالة الأولى ١٩٤٩/١٢/٢٣، وتاريخ الرسالة الثانية من ختم البريد ١٩٥٠/٣/٦[١].

كان المصريون المبعوثون للدراسة في أوروبا وغيرها، يراسلون سيد قطب وهو في أمريكا، وقد أخبر سيد صديقه عباس خضر بخلاصة رسالة أحدهم من فرنسا: «ولا تسمع ما يقوله بعض الرقعاء عن جو فرنسا، فبين يدي الآن رسالة من شاب مصري غير مخدوع، يعيش في فرنسا مفتوح العين، يحدّثني عن التقلبات والأنواء، ويتمنى نسمة مصرية[٢]...

٢ ـ كتيّب (أفراح الروح):

اختلط الأمر على كثير من الناس، وعلى بعض الباحثين والدارسين، حقيقة الكتيّب الذي صدر يحمل اسم سيد قطب بعنوان «أفراح الروح» وبعضهم شكّك في نسبته إلى سيد ونسبه إلى شقيقه محمد قطب. وبعضهم اعتبره رسالة بعث بها سيد من وراء القضبان إلى أخته أمينة قطب. وكلاهما مخطىء في نظرته.

فأفراح الروح في أصله هو مجموعة من الرسائل الشخصية التي بعثها سيد إلى أهله ومعارفه عندما كان في أمريكا، وقد سلمها إلى السيد عادل الغضبان رئيس تحرير مجلة الكتاب لتنشر فيها باعتبارها تصلح للنشر أكثر من المقالات التي أُعدّت للنشر فعلاً ـ وقد كان الغضبان يستحثّ سيد على أن يكتب لمجلته ـ ولكن الغضبان لم ينشرها على اعتبار أنها رسائل شخصية خاصة لا تصلح للنشر في مجلة أدبية، ولم ينشرها من أجل سيد أيضاً حتى

---

(١) الكاتب سنة ١٥ عدد ١٧٣ تاريخ أغسطس ١٩٧٥ صفحات: ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) الرسالة عدد ٨٨٧ تاريخ ٣ يوليو ٩٥٠ صفحة: ٧٥٦.

لا يُتهم من قبل القرّاء بأنه أفلس فلجأ إلى نشر رسائل شخصية. ولذلك سلّمها إلى سيد بعد عودته من أمريكا.

ويبدو أن سيد أبقى هذه الرسائل في بيته، ولمّا سجن في الخمسينيات، وصلت هذه الرسائل إلى مجلة «الفكر» التونسية فنشرت فيها تحت عنوان «أضواء من بعيد» ثم في مجلة «الإيمان» المغربية.. ثم ظهرت في كتيّب «أفراح الروح» الذي أصدرته «الدار العلمية» في بيروت عام ١٩٧١.

وبهذا يظهر أن كتيّب «أفراح الروح» هو مجموعة من رسائل سيد قطب بعث بها من أمريكا إلى أهله ومعارفه، وأنه لا بدّ من البحث العلمي المنهجي الموضوعي في تناول الموضوعات المختلفة، حتى لا تضيع الحقيقة وسط ركام الافتراضات وتيه الادّعاءات[١].

٣ ـ مقالاته عن أمريكا:

كان سيد يراسل المجلات الثقافية والأدبية في مصر عندما كان في أمريكا ـ وقد كانت له بهم صلة سابقة ـ بل كانوا يستكتبونه ويحثّونه على الكتابة في مجلاتهم، كما فعل السيد عادل الغضبان رئيس تحرير مجلة الكتاب.

من المجلات التي عرفنا أن سيد كتب فيها وهو في أمريكا، أو كتب فيها عن أمريكا بعد ما وصل إلى مصر، مجلة «الرسالة» ومجلة «الكتاب».

أما مجلة الرسالة فقد نشرت له رسالتين قيمتين أرسلهما إلى توفيق الحكيم ردّاً على هدية الأخير إلى سيد وهي كتابه «الملك أوديب» والرسالتان تحملان قيمة عظيمة من حيث نقد سيد للواقع الأمريكي. ومن حيث نظرات سيد الجديدة في النقد الأدبي التي أدخل فيها العامل الديني

(١) انظر كتابنا «سيد قطب الشهيد الحي»: ٢٥١ ـ ٢٥٢ وسيد قطب الأديب الناقد للأستاذ عبد الله الخباص: ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

والبُعد الإسلامي، ولهذا كان حديثه للحكيم فيهما قيّماً، وداعياً له إلى أن يتخلى عن الثقافة الرومانية واليونانية والأوروبية في الروايات والمسرحيات، وأن يعود إلى نفسه وإيمانه وإسلامه ليبدع ويسمو في نتاجه الفني والأدبي.

ونشرت الرسالة رسائل بعث بها إلى زميله عباس خضر، وكان الأخير ينشرها في زاويته الأسبوعية «الأدب والفن في أسبوع» ينشرها وينشر ردّه وتعقيبه عليها ولا تخلو المراسلات الإخوانية بينهما من مداعبات «وقفشات» لطيفة وهذه المراسلات ذات قيمة في نقد سيد للمجتمع الأمريكي، وتحليله للحياة فيها، تصَوُّر كذلك تصور عباس خضر وغيره من الأدباء للواقع الأمريكي ومقارنته بالواقع المصري.

ونشرت له الرسالة قصيدة فنية رائعة هي «هتاف الروح» التي حمَّلها كل أشواقه إلى مصر، وأثبت فيها غربته في «الصحراء» الأمريكية الجدباء.

بينما نشرت له مجلة الكتاب مقالات أخرى. من أجودها ـ النسبة لموضوعنا في نقد وتحليل أمريكا ـ مقاله الحاد البديع «حمائم في نيويورك» الذي فنّد فيه أمريكا وحياتها. كما نشرت له مقالين آخرين هما: «أضواء من بعيد»، و«في الأدب والحياة» ونشرت له تعقيباً على مقال «العشرون الذين صاغوا القرن العشرين» كتبه كاتبان أمريكيان ونشراه في مجلة «لوك» الأمريكية، ثم ترجمه الأستاذ محمد قطب ونشره في مجلة الكتاب وعقّب عليه سيد قطب مسجِّلاً اهتمامات الأمريكيين وعقليتهم بإيجاز.

ونشرت له مجلة الكتاب قصيدة الرسالة ثلاث مقالات تعتبر خلاصة نظرته إلى أمريكا ونقده وتقويمه لها، وتحليله للحياة فيها، وهي بعنوان «أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية».. وهذه المقالات تعتبر نواة كتابه «أمريكا التي رأيت» وطالم حُرمنا من كتابه المذكور، فإن تلك المقالات الثلاثة تكاد تغني عن ذلك الكتاب[1]...

---

(١) سوف نثبت تلك المقالات والرسائل في القسم الثاني من هذا الكتاب بإذن الله.

٤ ـ إشاراته إلى أمريكا في كتبه:

عندما صار سيد قطب يصدر كتبه الإسلامية، ويعد أبحاثه الإسلامية كان يلتفت كثيراً إلى أمريكا والحياة فيها، وكان يستشهد بأمريكا وما فيها على الحقائق الدينية والإسلامية التي تقرر فساد الحياة والأرض عندما يبتعد الناس عن الله، والتي تقرر وقوع الناس في الانحلال والفواحش عندما يستسلمون للشهوات، والتي تقرر إصابة الناس بالأمراض والآفات بسبب ذلك كله. . .

ولما كتب سيد الظلال كان كثيراً ما يلتفت إلى أمريكا ويبيّن صدق انطباق الآيات القرآنية عليها، وبخاصة تلك التي تقرر سنّة الله الثابتة في حياة الإنسان، أو تلك التي تقرر عقوبة الله لكل من خرج عن دينه واتبع هواه. كما كان يشير إلى أمريكا وهو يتحدث عن الجاهلية وقيمها ومبادئها وتبذلها وانحرافها وانحلالها. . .

وهذا الصنيع من سيد طيب لطيف، إنه «يوظف» أمريكا كوسيلة إيضاح، يعرض من خلالها عظمة الإسلام في قيمه ومبادئه من خلال مقارنته بنقيضه الجاهلي الهابط، الذي تمثله أمريكا، وقديماً قيل: «وبضدها تتميز الأشياء». . كما كان «ينفر» الناس من الانسياق وراء الشهوات، والسير وراء الشيطان، ويعرض الطريق البائس لكل من فعل ذلك، والنموذج الأمريكي بين يديه يلتقط منه ما شاء ويعرض منه ما يريد. . .

أشار إلى أمريكا في كتابه «السلام العالمي والإسلام»، وكتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» وكتابه «دراسات إسلامية» الذي ضمّ عدداً من مقالاته الإسلامية في مختلف المجلّات. وكان كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» قد حوى إشارات كثيرة عن أمريكا، وبخاصة انحرافها الأخلاقي وحياتها الحيوانية البهيمية. وقد ظن البعض ـ خطأ[1] ـ أن سيد قطب قد وضع في هذا

(١) يقول الأستاذ يوسف العظم في كتابه عن سيد قطب: «وكأني بالمؤلف قد قال في هذا الكتاب (الإسلام ومشكلات الحضارة) ما كان ينوي أن يقوله في كتاب أمريكا التي رأيت. بعد أن =

الكتاب كل ما يريد قوله عن أمريكا، وأنه ضمّ خلاصة كتابه «أمريكا التي رأيت» علماً بأن ما في الكتاب من كلام عن أمريكا لا يزيد على ثلاثة صفحات فقط... وأن مقالاته التي نشرها في الرسالة بعنوان «أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية» هذه المقالات هي خلاصة موجزة لكتابه الذي وعد به، وقد بلغت صفحاتها ثلاث عشرة صفحة.

ولم يَخْلُ كتابه الأخير «معالم في الطريق» من إشارة إلى أمريكا والحياة فيها. أما الظلال فإن إشاراته عن أمريكا فيه كثيرة كما قلنا.

هذه هي أهم الكتب التي ضمّنها إشارات له عن أمريكا، وسوف نثبت هذه الإشارات كاملة موثقة بإذن الله في القسم الثاني من هذا الكتاب..

٥ ـ مصير كتابه «أمريكا التي رأيت»:

التبس على الناس مصير كتاب سيد قطب «أمريكا التي رأيت» مع اتفاقهم على أهميته وقيمته ونفاسته، وضرورته لكل من أراد أن يعرف أمريكا على حقيقتها.

ذهب البعض إلى أن سيد كتب كتابه وطبعه، وأنه صدر فعلاً!! ولا يملك هؤلاء دليلاً على ما يقولون، ولا «إشارة من علم» على ما يزعمون. وإنما يكتفون بإلقاء الأقوال جزافاً..

وذهب البعض إلى أن سيد عدل عن كتابه لأنه وضع خلاصته في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة». وقد أشرنا إلى بطلان هذا القول في المبحث السابق ـ في الهامش ـ..

وقد بحثت عن الكتاب ولم أعثر عليه. ولما كنت أُعدّ رسالتي للماجستير عن «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن» قابلت الأستاذ محمد

= وضع مخططه وكتب رؤوس أقلامه وعناوين أفكاره، لولا ظروف قاهرة حالت دون المضي في كتابة الكتاب وإبرازه إلى عالم الوجود..»١٨٧.

وهذا القول ليس صحيحاً ولا نوافق صاحبه ـ مع إجلالنا له ـ عليه...

قطب في بيته ـ في مكة المكرمة ـ وسألته ـ في جملة ما سألته عنه ـ عن مصير كتاب شقيقه «أمريكا التي رأيت» فأخبرني بأن الذي وُضع عنده أصل الكتاب المخطوط أمانة أحرقه خوفاً من التفتيش في مصر . .

وفي ذلك أقول في كتاب «سيد قطب الشهيد الحيّ»: «أمريكا التي رأيت»: بحث سجل فيه دراسته العميقة الفاحصة للحياة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، وكان من المتوقع أن يثير ضجة لو صدر. وكان سيد قطب راغباً في إصداره، إلا أنه عندما اعتقل عام ١٩٥٤ عهد بمسودّة البحث المخطوطة إلى أحد معارفه ليخفيه ريثما تستقر الأحداث وتنتهي الأزمة، وطلب منه الاحتفاظ به . . ولكن هذا الأخير لم تكن عنده الشجاعة الكافية، فلم يتمكن من الاحتفاظ بالأمانة . . إذ عندما اشتدت وطأة الاعتقالات ضد الإخوان المسلمين، خاف الرجل على نفسه فأحرق البحث . . وبهذا حرم الناس من بحث من أعمق بحوث سيد قطب[1] . . .

وبما أننا فقدنا ذلك البحث وحُرمنا مما فيه، فإننا قد وقفنا على خلاصة حديث سيد عن الواقع الأمريكي في المقالات الثلاث التي عرضها في مجلة الرسالة «أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية» . . فطالما يعتبرها هو جزءاً من ذلك الكتاب، وأطلق عليها عنوان ذلك الكتاب، فلماذا لا نعتبرها نحن كذلك وننظر إليها بذلك المنظار؟ . . .

ولا ننسى أن نشير إلى أن الكلام الذي أورده سيد في كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» عن أمريكا اعتبره مأخوذاً من كتابه «أمريكا التي رأيت» وأشار إلى ذلك في حاشية الكتاب.

كما أن سيد قطب يضع كتابه «أمريكا التي رأيت» ضمن الكتب التي ستطبع، ويشير إلى هذا حتى في كتبه التي صدرت بعد سجنه مثل «الإسلام ومشكلات الحضارة».

---

(١) سيد قطب الشهيد الحيّ: ٢٥٩ ـ ٢٦١.

القسمُ الثاني

النُّصُوص

الفصل الأول : مقالات سيد قطب عن أمريكا وقصائد منها
الفصل الثاني : إشارات سيد قطب في المجلات عن أمريكا
الفصل الثالث : إشارات سيد قطب في الظلال عن أمريكا
الفصل الرابع : إشارات سيد قطب في كتبه الإسلامية عن أمريكا

الفصل الأوّل

مقالات سيّد قطب عن أمريكا وقصائد منها

تمهيـــد:

نحب أن نبيّن للقارىء طريقتنا في ترتيب هذا القسم وتنظيمه، حيث جاء في أربعة فصول:

الفصل الأول: مقالات سيد قطب عن أمريكا: أثبتنا فيه المقالات الكاملة التي خصّصها سيد كلها للحديث عن أمريكا. وهي مقالاته في مجلتي «الرسالة» و«الكتاب». كما أثبتنا في هذا الفصل قصيدتين قالهما سيد من أمريكا عندما كان فيها.

الفصل الثاني: إشارات سيد في المجلات عن أمريكا: وهي الإشارات التي وردت في مقالة له، أو رسالة له، وهذه المقالة أو الرسالة يكون قد بعثها من أمريكا، وتحدث فيها عن أمور أدبية أو نقدية أو اجتماعية أو فكرية. فقمنا بأخذ الإشارة المتعلقة بالحديث عن أمريكا، وإثباتها في هذا الفصل، وذلك مثل رسائله إلى: توفيق الحكيم وعباس خضر وأنور المعداوي.

الفصل الثالث: إشارات سيد قطب في الظلال عن أمريكا.

الفصل الرابع: إشارات سيد قطب في كتبه الإسلامية عن أمريكا.

هذا ويحسن أن نذكر للقارىء أننا ـ من باب تسهيل الأمر عليه وتقسيم المقالات إلى وحدات جزئية ـ اجتهدنا في وضع عنوان لكل فقرة أو عدة فقرات مرتبطة ببعضها موضوعياً واجتهدنا أن يكون معبّراً عن المضمون،

ودالًّا على موضوع الفقرة أو الفقرات... ولهذا فهذه العناوين الجانبية في هذا القسم هي من اجتهادنا واختيارنا، ونتحمل نحن وضعها، فإن وُفقنا في اختيارها ووضْعها فذلك ما كنّا نرجوه. ونحمد الله ونشكره على ذلك، وإن كانت الأخرى فنستغفر الله ونعتذر عن ذلك.. وإن النقص والخطأ من سمات البشر... ولا حول ولا قوة إلا بالله...

(١)

أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية

الحلقة الأولى

مجلة الرسالة : السنة التاسعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٩٥٧ - تاريخ ٥ نوفمبر ١٩٥١ -
صفحات: ١٢٤٥ - ١٢٤٧

أمريكا موقع ومزايا:

أمريكا.. الدنيا الجديدة.. ذلك العالم المترامي الأطراف، الذي يشغل من أذهان الناس وتصوراتهم، أكثر مما تشغل من الأرض رقعته الفسيحة، وترفّ عليه أخيلتهم وأحلامهم بالأوهام والأعاجيب، وتهوى إليه الأفئدة من كل فج، شتى الأجناس والألوان، شتى المسالك والغايات، وشتى المذاهب والأهواء.

أمريكا.. تلك المساحات الشاسعة من الأرض بين الأطلنطي والباسيفيكي. تلك الموارد التي لا تنضب من المواد والخامات، ومن القوى والرجال. تلك المصانع الضخمة التي لم تعرف لها الحضارة نظيراً، ذلك النتاج الهائل الذي يعيا به العدّ والإحصاء. تلك المعاهد والمعامل والمتاحف المبثوثة في كل مكان. عبقرية الإدارة والتنظيم التي تثير العجب والإعجاب. ذلك الرخاء السابغ كأحلام الجنة الموعودة. ذلك الجمال الساحر في الطبيعة والوجوه والأجسام. تلك اللذائذ الحرّة المطلقة من كل قيد أو عرف. تلك الأحلام المجسمة في حيّز من الزمان والمكان...

رصيد أمريكا من التقييم:

أمريكا هذه كلها... ما الذي تساويه في ميزان القيم الإنسانية؟ وما

الذي أضافته إلى رصيد البشرية من هذه القيم؟ أو يبدو أنها ستضيفه في نهاية المطاف؟ . .

أخشى ألاّ يكون هناك تناسب بين عظمة الحضارة المادية في أمريكا، وعظمة «الإنسان» الذي ينشىء هذه الحضارة، وأخشى أن تمضي عجلة الحياة، ويُطوى سجل الزمن وأمريكا لم تضف شيئاً ـ أو لم تضف إلا اليسير الزهيد ـ إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم التي تميز بين الإنسان والشيء، ثم بين الإنسان والحيوان. .

مقياس التقويم الحضاري:

إن كل حضارة من الحضارات التي مرّت بها البشرية، لم تكن كل قيمتها فيما ابتدعه الإنسان من آلات، ولا فيما سخره من قوى، ولا فيما أخرجت يداه من نتاج. إنما كان معظم قيمتها فيما اهتدى إليه الإنسان من حقائق عن الكون، ومن صور وقيم للحياة، وما تركه هذا الاهتداء في شعوره من ارتقاء، وفي ضميره من تهذيب، وفي تصوره لقيم الحياة من عمق، والحياة الإنسانية بوجه خاص، مما يزيد المسافة بعداً في حسابه وحساب الواقع، بينه وبين مدارج الحيوانية الأولى في الشعور والسلوك، وفي تقويم الحياة وتقويم الأشياء.

فأما ابتداع الآلات أو تسخير القوى، أو صنع الأشياء، فليس له في ذاته وزن في ميزان القيم الإنسانية، إنما هو مجرد رمز لقيمة أساسية أخرى: هي مدى ارتقاء العنصر الإنساني في الإنسان، ومدى الخطوات التي يبعد بها عن عالم الأشياء، وعالم الحيوان. أي مدى ما أضاف إلى رصيده الإنساني من ثراء في فكرته عن الحياة، وفي شعوره بهذه الحياة.

هذه القيمة الأساسية هي موضع المفاضلة والموازنة بين حضارة وحضارة، وبين فلسفة وفلسفة، كما أنها هي الرصيد الباقي وراء كل حضارة، المؤثر في الحضارات التالية حين تتحطم الآلات وتفنى الأشياء، وحين تنسخها آلات أجدّ وأشياء أجود، مما يقع بين لحظة وأخرى، في مشارق الأرض ومغاربها. . .

ميدان الإبداع الأمريكي:

وإنه ليبدو أن العبقرية الأميركية كلها قد تجمعت وتبلورت في حقل العمل والإنتاج، بحيث لم تبق فيها بقية تنتج شيئاً في حقل القيم الإنسانية الأخرى. ولقد بلغت في ذلك الحقل ما لم تبلغه أمة، وجاءت فيه بالمعجزات التي أحالت الحياة الواقعية إلى مستوى فوق التصوّر ووراء التصديق لمن لم يشهدها عياناً. ولكن «الإنسان» لم يحفظ توازنه أمام الآلة، حتى ليكاد هو ذاته يستحيل آلة، ولم يستطع أن يحمل عبء العمل المنهك ثم يمضي قدماً في طريق الإنسانية، عندئذ أطلق للحيوان الكامن العنان، ضعفاً عن أن يحمل عبء العمل، وعبء «الإنسان»!.

أمريكا: قمة التقدم وسفح البدائية:

وإن الباحث في حياة الشعب الأمريكي ليقف في أول الأمر حائراً أمام ظاهرة عجيبة، قد لا يراها في شعب من شعوب الأرض جميعاً: شعب يبلغ في عالم العلم والعمل، قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي، لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك!

ولكن هذه الحيرة تزول بعد النظرة الفاحصة في ماضي هذا الشعب وحاضره، وفي الأسباب التي جمعت فيه بين قمة الحضارة وسفح البدائية.

التكوين المتوازن للإنسان:

في العالم القديم آمن الإنسان بقوة الطبيعة المجهولة، وصاغ حولها الخرافات والأساطير، وآمن بالدين، وغمرت روحه أضواؤه ورؤاه، وآمن بالفن وتجسمت أشواقه ألواناً وألحاناً وأوزاناً.. ثم آمن بالعلم أخيراً، بعدما انقسمت نفسه لأنماط من الإيمان، وألوان من المشاعر، وأشكال من صور الحياة، وتهاويل الخيال، بعدما تهذبت روحه بالدين، وتهذب حسّه بالفن، وتهذب سلوكه بالاجتماع. وبعدما صيغت مُثُله ومبادئه من واقعية التاريخ، ومن أشواقه الطليقة. وسواء تحققت هذه المبادىء والمُثُل أم لم تتحقق في

الحياة اليومية، فقد لقيت على الأقل هواتف في الضمير، وحقائق في الشعور، مرجوّة التحقق في يوم من الأيام، قَرُب أم بعد، لأن وجودها حتى في عالم المثال وحده، خطوة واسعة من خطوات البشرية في مدارج الإنسانية، وشعاع مضيء من الرجاء في تحققها يوماً من الأيام.

الولادة الشوهاء للإنسان الأمريكي:

أما في أمريكا فقد ولد الإنسان على مولد العلم، فآمن به وحده، بل آمن بنوع منه خاص، هو العلم التطبيقي، لأنه وهو يواجه الحياة الجديدة في القارة الجديدة وهو يتسلم الطبيعة هنالك بكراً جامحة عنيدة، وهو يهمّ أن ينشىء ذلك الوطن الجديد الذي أنشأه بيده، ولم يكن له من قبل وجود، وهو يصارع ويناضل لبناء هذا الوطن الضخم.. كان العلم التطبيقي هو خير عون له في ذلك الجهاد العنيف، لأنه يسعفه بالأداة العملية الفعّالة في مجال البناء والخلق والتنظيم والإنتاج...

في أمريكا أرض بكر:

ولم يفرغ الأمريكي بعد من مرحلة البناء، فما زال هنالك مساحات شاسعة لا تكاد تحدّ من الأراضي البكر، التي لم تمسسها يد، ومن الغابات البكر التي لم تطأها قدم، ومن المناجم التي لم تفتح ولم تستغل، وما يزال ماضياً في عملية البناء الأولى، على الرغم من وصوله إلى القمة في التنظيم والإنتاج.

الحالة النفسية للأمريكيين الأوائل:

ويحسن أن لا ننسى الحالة النفسية التي وفد بها الأمريكي إلى هذه الأرض فوجاً بعد فوج، وجيلاً بعد جيل، فهي مزيج من السخط على الحياة في العالم القديم، والرغبة في التحرّر من قيوده وتقاليده، ومن هذه القيود والتقاليد الثقيل الفاسد والضروري السليم، ومن الرغبة الملحّة في الثراء بأي جهد وبأية وسيلة، والحصول على أكبر قسط من المتاع تعويضاً عمّا يبذله من الجهد في الثراء..

أصل الأمريكيين:

ويحسن أن لا ننسى كذلك الحالة الاجتماعية والفكرية لغالبية الأفواج الأولى التي تألّفت منها نـواة هذا الشعب الجـديد، فهـذه الأفواج هي مجموعات من المغامرين، ومجموعات من المجرمين، فالمغامرون جاءوا طلاب ثراء ومتاع ومغامرات، والمجرمون جيء بهم من بلاد الامبراطورية الإنجليزية لتشغيلهم في البناء والإنتاج..

العلم المادي والقيم الإنسانية:

ذلك المزيج من الملابسات، وهذا المزيج من الأفواج، من شأنه أن يستنهض وينمّي الصفات البدائية في ذلك الشعب الجديد، وينيِّم أو يقاوم الصفات الراقية في نفسه أفراداً وجماعات، فتنشط الدوافع الحيوية الأولية، كأنما يستعيد الإنسان خطواته الأولى، بفارق واحد أنه هنا مسلح بالعلم، الذي ولد على مولده، وخطا على خطواته. والعلم في ذاته ـ وبخاصة العلم التطبيقي ـ لا عمل له في حقل القيم الإنسانية، وفي عالم النفس والشعور. وبذلك ضاقت آفاقه، وضمرت نفسه، وتحددت مشاعره، وضؤل مكانه على المائدة العالمية الزاخرة بالأنماط والألوان.

صراع الأمريكي الأول مع الطبيعة:

وقد يدهش الإنسان وهو يقرأ قصص الجماعات الأولى التي هاجرت إلى أمريكا في أيامها الأولى، ويتصور كفاحها الطويل العجيب، مع الطبيعة الجامحة في تلك الأصقاع المترامية، ومن قبل مع أنواء المحيط الرعيبة وأمواجه الجبارة، في تلك القوارب الصغار الخفاف، حتى إذا رست على الصخور محطمة أو ناجية، لقيت النازحين مجاهل الغابات ومتاهات الجبال، وحقول الجليد، وزعازع الأعاصير، ووحوش الغابات وأفاعيها وهوامها... لقد يدهش الإنسان كيف لم يترك هذا كله ظلاله على الروح الأمريكية، إيماناً بعظمة الطبيعة وما وراء الطبيعة، ليفتح لها منافذ أوسع من المادة وعالم المادة.

سرّ التشوّه في الشخصية الأمريكية:

ولكن هذه الدهشة تزول حين يتذكر ذلك المزيج من الملابسات، وذلك المزيج من الأفواج. لقد قابلوا الطبيعة بسلاح العلم، وقوة العضل، فلم تُثِرْ فيهم إلا قوة الذهن الجاف، وقوة الحسّ العارم، ولم تفتح لهم نوافذ الروح والقلب والشعور، كما فتحها في روح البشرية الأولى، التي احتفظت بالكثير منها في عصر العلم، وأضافت به إلى رصيدها من القيم الإنسانية الباقية على الزمان.

وحين تغلق البشرية على نفسها منافذ الإيمان بالدين، والإيمان بالفن، والإيمان بالقيم الروحية جميعاً، لا يبقى هنالك متصرف لنشاطها إلا في العلم التطبيقي والعمل، وإلا في لذة الحس والمتاع. وهذا هو الذي انتهت إليه أمريكا به أربعمائة عام...

(٢)

أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية

الحلقة الثانية

مجلة الرسالة : السنة التاسعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٩٥٩ - تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥١ - صفحات: ١٣٠١ - ١٣٠٦

البدائية الأمريكية:

يبدو الأمريكي -على الرغم من العلم المتقدم والعمل المتقن- بدائياً في نظره إلى الحياة، ومقوِّماتها الإنسانية الأخرى بشكل يدعو إلى الدهشة. ولعلّ لهذا التناقض الواضح أثره في ظهور الأمريكان بمظهر الشعب الغريب الأطوار في نظر الأجانب، الذين يراقبون حياة الشعب من بعيد، ويعجزهم التوفيق بين هذه الحضارة الصناعية الفائقة وذلك النظام الدقيق في إدارة الأعمال، وإدارة الحياة... وبين هذه البدائية في الشعور والسلوك، تلك البدائية التي تذكِّر بعهود الغابات والكهوف!

البدائية في الألعاب الرياضية:

يبدو الأمريكي بدائياً في الإعجاب بالقوة العضلية والقوة المادية بوجه عام. بقدر ما يستهين بالمُثُل والمبادىء والأخلاق، في حياته الفردية، وفي حياته العائلية وفي حياته الاجتماعية - فيما عدا دائرة العمل بأنواعه، وعلاقات الاقتصاد والمال - ومنظر الجماهير وهي تتبع مباريات كـرة القدم، على الطريقة الأمريكية الخشنة التي ليس لها من اسمها (كرة القدم) أي نصيب، إذ أن «القدم» لا تشترك في اللعب، إنما يحاول كل لاعب أن يخطف الكرة بين يديه، ويجري بها ليقذف بها إلى الهدف، بينما يحاول لاعبو الفريق الآخر أن يعوقوه بكل وسيلة، بما في ذلك الضرب في البطن، وتهشيم الأذرع

والسيقان، بكل عنف وكل شراسة.. منظر الجماهير وهي تتتبع هذه اللعبة، أو تشاهد حفلات الملاكمة والمصارعة الوحشية الدامية.. منظرها في هياجها الحيواني المنبعث من إعجابها بالعنف القاسي، وعدم التفاتها إلى قواعد اللعب وأصوله، بقدر ما هي مأخوذة بالدم السائل والأوصال المهشمة، وصراخها هاتفة: كلٌّ يشجع فريقه: حطّم رأسه. هشّم أضلاعه. اعجنه عجناً.. هذا المنظر لا يدع مجالاً للشك في بدائية الشعور التي تفتن بالقوة العضلية وتهواها..

محبة بأمريكا للسلام... خرافة:

وبمثل هذه الروح يتابع الجمهور الأمريكي صراع الجماعات والطوائف، وصراع الأمم والشعوب. ولست أدري كيف راجت في العالم - وبخاصة في الشرق - تلك الخرافة العجيبة. خرافة أن الشعب الأمريكي شعب محب للسلام!

الأمريكي وشهوة الحرب:

إن الأمريكي بفطرته محارب محب للصراع، وفكرة الحرب والصراع قوية في دمه، بارزة في سلوكه، وهذا هو الذي يتفق مع تاريخه كذلك. فقد خرجت الأفواج الأولى من أوطانها قاصدة إلى أمريكا بفكرة الاستعمار والمنافسة والصراع. وهناك قاتل بعضهم بعضاً وهم جماعات وأفواج. ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) وما يزالون يحاربونهم حرب إفناء حتى اللحظة الحاضرة. ثم قاتل العنصر الأنجلو سكسكوني العنصر اللاتيني هناك، وطرده إلى الجنوب في أمريكا الوسطى والجنوبية، ثم حارب المتأمركون أُمّهم الأولى إنجلترا في حرب التدمير بقيادة «جورج واشنطن» حتى نالوا استقلالهم عن التاج البريطاني.

الدوافع الحقيقية لتحرير العبيد في أمريكا:

ثم حارب الشمال الجنوب بقيادة «إبراهام لنكولن» تلك الحرب التي اتّسمت بسمة «تحرير العبيد» وإن كانت دوافعها الحقيقية هي المنافسة

الاقتصادية. ذلك أن العبيد المستجلبين من أواسط أفريقيا ليعملوا في الأرض رقيقاً، لم يستطيعوا مقاومة الطقس البارد في الشمال فنزحوا إلى الجنوب. وكان معنى هذا أن يجد المستعمرون في الولايات الجنوبية الأيدي العاملة الرخيصة على حين لا يجدها الشماليون، فيتم لهم التفوق الاقتصادي، لذلك أعلن الشماليون الحرب لتحرير العبيد!...

أمريكا تخرج من عزلتها:

وانقضت فترة العزلة، وانتهت سياستها، عندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى، ثم اضطلعت بالحرب العالمية الثانية. ثم ها هي ذي تنهض بالحرب في كوريا، والحرب العالمية الثالثة ليست بالبعيدة! ولست أدري إذن كيف راجت تلك الخرافة العجيبة، عن شعب هذا تاريخه في الحروب؟

نظرة الأمريكيين للموت:

إن الحيوية المادية عند الأمريكي مقدسة، والضعف أيّاً كانت أسبابه جريمة. جريمة لا يغتفرها شيء. ولا تستحق عطفاً ولا عوناً. وحكاية المبادىء والحقوق خرافة في ضمير الأمريكي، لا يتذوق لها طعماً. كن قوياً ولك كل شيء. أو كن ضعيفاً فلا يسعفك مبدأ، ولا يكون لك مكان في مجال الحياة الفسيح. أما الذي يموت فيرتكب بالطبع جريمة الموت. ويفقد كل حق له في الاهتمام والاحترام! أليس أنه قد مات؟

أمريكيون يتفكهون على مصاب:

كنت في مستشفى «جورج واشنطن» العاصمة، وكان الوقت مساء، حينما غمرت موجة من الاضطراب غير معهودة، وبدأت فيه حركة غير عادية، تستلفت النظر. وأخذ المرضى القادرون على الحركة يغادرون أسرَّتهم وحجراتهم إلى المماشي والأبهاء يستطلعون؟ ثم جعلوا يتحلقون متسائلين عن سر تلك الظاهرة في حياة المستشفى الهادئة... وعرفنا بعد فترة أن أحد موظفي المستشفى قد أُصيب في حادث مصعد، وأنه في حالة خطيرة، بل في دور الاحتضار. وذهب أحد المرضى الأمريكان ليرى بنفسه،

ثم عاد يقصّ على المتحلقين في الممشى ما رأى.. وحين يخيم شبح الموت على مكان لا تكون له رهبة، ولا يكون للموت خشوعه كما يكون ذلك في مستشفى... ولكن هذا الأمريكاني أخذ يضحك ويقهقه، وهو يمثل هيئة المصاب المحتضر، وقد دق المصعد عنقه، وهشم رأسه، وتدلى لسانه من فمه على جانب وجهه! وانتظرت أن أسمع أو أرى علائم الامتعاض والاستنكار من المستمعين، ولكن كثرتهم الغالبة جعلت تضحك متفكهة، بهذا التمثيل البغيض.

ضاحكون بجانب جثة عزيز:

لذلك لم أعجب وبعض أصدقائي يقصّ عليَّ ما رأى وما سمع، حول الموت ووقعه في نفوس الأمريكان.

قال لي زميل: إنه كان حاضر مأتم، حينما عرضت جثة رب البيت محنطة في صندوق زجاجي ـ على العادة الأمريكية ـ كيما يمر أصدقاء الفقيد بجثمانه، ليودعوه الوداع الأخير، ويلقوا عليه النظرة النهائية، واحداً بعد الآخر في صف طويل. حتى إذا انتهى المطاف وتجمعوا في حجرة الاستقبال، ما راعه إلا أن يأخذ القوم في دعابات وفكاهات، حول الفقيد العزيز وحول سواه، تشترك فيها زوجه وأهله، وتعقبها الضحكات المجلجلة في سكون الموت البارد، وحول الجسد المسجّى في الأكفان!..

أمريكية تلهو وجثة زوجها في البيت:

وكان الأستاذ مدير البعثات المصرية بواشنطن مدعوا هو والسيدة حَرَمه إلى إحدى الحفلات، وقبيل الموعد مرضت السيدة حَرَمه، فأمسك بالتليفون ليعتذر عن الحفلة بسبب هذا الطارىء. ولكن الدّاعين أجابوه بأنه لا ضرورة للاعتذار، فإنه يملك أن يحضر منفرداً، وستكون هذه فرصة طيبة، ذلك أن إحدى المدعوّات قد توفي زوجها فجأة قبيل الحفلة، وستكون وحيدة فيها، فمن حسن الحظ أن يكون لها رفيق!

أمريكية تتحدث عن زوجها الميت حديثاً:

ودخلت مرة بيت سيدة أمريكية كانت تساعدني في اللغة الإنجليزية في الفترة الأولى من وجودي في أمريكا، فوجدت عندها إحدى صديقاتها، وكانتا تتحدثان في موضوع لحقت أواخره، وهذه الصديقة تقول: «لقد كنت حسنة الحظ، فقد كنت مؤمِّنة على حياته. حتى علاجه لم يكلفني إلا القليل، لأنني كنت مؤمنة عليه في هيئة «الصليب الأزرق»[١] وابتسمتْ ضاحكة».

ثم استأذَنَتْ وخرَجَتْ، وبقيتُ مع ربة البيت، وأنا أحسب أن صديقتها كانت تحدّثها عن كلبها ـ وإن كنت قد دهشت لأنها لا تبدي أي تأثّر لموته! ولكن ما راعني إلا أن تقول لي ـ ولِمَ أسأل !ـ «كانت تحدّثني عن زوجها. لقد مات منذ ثلاثة أيام»!.

ولما أبديت لها دهشتي أن تتحدث صديقتها عن زوجها المتوفى منذ ثلاثة أيام بمثل هذه البساطة، كان عذرها الذي لا يخالجها الشك في أنه مقنع ووجيه «إنه كان مريضاً! لقد مرض أكثر من ثلاثة أشهر قبل الوفاة!».

مأتم الطيور في مصر:

عادت بي الذاكرة إلى مشهد عميق الأثر في شعوري، وقد أثار في خاطري في حينه منذ سنوات.. خاطرة لم تكتب بعنوان: «مأتم الطيور» ذلك مشهد جماعة من الفراخ كنّا نربيها في دارنا، وقد وقفت متحلقة صامتة مبهورة مأخوذة، حول فرخ منها ذبيح، لقد كانت مفاجأة شعورية لكل من كان في البيت، مفاجأة غير منتظرة من طير غير متقدم في سلّم الرقي كالدجاج، بل كانت صدمة لم نجروء بعدها منذ ذلك الحين على ذبح فرخ واحد على مرأى من جماعة الطيور!

حزن الغربان على ميتها:

ومنظر الغربان حين يموت لها مائت، منظر مألوف شاهده الكثيرون.

---

(١) هيئة ضمان اجتماعية ضد المرضى، وهي تتولى أداء معظم النفقات في أثناء علاج المشتركين بها، مقابل قسط شهري صغير (سيد).

وهو منظر يصعب تفسيره بغير شعور «الحزن» أو «عاطفة» القرابة! فهذه الجموع من الغربان المحلّقة الصافّة، الناعقة بشتى الأصوات والأنغام، الطائرة هنا وهناك، حتى تحتمل جثمان الميت وتطير.. هذا كله يشي برجفة الموت في عالم الطيور!

جفاف الحياة الأمريكية:

وقداسة الموت تكاد تكون شعوراً فطرياً. فليست البدائية الشعورية هي التي تطمسها في النفس الأمريكية، ولكنه جفاف الحياة من التعاطف الوجداني، وقيامها على معادلات حسابية مادية، وعلى علاقات الجسد ودوافعه، واستخفافها عمداً بكل ما يشتهر أنه من مقدسات الناس في العالم القديم، والرغبة في مخالفة ما تواضع عليه الناس هناك، وإلا فما مزية الدنيا الجديدة على ذلك العالم القديم؟

شعور الأمريكيين بالدين بدائي:

وما يقال عن الشعور بالموت يقال عن الشعور بالدين.

كنائس بدون حياة:

ليس أكثر من الأمريكان تشييداً للكنائس، حتى لقد أحصيت في بلدة واحدة لا يزيد سكانها على عشرة آلاف أكثر من عشرين كنيسة! وليس أكثر منهم ذهاباً إلى كنائس في ليلات الأحد وأيامه، وفي الأعياد العامة وأعياد القديسين المحليين وهم أكثر من «الأولياء» عوّام المسلمين!... وبعد ذلك كله ليس هناك من هو أبعد من الأمريكي عن الشعور بروحية الدين واحترامه وقداسته، وليس أبعد من الدين عن تفكير الأمريكي وشعوره وسلوكه.

كنائس للهو والتسلية:

وإذا كانت الكنيسة مكاناً للعبادة في العالم المسيحي كله، فإنها في أمريكا لكل شيء إلا العبادة. وإنه ليصعب عليك أن تفرّق بينها وبين أي مكان آخر، معدٍّ للهو والتسلية أو ما يسمونه بلغتهم الـ «Fun» ومعظم قصّادها

إنما يعدّونها تقليداً اجتماعياً ضرورياً، ومكاناً للقاء والأنس، ولتمضية وقت طيب، وليس هذا شعور الجمهور وحده، ولكنه كذلك شعور سدنة الكنيسة ورعاتها . . .

أندية الكنائس ودعاياتها:

ولمعظم الكنائس نادٍ يتألف من الجنسين، ويجتهد راعي كل كنيسة أن يلتحق بالكنيسة أكبر عدد ممكن، وبخاصة أن هناك تنافساً كبيراً بين الكنائس المختلفة المذاهب، ولهذا تتسابق جميعاً في الإعلان عن نفسها بالنشرات المكتوبة وبالأنوار الملونة على الأبواب والجدران للفت الأنظار، وبتقديم البرامج اللذيذة المشوقة لجلب الجماهير بنفس الطريقة التي تتبعها المتاجر ودور العرض والتمثيل، وليس هناك من بأس في استخدام أجمل فتيات المدينة وأرشقهنّ، وأبرعهنّ في الغناء والرقص والترويج.

برنامج حفلة كنسية:

وهذه مثلاً محتويات إعلان عن حفلة كنيسة، كانت ملصقة في قاعة اجتماع الطلبة في إحدى الكليات.

«يوم الأحد أول أكتوبر ـ في الساعة السادسة مساء ـ عشاء خفيف. ألعاب سحرية. ألغاز. مسابقات. تسلية» . . .

وليس في هذا أية غرابة، لأن راعي الكنيسة لا يحسّ أن عمله يختلف في شيء عن عمل مدير المسرح، أو مدير المتجر. النجاح أولاً وقبل كل شيء ـ والوسيلة ليست بالمهمة ـ وهذا النجاح يعود عليه بنتائجه الطيبة: المال والجاه. فكلما كثر عدد الملتحقين بكنيسته عظُم دخله، وزاد كذلك احترامه ونفوذه في بلده، لأن الأمريكي بطبيعته يُؤخذ بالفخامة في الحجم أو العدد. وهي مقياسه الأول في الشعور والتقدير.

ليلة حمراء كنسية:

كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة جريلي بولاية كولورادو ـ فقد كنت

عضواً في ناديها كما كنت عضواً في عدة نوادٍ كنسية في كل جهة عشت فيها، إذ كانت هذه ناحية هامة من نواحي المجتمع، تستحق الدراسة عن كثب ومن الداخل - وبعد أن انتهت الخدمة الدينية في الكنيسة، واشترك في التراتيل فتية وفتيات من الأعضاء، وأدى الآخرون الصلاة، دلفنا من باب جانبي إلى ساحة الرقص الملاصقة لقاعة الصلاة يصل بينهما الباب، وصعد «الأب» إلى مكتبه، وأخذ كل فتى بيد فتاة، وبينهم وبينهنّ أولئك الذين واللواتي، كانوا وكنّ، يقومون بالترتيل ويقمن!

وكانت ساحة الرقص مضاءة بالأنوار الحمراء والصفراء والزرقاء، وبقليل من المصابيح البيض. . . وهي الرقص على أنغام «الجراموفون» وسالت الساحة بالأقدام والسيقان الفاتنة والتفّت الأذرع بالخصور، والتقت الشفاه والصدور. . . وكان الجو كله غراماً، حينما هبط «الأب» من مكتبه وألقى نظرة فاحصة على المكان ومَنْ في المكان، وشجع الجالسين والجالسات ممّن لم يشتركوا في الحلبة على أن ينهضوا فيشاركوا، وكأنما لحظ أن المصابيح البيض تفسد ذلك الجو «الرومانتيكي» الحالم، فراح في رشاقة الأمريكاني وخفته يطفئها واحداً واحداً، وهو يتحاشى أن يعطّل حركة الرقص، أو يصدم زوجاً من الراقصين في الساحة، وبدا المكان بالفعل أكثر «رومانتيكية» وغراماً. . ثم تقدم إلى «الجراموفون» ليختار أغنية تناسب ذلك الجو، وتشجع القاعدين والقاعدات على المشاركة فيه.

واختار. . . اختار أغنية أمريكية مشهورة اسمها But baby its cold outside (ولكنها يا صغيرتي باردة في الخارج) وهي تتضمن حواراً بين فتى وفتاة عائدين من سهرتهما، وقد احتجزها الفتى في داره، وهي تدعوه أن يطلق سراحها، لتعود إلى دارها فقد أمسى الوقت، وأمها تنتظر. . . وكلما تذرعت إليه بحجة أجابها بتلك اللازمة، ولكنها يا صغيرتي باردة في الخارج!

وانتظر الأب حتى رأى خطوات بنيه على موسيقى تلك الأغنية المثيرة، وبدا راضياً مغتبطاً، وغادر ساحة الرقص إلى داره، تاركاً لهم ولهنّ إتمام هذه السهرة اللذيذة. . . البريئة!. . .

القساوسة وصائدات الرجال:

وأب آخر يتحدث إلى صاحب لي عراقي، وقد توثقت بيني وبينه عُرى الصداقة، فيسأله عن «ماري» زميلته في الجامعة «لِمَ لا تحضر الآن إلى الكنيسة؟» ويبدي أنه لا يعنيه أن تغيب الفتيات جميعاً وتحضر «ماري»! وحين يسأله الشاب عن هذه اللهفة: يجيب: «إنها جذابة، وإن معظم الشبان إنما يحضرون وراءها!».

ويحدّثني شاب من شياطين الشبان العرب الذين يدرسون في أمريكا، وكنّا نطلق عليه اسم «أبو العتاهية» ـ وما أدري إنْ كان ذلك يُغضِب الشاعر القديم أو يرضيه ـ فيقول لي عن فتاته ـ ولكلٍّ فتى فتاة في أمريكا ـ إنها كانت تنتزع نفسها من بين أحضانه أحياناً لأنها ذاهبة للترتيل في الكنيسة، وكانت إذا تأخرت لم تنجُ من إشارات «الأب» وتلميحاته إلى جريرة «أبي العتاهية» في تأخيرها عن حضور الصلاة! هذا إذا حضرت وحدها من دونه، فأما إذا استطاعت أن تجرّه وراءها فلا لوم عليها ولا تثريب!

الغاية عندهم تبرر الوسيلة:

ويقول لك هؤلاء الآباء: إننا لا نستطيع أن تجتذب هذا الشاب إلا بهذه الوسائل!.

ولكن أحداً منهم لا يسأل نفسه: وما قيمة اجتذابهم إلى الكنيسة، وهم يخوضون إليها مثل هذا الطريق، ويقضون ساعاتهم فيه؟ أهو الذهاب إلى الكنيسة هدف في ذاته، أم آثاره التهذيبية في الشعور والسلوك؟ من وجهة نظر «الآباء» التي أوضحتُها فيما سلف، مجرد الذهاب هو الهدف. وهو وضع لمن يعيش في أمريكا مفهوم!

ولكني أعود إلى مصر، فأجد من يتحدّث أو يكتب عن الكنيسة في أمريكا ـ وهو لم يرَ أمريكا لحظة ـ وعن دورها في الإصلاح الاجتماعي، ونشاطها في تطهير القلب وتهذيب الروح...

ولله في خلقه شؤون!...

البدائية الجنسية في أمريكا:

والأمريكي بدائي في حياته الجنسية، وفي علاقات الزواج والأسرة. ولقد مررت في أثناء دراساتي للكتاب المقدس بتلك الآية الواردة في «العهد القديم» حكاية عن خلق الله للبشر أول مرة وهي تقول: (ذكراً وأنثى خلقهم)... مررت بهذه الآية كثيراً، فلم يتمثل لي معناها عارياً واضحاً جاهراً، كما تمثل لي في أثناء حياتي في أمريكا.

جنس وفساد:

إن كل ما تعبت الحياة البشرية الطويلة في خلقه وصيانته من آداب الجنس، وكل ما صاغته حول هذه العلاقات من عواطف ومشاعر، وكل ما جاهدت من غلاظة الحسّ وجهامة الغريزة، لتطلقه إشاعات مرفرفة، وهالات مجنحة، وأشواق طليقة وكل الروابط الوثيقة حول تلك العلاقات في شعور الفرد، وفي حياة الأسرة، وفي محيط الجماعة...

إن هذا كله قد تجردت منه الحياة في أمريكا مرة واحدة، وتجلّت عارية عاطلة من كل تجمل: (ذكراً وأنثى) كما خلقهم أول مرة. جسد لجسد، وأنثى لذكر. على أساس مطالب الجسد ودوافعه، تقوم العلاقات وتتحدد الصلات، ومنها تستمد قواعد السلوك، وآداب المجتمع، وروابط الأسر والأفراد.

بفتنة الجسد وحدها، عارية من كل ستار، مجردة من كل حياء، تلقى الفتاة الفتى، ومن قوة الجسد وعضلاته يستمد الفتى إعجاب الفتاة. ويستمد الزوج حقوقه ـ هذه الحقوق التي تسقط جميعها في عُرْف الجميع، يوم يعجز الرجال عنها لسبب من الأسباب ـ.

مظاهر فتنة «الأمريكية»:

والفتاة الأمريكية تعرف جيداً مواضع فتنتها الجسدية، تعرفها في الوجه، في العين الهاتفة، والشفة الظامئة، وتعرفها في الجسد: في الصدر الناهد، والردف المليء، وفي الفخذ اللفاء والساق الملساء ـ وهي تبدي هذا

كله ولا تخفيه ـ وتعرفها في اللباس: في اللون الزاهي توقظ به الحس البدائي، وفي التفصيل الكاشف عن مفاتن الجسد ـ وهو بذاته في الأمريكية فتنة حيّة صاعقة في بعض الأحيان! ـ ثم تضيف إلى هذا كله الضحكة المثيرة، والنظرة الجاهرة، والحركة الجريئة، ولا تغفل عن ذلك لحظة أو تنساه!.

فتى الأحلام «الأمريكي»:

والفتى الأمريكي يعرف جيداً أن الصدر العـريض المفتول، همـا الشفاعة التي لا تردّ عند كل فتاة، وأن أحلامها لا ترفّ على أحد كما ترفّ على «رعاة البقر» الـ Cowboys وبصريح العبارة تقول لي فتاة ممرضة في مستشفى «لست أطلب في فتى أحلامي إلا ذراعين قويتين يعصرني بهما عصراً.. وقامت مجلة «لوك» Look باستفتاء لعدد من الفتيات من مختلف الأعمار والثقافات والأوساط، حول ما أسمته «عضل الثيران» فأبدت غالبية ساحقة إعجابها المطلق بالفتيان أصحاب عضل الثيـران!..

الجنس ومادية الحياة في أمريكا:

وما من شك أن لهذه الظاهرة دلالتها على حيوية هذا الشعب وقوة حسّه، ولو هذبت هذه الطاقة وتسامت لاستحالت فناً عجيباً يجعل جهامة الحياة، وأشواقاً تجعل لها في الحسّ الإنساني نكهة، وتربط بين الجنسين بروابط أعلى وأجمل من روابط الجسد الظامىء والحس الهائج، والجنس الصارخ في العيون، الهاتف في الجوارح، المتنزي في الحركات واللفتات، ولكن طبيعة الحياة في أمريكا، والملابسات التي سلفت في نشـأة هذا الشعب، لا تساعد على شيء من هذا، بل تقاومه وتقصيه.

المسألة الجنسية بيولوجية في أمريكا:

وهكذا أصبحت كلمة حيي أو خجول «Bashful» من كلمات العيب والتحقير، وانطلقت العلاقات الجنسية من كل قيد على طريقة الغابة، وأصبح بعضهم يفلسفها فيقول كما قالت لي إحدى فتيات الجامعة مرة: «إن المسألة

الجنسية ليست مسألة أخلاقية بحال. إنها مجرد مسألة بيولوجية: وحين ننظر إليها من هذه الزاوية نتبين أن استخدام كلمات الرذيلة والفضيلة. والخير والشر، إقحام لها في غير مواضعها، وهو يبدو لنا نحن الأمريكان غريباً، بل مضحكاً...» وبعضهم يبررها ويعتذر عنها كما قال لي طالب يشتغل للدكتوراة: «إننا هنا مشغولون بالعمل، ولا نريد أن يعوقنا عنه معوق، وليس لدينا وقت ننفقه في العواطف. ثم إن الكبت يتعب أعصابنا، فنحن نريد أن ننتهي من هذه «الشغلة» لنفرغ إلى العمل بأعصاب مستريحة!».

أعصاب الأمريكيين:

ولم أرد أن أُعلّق على هذا الحديث في وقته، فقد كان همّي أن أعرف كيف يفكرون في هذه المسألة، وإلا فكل شيء في أمريكا لا يدلّ على أعصاب مستريحة، بالرغم من كل وسائل الحياة المريحة، وكل ضماناتها المطمئنة، وكل يسر وسهولة في إنفاق الطاقات الفائضة.

الأمريكيون تحرروا من الإنسانية:

وبعضهم يسمّي هذا تحرراً من الرياء ومواجهة للحقائق، ولكن هنالك فراقاً أساسياً بين التحرر من الرياء والتحرر من المقوِّمات الإنسانية التي تفرّق بين الإنسان والحيوان، والإنسانية في تاريخها الطويل لم تكن تجهل أن الميول الجنسية ميول طبيعية وحقيقية، ولكنها ـ عن وعي أو غير وعي ـ كانت تجاهد لتتحكم فيها، فراراً من العبودية لها وبُعداً عن مدارجها الأولى...

إنها ضرورة نعم، ولكن لماذا تخجل الإنسانية من إبداء ضروراتها؟ لأنها تحس بالفطرة أن التحكّم في هذه الضرورات هو شهادة الخلاص من الرقّ، وأولى مدارج الإنسانية في الطريق، وأن العودة إلى حرية الغابة عبودية مقنعة، ونكسة إلى مدارج البدائية الأولى..

(٣)

أمريكا التي رأيت: في ميزان القيم الإنسانية

الحلقة الثالثة

مجلة الرسالة : السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد: ٩٦١ ـ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١ ـ صفحات: ١٣٥٧ ـ ١٣٦٠

البدائية الفنية في أمريكا:

الأمريكي بدائي في ذوقه الفني، سواء في ذلك تذوقه للفن، وأعماله الفنية. موسيقى «الجاز» هي موسيقاه المختارة. وهي تلك الموسيقى التي ابتدعها الزنوج لإرضاء ميولهم البدائية، ورغبتهم في الضجيج من ناحية، ولاستثارة النوازع الحيوانية من جهة أخرى، ولا تتم نشوة الأمريكي تماماً بموسيقى «الجاز» حتى يصاحبها غناء مثلها صارخ غليظ. وكلما علا ضجيج الأصوات والآلات، وطنَّ في الآذان إلى درجة لا تطاق.. زاد هياج الجمهور، وعلت أصوات الاستحسان، وارتفعت الأكفّ بالتصفيق الحادّ المتواصل، الذي يكاد يصمّ الآذان.

الأمريكيون أمام الأوبرا:

ولكن الجمهور الأمريكي مع هذا يُقبِل على الأوبرا، ويصغي إلى السمفونيات، ويتزاحم على «الباليه» ويشاهد الروايات التمثيلية «الكلاسيك» حتى لا تكاد تجد مقعداً خالياً، ويقع في بعض الأحيان ألّا تجد مكاناً إذا أنت لم تحجز مقعدك قبلها بأيام، على غلاء الأسعار في هذه الحفلات.

«استخسار» أمريكا وإشفاق على البشرية منها:

ولقد خدعتني هذه الظاهرة في أول الأمر، بل لقد فرحت بها في داخل

نفسي... فقد كنت دائم الشعور «باستخسار» هذا الشعب الذي يصنع المعجزات في عالم الصناعة والعلم والبحث، ألا يكون له رصيد من القيم الإنسانية الأخرى... وأنا شديد الإشفاق على الإنسانية أن تؤول قيادتها إلى هذا الشعب، وهو فقير من تلك القيم جميعاً...

حقيقة «تعالم» الأمريكيين:

فرحت إذن حين شاهدت هذه الظاهرة، لأن الجمهور الذي يقبل على الفن الراقي غير ميئوس منه مهما تكن عيوبه، ومتى فتحت هذه النافذة من شعوره فالأمل كبير أن تطل منها أشعة أخرى كثيرة.

وقد دفعني الاهتمام بهذه الظاهرة إلى أن أتقصى كل شيء عنها في أواسط مختلفة، وفي مدن متعددة، ولكن تتبّعي لسمات الوجوه، ومحادثاتي مع الكثيرين والكثيرات من روّاد هذه الأماكن ـ من أن أعرف ومن لا أعرف ـ قد كشفت لي ـ مع الأسف ـ عن أن الشقة ما تزال بعيدة بين روح هذا الفن الإنساني وروح الأمريكان. إن مشاعرهم عنها محجبة إلا في النادر، وإنهم إنما ينظرون إلى المسألة من زاوية اجتماعية بحتة. فالأمريكي المثقف لا بدّ أن يكون شهد هذه الألوان، وذهب إلى تلك الأماكن، حتى إذا دار الحديث عنها في مجتمع شارك في الحديث. فالعيب الأكبر في أمريكا ألّا يشارك الإنسان في الحديث، وبخاصة بالنسبة إلى الفتيات، إذ المطلوب منهنّ أن يجدن دائماً موضوعات للحديث، فإذا ارتدن هذه الأماكن فإنهنّ يضفن موضوعات جديدة إلى الموضوعات الأمريكية الخالدة وهي: مسابقات الكرة، وأسماء الأفلام والممثلين والممثلات، وحوادث الطلاق والزواج، وماركات وأسعار السيارات...

وبهذه الروح ذاتها تفد الجموع على المتاحف الفنية عابرة عبوراً خاطفاً بالقاعات والمعروضات، بطريقة لا تدل على تذوّق أو إلفة لهذه الأعمال. كما يذهبون أفراداً وجماعات لمشاهدة مناظر الطبيعـة خطفا، والمرور بأقصى سرعة السيارات بالأماكن والمناظـر لجمع مـادة للحديث، ولتلبيـة الميل الأمريكي الطبيعي إلى الجمع والإحصاء.

سياحة الأمريكيين:

ولقد كنت أسمع في مبدأ وجودي بأمريكا أن أحدهم زار كذا وكذا من المدن والبلاد والمناظر والمشاهد، وقطع كذا ميلاً في رحلاته السياحية، وهو يعرف كذا عدداً من الأصدقاء، فأعجب بهذه المقدرة على صنع هذا كله، وأود لو أستطيع منه شيئاً. ثم عرفت فيما بعد كيف تتم هذه المعجزات.. يركب أحدهم سيارته وحده أو مع أسرته أو أصحابه في رحلة، فيعدو بها عدْواً على آخلا سرعتها، مخترقاً بها المدن والمسافات عابراً بـالمناظـر والمشاهد، وهو يقيد في مذكرته الأسماء والأميال.. ثم يعود فإذا هو شهد هذا كله، وأصبح له الحق في الحديث عنه!.

أما الأصدقاء فيكفي أن يُدعى إلى حفلات التعارف، وهناك يلتقي بالوجوه أول مرة، والقائم بالدعوة يُعرفه بالحاضرين واحداً واحداً، وواحدة واحدة، وهو يستكتب من شاء منهم اسمه وعنوانه، وكذلك هم يفعلون معه. وعلى الزمن تتضخم مذكرته بالأسماء والعناويـن. فإذا هو صاحب أكبر رقم من الأصدقاء والصديقات، وقد يفوز في مسابقة تقام لهذا الغرض، وما أكثر وما أغرب المسابقات هناك!

وهكذا يقاس علمك وثقافتك أحياناً بقدر ما قرأت وما شهدت وما سمعت، كما تحسب ثروتك المادية بعدد ومقدار ما تملك من مال وعقار سواء بسواء!..

فن بدون متذوقين:

وليست هذه عقلية الجماهير وحدها، ولكنها كثيراً ما تكون عقلية المفكرية والباحثين فلقد خطر للمفكرين في أمريكا أنه لا يصح أن تكون دولتهم أغنى دول العالم، وشعبهم أكثر شعوب العالم حضـارة صناعيـة وحضارة علمية، ثم لا يكون لهم من الثروة الفنية مثل ما لبعض الشعوب الفقيرة كالطليان والألمان.

ولديهـم المال ـ والمال يصنع المعجزات ـ وإن هي إلا سنوات حتى

كان لهم من متاحف الرسم والنحت أفخمها وأضخمها وجمعت لها القطع الغنية من كل فج، وعمرت بالنادر والثمين من هذه القطع التي لم يبخلوا على شرائها بالمال.. وكلها قطع أجنبية! إلا القليل، لأن القطع الأمريكية بدائية وساذجة إلى حدٍّ مضحك، بجوار تلك الذخائر العالمية الرائعة.

وكذلك كان لهم من الفرق الموسيقية العازفة، وفرق الباليه «الراقصة»، أكثرها مهارة وإتقاناً، ومن مديري هذه الفرق أعظمهم عبقرية وإبداعاً.. وكلهم من الأجانب إلا القليل.

ثم خرجتْ الإحصاءات الدقيقة تعلن عمّا تملك أمريكا من الثروات الفنية الضخمة، المشتراة بالمال، ولكن بقي أمر واحد بسيط: أن يكون للنفس الأمريكية نصيب في هذه الثروات؟ بل أن يكون لها مجرد التذوق الفني لهذا التراث الإنساني الثمين!.

سيد قطب باحث اجتماعي في أمريكا:

وخطر لي أن أمتحن هذه الأرقام في متاحف الفن، كما أمتحنُها في دُور الأوبرا وما إليها.

وذهبت للمرة العاشرة إلى متحف الفن في «سان فرنسيسكو» وجعلت مادة امتحاني إحدى قاعات الصور من الفن الفرنسي، ووزّعت اهتمامي على ما فيها من الصور، ولكنني ركّزته على واحدة بارعة اسمها: «ثعلب في بيت الدجاج» ولا تملك الألفاظ أن تنقل إلى القارىء روعة هذه الصورة العبقرية، التي صوّر فيها الرسام جملة مشاعر عميقة، مركبة في لوحة ليس فيها وجه إنسان، يسهل على الرسام أن يصوِّر هذه المشاعر فيه... ثعلب في بيت الدجاج والجو داكن خانق وقد هجم الثعلب أول ما هجم على دجاجة مفرّخة، بدت مكروبة مجهدة في مخالب الوحش المكشر، وقد فزع صغارها، وتناثر البيض الباقي تحتها، على حين تناثرت زميلاتها في فراغ اللوحة، ووقف الديك ـ رجل البيت ـ وقفة المغلوب على أمره الحائر الذي لا يجد مخلِّصاً لزوجه المكروبة وهو حاميها! أما الأُخريات فواحدة جازعة

مأخوذة، وأخرى قانطة مشمئزة أن يكون في الحياة كل هذه البشاعة، وثالثة حائرة متسائلة: كيف وقع هذا؟ والجو كله والألوان في اللوحة العبقرية تصور ما لا تدركه الألفاظ.

واسترحت إلى مقعد من المقاعد التي جهزت بها القاعات تجهيزاً جميلاً بديعاً ليستريح عليها الزائرون عند التعب من المشاهدة والطواف، ورحت أستعرض الملامح والسمات، وأنصت إلى الملاحظات والتعليقات.

وانقضت عليّ في جلستي أربع ساعات كاملة، مرَّ بي في خلالها مائة وتسعة، فرادى وأزواجاً وجماعات، معظمهم من الفتيات والفتيان الـذين يتواعدون على قضاء بعض الوقت في حديقة المتحف، ثم في المتحف ذاته، لأنه ينبغي للفتـاة الاجتماعيـة أن تشارك في الحـديث، وأن تجد موضوعات للحديث.

كم من هؤلاء التسعة والمائة بدا عليه أن يحسّ شيئاً مما يرى؟ واحد فقط تلبث أمام الصورة المنتقاة نحو دقيقتين، وتلبث في القاعة كلها نحو خمس دقائق، ثم طار.

وكررت التجربة في قاعات المتحف الأخرى، ثم كررته في متاحف أخرى في عدة مدن، ثم انتهيت إلى أن قلة نادرة من هذه الكثرة الكثيرة التي تتضمنها إحصاءات الزائرين تدرك شيئاً من هذه الثروة الفنية الهائلة، التي جمعها الدولار من كل بقاع الأرض، وبقي أن يخلق الحاسّة الفنية، التي يبدو أنها لا تستجيب لسحر الدولار.

سمات السينما الأمريكية:

الفن الوحيد الذي يتقنه الأمريكان ـ وإن يكن سواهم لا يزال يفوقهم في الناحية الفنية فيه ـ هو فن السينما. وهذا طبيعي ومنطقي مع تلك الظاهرة التي ينفرد بها الأمريكي: ذروة الاتقان الصناعي، وبدائية الشعور الفني. وفي السينما تبدو هذه الظاهرة واضحة إلى حدٍّ كبير.

لا يرتفع الفن السينمائي بطبيعته إلى آفاق الفنون العليا: الموسيقى

والرسم والنحت والشعر، ولا إلى فن المسرح كذلك، وإن كانت إمكانيات الصناعة الفنية وإمكانيات الإخراج في السينما أوسع بكثير. وأقصى ما يصل إليه فن الإخراج في السينما من إبداع، هو أقصى ما يبلغه فن التصوير الشمسي. ثم تظل المسافة بينه وبين المسرح مثلاً، كالمسافة بين التصوير الفوتوغرافي والتصوير بالريشة. هذا تتجلى فيه عبقرية الشعور، وذلك تتجلى فيه مهارة الصناعة...

أفلام وأفلام:

والسينما فن الجماهير الشعبي، فهو فن المهارة والاتقان والتجسيم والتقريب، وهو بطبيعته اعتماده على المهارة أكثر من اعتماده على الروح الفنية.. يمكن أن تبدع فيه العبقرية الأمريكية.. ومع هذا فما يزال الفيلم الإنجليزي والفرنسي والروسي والإيطالي أرقى من الفيلم الأمريكي، وإنْ كان أقل صناعة ومهارة.

والكثرة الغالبة من الأفلام الأمريكية تتجلى فيها بدائية الموضوع، وبدائية الانفعالات، وهي في الغالب أفلام الجريمة البوليسية، وأفلام رعاة البقر، أما الأفلام العالية البارعة من أمثال «ذهب مع الريح» و«مرتفعات وذرنج» و«ترتيل برنادوت» وما إليها، فهي قليلة بالقياس إلى النتاج الأمريكي، وما يرد من الفيلم الأمريكي إلى مصر أو البلاد العربية لا يمثّل هذه النسبة، لأن الكثير منه من أرقى الأفلام الأمريكية النادرة. والذين يزورون دُور العرض في أمريكا هم الذين يدركون تلك النسبة الضئيلة من الأفلام القيّمة.

مناظر الطبيعة في الفن الأمريكي:

هنالك فن آخر برع فيه الأمريكان، لأن ما فيه من المهارة في الصناعة والإنتاج أكثر مما فيه من الفن العالي الأصيل.. ذلك هو فن تمثيل المناظر الطبيعية بالألوان، كأنها فوتوغرافية صادقة دقيقة، ويبدو هذا في متاحف الأحياء المائية والبرية، إذ تُعرض هذه الأحياء أو أجسادها المحنطة في مثل مواطنها الطبيعية كأنها حقيقة، وتبدع ريشة الرسام، في تصوير هذه المواطن، مشتركة مع التصميم الفني للمنظر، وتبلغ حدّ الإبداع.

البدائية في الذوق والمزاج:

ثم ندع تلك الآفاق العليا في الفن والشعور، لنهبط إلى ألوان الملابس وإلى مذاق الأطعمة..

ملابس الأمريكيين:

إن بدائية الذوق لا تتجلى في شيء كما تتجلى في تلك الألوان الصارخة الزاهية، وفي تلك التقاسيم المبرقشة الكبيرة وبخاصة ملابس الرجال... ذلك السبع أو النمر الواثب على الصدرية.. وذلك الفيل أو الثور الوحشي الجاثم على ظهرها. تلك الفتاة العارية الممددة على رباط العنق من أعلى إلى أسفل، أو تلك النخلة الصاعدة فيه من أسفل إلى أعلى..

لطالما تحدّث المتحدّثون عندنا عن «فستان العيد» في الريف، أو عن ثوب العروس في القرية، بألوانه الزاعقة البدائية التي لا تربط بينها رابطة، إلا أنها كلها فاقعة الألوان.. ليت هؤلاء يرون معي أقمصة الشبّان في أمريكا لا ملابس الفتيات!.. ولطالما تحدّث المتحدثون عن «الوشم» عند الغجر، أو في أواسط أفريقية، ليتهم يرون أذرع الشبان الأمريكان وصدورهم وظهورهم، موشعة بالختم الأخضر، ثعابين وحيات، وفتيات عاريات، وأشجار وغابات، في أمريكا المتحضرة، في الدنيا الجديدة، في العالم الجديد...

طعام الأمريكيين:

أما الطعوم فشأنها هو الآخر عجيب.

إنك تلفت النظر، وتثير الدهشة، حين تطلب قطعة أخرى من السكر لكوب الشاي أو القهوة تشربه في أمريكا. ذلك أن السكر محتفظ به للمخلّل «والسلاطة»! كما أن الملح يا سيدي محتفظ به للتفاح والبطيخ.

وفي صحفة طعامك تجتمع قطعة اللحم المملّحة إلى كمية من الذرة المسلوقة، وكمية من البازيلا المسلوقة، وبعض المربى الحلوة.. وفوق ذلك كله الـ (Grafy) المؤلف أحياناً من السمن والخل والدقيق ومرقة العجل والتفاح، والملح والفلفل والسكر... والماء...

سيد قطب يتفكه على الأمريكيين:

كنّا على المائدة في مطعم ملحق بـالجامعـة، حينما رأيت بعض الأمريكان يضعون الملح على البطيخ، وكنت قد اعتدت رؤية هذه «التقاليع» واعتدت كذلك أن أتفكه عليهم في بعض الأحيان. وقلت متجاهلاً: أراكم ترشّون الملح على البطيخ؟ قال أحدهم: أجل! ألا تصنعون ذلك في مصر؟ قلت: كلا! إنما نرشّ نحن الفلفل! قالت واحدة في دهشة واستفسار: أو يكون ذلك مستساغاً؟ قلت: يمكنك أن تجربي! وجربتْ، وذاقتْ. وقالت في استحسان: كم هو لذيذ. وكذلك فعل الآخرون.

وفي يوم آخر جاء فيه البطيخ، ومعظم من يأكلون على المائدة هم هم، قلت: وبعضنا في مصر يستخدم السكر أحياناً لا الفلفل. وبدأ أحدهم ففعل وقال: كم هو لذيد! وكذلك الآخرون.

حلاقة الأمريكيين:

وباختصار، فكل ما يحتاج إلى قسط من الذوق فالأمريكاني ليس له فيه حتى الحلاقة! وما من مرة حلقت شعري هناك إلا وعدت إلى البيت لِأُسوّي بيدي ما شعّث الحلاّق، وأُصلح ما أفسده بذوقه الغليظ!..

دَور أمريكا في العالم:

إن لأمريكا دورها الرئيسي في هذا العالم، في مجال العالم التطبيقي، وفي مجـال البحوث العلميـة، وفي مجال التنـظيم والتحسين، والإنتاج والإدارة.. كلّ ما يحتاج إلى ذهن وعضل فهنا تبرز العبقرية الأمريكية، وكلّ ما يحتاج إلى روح وشعور فهنا تبدو البدائية الساذجة..

وإن البشرية لتملك أن تنتفع بالعبقرية الأمريكية في مجالها فتضيف قوة ضخمة إلى قواها. ولكن هذه البشرية تخطىء أشنع الخطأ، وتعرض رصيدها من القيم الإنسانية للضياع، إذا هي جعلت المَثَل الأمريكي مثلها في الشعور والسلوك..

من فضائل أمريكا:

إن ذلك لا يعني أن الأمريكان شعب بلا فضائل، وإلا لما أمكنه أن يعيش، ولكنه يعني أن فضائله هي فضائل الإنتاج والنظام، لا فضائل القيادة الإنسانية والاجتماعية، فضائل الذهن واليد لا فضائل الذوق والشعور. .

(٤)

الضمير الأمريكاني وقضية فلسطين

مجلة الرسالة : السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني - عدد: ٦٩٤ - تاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٤٦ - صفحات: ١١٥٥ - ١١٥٧

الضمير الأمريكاني واللعبة الأمريكية:

أخيراً يتكشف ضمير «الولايات المتحدة» الذي تعلقت به أنظار كثيرة في الشرق، وحسبته شيئاً آخر غير الضمير الإنجليزي والضمير الفرنسي، وسائر الضمائر الأوروبية المعروفة. .

أخيراً يتكشف ضمير «الولايات المتحدة» هذا، فإذا هو - ككل شيء أمريكي آخر - «ضمير أمريكاني»!.

ونحن نعرف في مصر «اللعبة الأمريكية» ونعرف أنها «نصب» في «نصب» وقد حُرمت هذه اللعبة لما فيها من غش وخداع. و«الضمير الأمريكاني» الذي تكشف عنه تصريحات «ترومان» لا يرتفع كثيراً عن هذه اللعبة الممنوعة.

أمريكا نسخة عن أوروبا:

ولقد كان الكثيرون مخدوعين في هذا الضمير، لأن الشرق لم يحتك طويلاً بأمريكا، كما احتك بإنجلترا وفرنسا وهولاندا، فلما بدأ الاحتكاك في مسألة فلسطين، تكشّف هذا الخداع عن ذلك الضمير المدخول، الذي يقامر بمصائر الشعوب، وبحقوق بني الإنسان، ليشتري بضعة أصوات في الانتخاب.

وكلهم سواء أولئك الغربيون: ضمير متعفن، وحضارة زائفة، وخدعة

ضخمة -اسمها «الديمقراطية» يؤمن بها المخدوعون!

تلك كانت عقيدتي في الجميع، في الوقت الذي كان بعض الناس يحسن الظن بفريق ويسيء الظن بفريق، وكانت أمريكا في الغالب هي التي تتمتع بحسن الظن من الكثيرين.

فها هي ذي أمريكا تتكشف للجميع. هذا هو «ترومان» يكشف عن «الضمير الأمريكاني» في حقيقته، فإذا هو نفسه ضمير كل غربي، ضمير متعفن، لا يثق به إلا المخدوعون!

إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد، هو تلك الحضارة المادية التي لا قلب لها ولا ضمير. تلك الحضارة التي لا تسمع إلا صوت الآلات، ولا تتحدث إلا بلسان التجارة، ولا تنظر إلا بعين المُرابي، والتي تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس.

كره الأمريكيين ومن يثق بهم:

كم ذا أكره أولئك الغربيين وأحتقرهم! كلهم جميعاً بلا استثناء: الإنجليز، الفرنسيون، الهولنديون، وأخيراً الأمريكان الذين كانوا موضع الثقة من الكثيرين ولكنني لا أكره هؤلاء وحدهم، ولا أحتقر هؤلاء وحدهم. إنما أكره وأحتقر أولئك المصريين وأولئك العرب الذين لا يزالون يثقون بالضمير الغربي عامّة، وضمير الاستعمار على وجه الخصوص.

إنها الجريمة، تلك التي يقترفونها كل يوم في حق شعوبهم المسكينة، جريمة التخدير والتغفيل، وإنامة الأعصاب على الأذى، وهدهدة الآمال الباطلة، والأماني الخادعة، في ذلك الضمير المأفون.

جحر الأفاعي الأوروبية:

يقول نبيّ الإسلام الكريم ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، وها نحن أولاء نلدغ من الجحر الواحد مرات، ثم نعود في كل مرة إلى هذا الجحر نفسه، مغمضي الأعين نتطلب «الشهد» من جحور الأفاعي، ولا

نجرّب مرة واحدة أن نحطّم هذه الجحور، وأن ندوس هذه الأفاعي، وأن ننفض عن نفوسنا ذلك الوهم الـذي يقودنـا المرة بعـد المرة إلى تلك الجحور!..

إنها الجريمة، تلك التي نعاودها مرة بعد مرة. الجريمة في حق النفس، والجريمة في حق الوطن، والجريمة في حق العقيدة. إنها الغفلة التي لا يستحق صاحبها الاحترام وهو يشهد على نفسه بالتغفيل!.

غفلة الحكام والسياسيين:

ولكن من الحق أن لا نصم الشعوب العربية بهذه الوصمة، إن هذه الشعوب لأذكى وأشد حمية من أن ترضى لنفسها بالهوان. ولكنها تلك الحفنة من ساسة الجيل الماضي في مصر وبعض البلاد العربية. تلك الحفنة الرخوة المسنّة الضعيفة المتهالكة، المهدودة الأعصاب، لا تقدر على الكفاح، ولا تدع الشعوب تكافح، لأن أنانيتها الأثرة تمسكها عن الانسحاب من الميدان وتركه للقادرين!.

جناية المفاوضات:

هذه الحفنة من ساسة الجيل الماضي هي التي اخترعت كلمات: المفاوضات والمحادثات، والمؤتمرات.. لماذا؟ لأنها وسيلة سهلة لا تكلف شيئاً، وتضمن كراسي الحكم والسلطة فترة من الزمان، وكلما همّت الشعوب أن تسلك طريقها، وأن تواجه المستعمرين بذاتها حالَ هؤلاء بينها وبين المستعمِرين، ووقفوا من دونهم يصارعون الشعوب، وتصارعهم الشعوب. فإذا أتعبهم الصراع مع شعوبهم راحوا يبثون في الأمة روح الثقة بالمستعمِرين، وراحوا يشيعون الآمال الخادعة في هذا الضمير المدخول!!!

تلك هي القصة. قصة الجحور والأفاعي. وقصة اللدغ المتكرر من هذه الجحور، وإنها لمأساة، ولكن من العدل أن نبرِّىء منها الشعوب العربية، فلا تؤخذ بجريرة حفنة من الساسة الضعفاء المرضى المتهالكين!!

سمات الضمير الأمريكاني:

والضمير الأمريكاني!

لقد كان الكثيرون يفهمون أنه شيء آخر غير الضمير الأوروبي، فأراد الله ـ ولعلّه لخير هذه الأمة العربية المنكوبة ـ أن يكشف عن ذلك الضمير.. إنه ضمير مادي، ضمير الآلة التي لا تحس، وضمير التاجر الذي لا يتورع، ولا يهمّه حق، ولا عدل، ولا حياء.

وهل تملك تلك الآلة أن تنشىء إلا ضميراً من هذا القبيل؟

أبناء حضارة مادية:

ليست المسألة مسألة جنس ولا دولة، فليس الأمريكان خيراً من الإنجليز، وليس الإنجليز خيراً من الفرنسيين، وليس الفرنسيون خيراً من الهولنديين.. كلهم أبناء حضارة واحدة. حضارة مادية بغيضة لا قلب لها ولا ضمير. حضارة تأخذ ولا تعطي، وتجرح ولا تأسو. حضارة أنانية صغيرة مهما بدت من الخارج ضخمة ذات بريق وضجيج!

إنها حضارة زائفة لأنها لم تقدّم للإنسانية زاداً من الروحية، ولم تحاول رفع الآدمية عن قانون الوحوش. وهل تطبق هذه الحضارة مع شعوب الأرض المنكوبة إلا قانون الوحوش؟

ثم يوجد بين أمم الشرق غافلون أو خادعون يثقون بأصحاب هذه الحضارة، ويراودون شعوبهم على الثقة بذلك الضمير، ويثبطون عزائمهم عن الجهاد الحاسم، والكفاح المثمِر في أنسب الظروف!.

صوت خافت هناك:

وبين ضجيج الآلات يرتفع بين آنٍ وآخر صوت إنساني خافت في تلك الربوع ينادي بالعودة إلى الله، كذلك الصوت الذي أرسله الكردينال «جريفان» في إنجلترا منذ أيام، حين ألقى رائية «وستمنيستر» عظة دينية فقال:

«لقد أُبعد الله عن ميثاق الأمم المتحدة، وهذا هو السبب في أن الأمم المتحدة لم تستطع إلى اليوم أن تصبح «متحدة» فعلاً».

«وإنه لينبغي أن يكون لله ومبادئه القائمة على الإحسان والعدالة مكان في الشؤون الدولية، حتى تصبح الحرية حقيقة في العالم بأسره، ويعيش الإنسان في ظل السلام والأمن..».

ولكنه صوت خافت لا يُسمع في ضجيج الآلات التي تغشى على صوت الضمير، ونغمة مبحوحة لا تسمع بين صراخ المطامع، وعواء الشهوات، في ذلك العالم الهائج الشعور!

طريق الخلاص وطريق الهلاك:

والآن أيّها الشرق. ماذا تريد؟

فأما إذا كنت تبغي الخلاص من براثن الوحش الغربي، فهناك طريق واحد لا تتشعب فيه المسالك، فهو أقرب طريق.. إعرف نفسك وراجع قواك، واستعد للصراع، وابدأ في الكفاح، ولا تستمع إلى صوت خادع يوسوس لك بالثقة في ضمير الغرب المدخول.

وأما إذا كنت تبغي الراحة مع ذلك الجيل المكدود المهدود من الساسة المترفين الناعمين، فأمامك طرق كثيرة ذات شعب ومسالك، وذات منعرجات ودروب. هناك: المفاوضة، والمحادثة، وجسّ النبض واستطلاع الآراء. وهناك الديبلوماسية الناعمة الرقيقة، والكلمات الظريفة، وهناك الانتظار الذي لا ينتهي، والاستجداء الذي لا يُغني. وهناك المؤتمرات الحافلة. والموائد المستدير، وهناك الكتب البيض، والكتب الزرق، والكتب الخضر، وما لا ينتهي من الطرق والمنعرجات والدروب!.

الأمل والعمل:

والحمد لله - أيّها الشرق - لقد تكشف لك القناع عن آخر ضمير «الضمير الأمريكاني» الذي كانت تتعلق به الأنظار، أنظار الغافلين والخادعين!!.

والحمد لله - أيها الشرق - إن شمسك الجديدة في شروق، وشمس هذا الغرب الفاجر في غروب، وإنك تملك من الرصيد الروحي، ومن ميراثك القديم ما لايملكه هذا الغرب المتطاحن، الذي يأكل بعضه بعضاً كالوحوش، لأنه يحكِّم قانون الغابة فيما يشجر بينه من شقاق لا ينتهي، وهل ينتهي الشقاق في الغابة بين الوحوش؟

إنها الفرصة السانحة - أيها الشرق - للخلاص فانفض عنك رجال الماضي الضعفاء المنهوكين. وابرز نفسك للميدان، فقضايا الشعوب في هذه الأيام لا بدّ أن تعالجها الشعوب!.

وما قضية فلسطين إلا قضية كل شعب عربي، بل كل شعب شرقي، إنها الصراع بين الشرق الناهض والغرب المتوحش، وبين شريعة الله للإنسان وشريعة الغاب للوحوش.

(٥)

إســـلام أمــريكانــي

مجلة الرسالة : السنة العشرون المجلد الأول ـ عدد ٩٩١ سنة ١٩٥٢ ـ صفحات : ٧١٣ ـ ٧١٥

وكتاب دراسات إسلامية : لسيد قطب ـ صفحات : ١١٩ ـ ١٢٣، طبعة دار الشروق

سبب اهتمام الأمريكان بالإسلام:

الأمريكان وحلفاؤهم مهتمون بالإسلام في هذه الأيام، إنهم في حاجة إليه ليكافح لهم الشيوعية في الشرق الأوسط، بعد ما ظلّوا هم يكافحونه تسعة قرون أو تزيد منذ أيام الحروب الصليبية! إنهم في حاجة إليه كحاجتهم إلى الألمان واليابان والطليان الذين حطّموهم في الحرب الماضية، ثم يحاولون اليوم بكل الوسائل أن يقيموهم على أقدامهم، كي يقفوا لهم في وجه الغول الشيوعي. وقد يعودون غداً لتحطيمهم مرة أخرى إذا استطاعوا!

الإسلام الذي يريده الأمريكان:

والإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية! إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشىء الشعوب نشأةً أخرى، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعمر فريضة، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء فكلاهما عدو. وكلاهما اعتداء.

إسلام أمريكاني:

الأمريكان وحلفاؤهم إذن، يريدون للشرق الأوسط إسلاماً أمريكانياً، ومن ثم تنطلق موجة إسلام في كل مكان. فالكلام عن الإسلام ينطلق في صحافة مصر هنا وهناك، والمناقشات الدينية تغرق صفحات بأكملها، في صحف لم يعرف عنها في يوم ما حبّ الإسلام ولا معرفة الإسلام، ودُور النشر ـ ومنها ما هو أمريكاني معروف ـ تكتشف فجأة أن الإسلام يجب أن يكون موضوع كتبها الشهرية، وكتّاب معروفون ذوو ماضٍ معروف في الدعاية للحلفاء، يعودون إلى الكتابة عن الإسلام، بعدما اهتموا بهذا الإسلام في أيام الحرب الماضية، ثم سكتوا عنه بعد انتصار الحلفاء! والمحترفون من رجال الدين لهم هيل وهيلمان، وجاه وسلطان، والمسابقات عن الإسلام والشيوعية تخصص لها المكافآت الضخام[1].

إسلام وإسلام:

أما الإسلام الذي يكافح الاستعمار ـ كما يكافح الشيوعية ـ فلا يجد أحداً يتحدث عنه من هؤلاء جميعاً، وأما الإسلام الذي يحكم الحياة ويصرفها، فلا يشير إليه أحد من هؤلاء جميعاً.

إن الإسلام يجوز أن يُستفتى في منع الحمل، ويجوز أن يستفتى في دخول المرأة البرلمان، ويجوز أن يستفتى في نواقض الوضوء. ولكنه لا يستفتى أبداً في أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالي، ولا يستفتى أبداً في أوضاعنا السياسية والقومية، وفيما يربطنا بالاستعمار من صلات.

والديمقراطية في الإسلام، والبرّ في الإسلام، والعدل في الإسلام، من الجائز أن يتناولها كتاب أو مقال، ولكن الحكم بالإسلام، والتشريع بالإسلام، والانتصار للإسلام لا يجوز أن يمسّها قلم ولا حديث ولا استفتاء!.

---

(١) كتب هذا البحث في أواخر يونية عام ١٩٥٢ (سيد).

مشاركة مصريين في «المهزلة»:

وبعد، فقد حدث أن هذا الإسلام الأمريكاني، قد عرف أن في الإسلام شيئاً يقال له «الزكاة» وعرف أن هذه الزكاة قد تقاوم التيار الشيوعي لو أُخذ بها في الشرق من جديد. ومن هنا اهتمت «حلقة الدراسات الاجتماعية» التي عقدت في مصر في العام الماضي بدراسة حكاية «الزكاة» هذه، أو بدراسة مسألة «التكافل الاجتماعي في الإسلام».

ولما كانت أمريكا من وراء حلقة الدراسات الاجتماعية، فإن ذوي الشأن في مصر لم يروا أن يقفوا في وجه حكاية الزكاة، كما وقفوا في وجهها يوم فكر فيها «عبد الحميد عبد الحق» وهو وزير للشؤون الاجتماعية!! إن ذوي الشأن يستطيعون الوقوف في وجه الزكاة يوم يكون الآمر بها هو الله. أما يوم يكون الآمرون هم الأمريكان، فليس أمامهم إلا الخضوع والإذعان.

وعلى ذلك أُلّفت في مصر لجنة من بعض أساتذة الشريعة في الجامعة وبعض رجال الأزهر، وبعض الباشوات، لدراسة مسألة «التكافل الاجتماعي في الإسلام» وبخاصة حكاية الزكاة، لا لوجه الله، ولا لحساب الوطن، ولكن لوجه الأمريكان، ولحساب حلقة الدراسات الاجتماعية...

وهنا بدا وجه الخطر. إن الأمريكان لو عرفوا حقيقة التكافل الاجتماعي في الإسلام لفرضوه فرضاً على الشرق الأوسط، لأنهم لن يجدوا سدّاً أقوى منه في وجه الشيوعية والتكافل الاجتماعي في الإسلام يفرض على الأموال تكاليف، ويفرض عليها حقوقاً، ويعترف للملايين بحق الحياة. ودون هذا وتتقطع الأعناق.

وإذن فلا مفر من تخبئة الأمر على الأمريكان! ولا مفر من الاحتيال على النصوص، ولا مفر من تخفيف الأعباء التي يفرضها الإسلام على الأموال، ولا مفر من أن تخرج اللجنة من الزكاة نفسها بظل باهت لا يتناول إلا التافه، ولا يمسّ الأموال إلا بقفاز من حرير.

إنه لو كان الأمر أمر الله والدين لهان، ولكنه أمر الأمريكان! إن ما تقرره

الشريعة الإسلامية شيء، وما تقرره حلقة الدراسات الاجتماعية شيء آخر! إن حلقة الدراسات الاجتماعية لا يجوز أن تعرف سر الإسلام الذي لا تعرفه، وإلا فرضته على أهل الإسلام!.

ولكن بعض أعضاء اللجنة من المعاندين المكابرين الذين لا يعرفون كيف يكتمون النصوص، ولا يعرفون كيف يؤمنون ببعض الإسلام ويكفرون ببعض، ولا يعرفون كيف يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً.

هؤلاء الأعضاء ما يزالون متشبثين بأن يطلعوا الأمريكان على السر الخطير، وما يزال الأعضاء الآخرون يلاقون من تشبثهم عنتاً، ولا يدري إلا الله كيف تسير الأمور!.

سمات جنود الإسلام:

إنها مهزلة بل إنها لمأساة... ولكن العزاء عنها أن للإسلام أولياءه، أولياءه الذين يعملون له وحده، ويواجهون به الاستعمار والطغيان والشيوعية سواء، أولياءه الذين يعرفون أن الإسلام يجب أن يحكم كي يؤتي ثماره كاملة. أولياءه الذين لا تخدعهم صداقة الصليبيين المدخولة للإسلام، وقد كانوا حرباً عليه تسعمائة عام.

إن أولياء الإسلام لا يطلبون باسمه برّاً وإحساناً، ولكن يطلبون باسمه عدالة اجتماعية شاملة كاملة. ولا يجعلون منه أداة لخدمة الاستعمار والطغيان، ولكن يريدون به عدلاً وعزّة وكرامة، ولا يتخذون منه ستاراً للدعاية، ولكن يتخذونه درعاً للكفاح في سبيل الحق والاستعلاء.

أما دور العلن الذي يعلن بالإسلام في هذه الأيام، وأما المتجرون بالدين في ربوع الشرق الأوسط، أما الذين يسترزقون من اللعب به على طريقة الحواة، أما هؤلاء جميعاً فهم الزبد الذي يذهب جفاء، عندما يأخذ المدّ طريقه، وسيأخذ المدّ طريقه سريعاً، أسرع مما يظن الكثيرون، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ صدق الله العظيم.

(٦)

عدوّنا الأول: الرجل الأبيض

مجلة الرسالة : السنة العشرون ـ المجلد الثاني ـ عدد: ١٠٠٩ ـ تاريخ ٣ نوفمبر ١٩٥٢ ـ صفحات: ١٢١٧ ـ ١٢١٩

نظرة الأمريكيين للرجل الأبيض:

في أمريكا يتحدثون عن الرجل الأبيض، كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إلّه. «ويتحدثون عن الملونين» من أمثالنا المصريين والعرب عامّة كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إنسان!.

فالذين يعتقدون أن الأمريكان يمكن أن يكونوا معنا ضد الاستعمار الأوروبي هم قوم إما مغفلون أو مخادعون، يشتغلون طابوراً خامساً للاستعمار الأمريكي المنتظر لبلاد الشرق الأوسط!

مصالح أمريكا مع أوروبا:

إن مصالح الاستعمار الأمريكي قد تختلف أحياناً مع مصالح الاستعمار الأوروبي، ولكن هذا ليس معناه أن يكونوا في صف استقلالنا وحريتنا، إنما معناه أن يحاولوا زحزحة أقدام الأوروبيين ليضعوا هم أقدامهم فوق رقابنا، وفي الغالب هم يجدون حلًّا لخلافاتهم مع الاستعمار الأوروبي على حسابنا.

عدونا الأول:

إن الرجل الأبيض هو عدونا الأول. سواء كان في أوروبا أو كان في أمريكا، وهذا ما يجب أن نحسب حسابه، ونجعله حجر الزاوية في سياستنا الخارجية، وفي تربيتنا القومية كذلك.

إن أبناءنا في المدارس يجب أن تربى مشاعرهم وتفتح أذهانهم على

مظالم الرجل الأبيض، وحضارة الرجل الأبيض وجشع الرجل الأبيض، ويجب أن تكون أهداف التربية عندنا هي التخلّص من نفوذ الرجل الأبيض. لا سياسياً فحسب ولا اقتصادياً فحسب، ولكن اجتماعياً وشعورياً وفكرياً كذلك.

عبيد أمريكا في مراكز التوجيه:

ولكن الذي نفعله هو عكس هذا على خط مستقيم.. عندنا في وزارة المعارف عبيد للرجل الأبيض.. عبيد يعبدون هذا الرجل كعبادة الله، بل إنهم ليلحدون في الله ولا يلحدون في أوروبا أو أمريكا. سرّاً أو علانية!

وعندنا في معاهد التربية التي تخَرِّج المدرّسين، فتؤَثر بذلك في عقلية أجيال بعد أجيال.. عندنا فتات آدمي ينظر إلى الرجل الأبيض نظرة التقديس، يطبع مشاعر الطلبة الذين سيصبحون مدرّسين بطابع الإعجاب والقداسة لأولئك المستعمرين القذرين، الذين يحتقروننا ويهينون كرامتنا، فنتلقى ذلك منهم بالشكر والثناء.

جنايتهم قومية وإنسانية:

وهذه جناية قومية، وجناية إنسانية.. جناية قومية لأن الرجل الأبيض يستغلنا ويستغل أوطاننا استغلالاً شنيعاً، ومن واجبنا أن نعبىء أعصابنا ومشاعرنا ضده، لنسترد حقوقنا المسلوبة.. وجناية إنسانية لأننا بتمجيدنا للأوروبي والأمريكي إنما نمجد مثالاً مشوهاً للإنسان، ونقيم مثالاً للجشع والطمع والسلب والنهب والاحتيال، ثم نضع تحت أقدامه أكاليل المدح والثناء!

عبيد لفرنسا:

أمامي وأنا أكتب هذه الكلمة جريدة مصرية صباحية يتحدث كاتبها فيها عن مأساة تونس مع فرنسا، فيقول مخاطباً لرئيس الدولة الفرنسية:

«أما إذا كان يقصد شق الطرق وإنشاء السكك الحديدية، وتشييد

الأبنية، وزيادة الرخاء الاقتصادي.. فلعله يعرف أن هذا كله تم لفائدة المستعمرين من الفرنسيين. أما أهل البلاد الأصليون فيعيشون كالغرباء، لا يزالون جهّالاً حفاة عراة. وقد ساومت أمريكا على أرض مراكش، فأعطت أمريكا امتياز إقامة المطارات والاستحكامات الحربية على الشاطىء في مقابل أن تنصرها أمريكا، وتمهد لها السبيل لتنفيذ سياستها.. ولكن الكاتب يقول مع هذا عن فرنسا إنها البلاد التي علّمت الدنيا مبادىء الحرية والإخاء والمساواة»!.

الهزيمة الروحية لهؤلاء:

هذا هو الاستعمار الروحي الذي يُنطق الكاتب بهذه الخرافة، حتى وهو يستعرض تاريخ فرنسا الأسود، ومساومات أمريكا الاستغلالية.

وهذا هو الاستعمار الذي بثّه في أرواحنا المدرسة المصرية التي تنفّذ أهداف الاستعمار إلى اللحظة الحاضرة، بل يقوم على رأسها وزير كان من عبّاد بريطانيا، ثم أضحى من عبّاد أمريكا، ومعه معاهد تربية تتعبد أمريكا من دون الله في الأرض!

هذا هو الاستعمار الذي بثّه في أرواحنا كُتّاب خانوا أمانتهم للوطن، خانوا أمانتهم للإنسانية، فوقفوا أقلامهم طويلاً على تمجيد فرنسا. ومع ذلك فإن بعضنا لا يزال يهتف لهم، ويعدّهم روّاداً للفكر في الشرق!.

إنني أفهم أن تهتف لهم فرنسا، أو أن تهتف لهم إنجلترا، أو أن تهتف لهم أمريكا، أما أن نهتف لهم نحن العرب فهذا هو الهوان البشع، الذي لا يقدم عليه فرد وله كرامة!

سمات هؤلاء العبيد:

إن مكان هؤلاء اليوم كان ينبغي أن يكون مكان الجواسيس والخونة والطابور الخامس لا مكان التمجيد والتقدير والاحترام.

كل رجل غمس قلمه ليمجد فرنسا أو يمجد إنجلترا أو يمجد أمريكا..

هو رجل منخوب الروح، مستعمر القلب، لا يؤتمن على النهضة القومية، ولا يجوز أن يكون له مكان في حياة هذه البلاد بعد نهضتها.

إنني لا أكاد أتصور أن هناك إنساناً له مشاعر الإنسان يرى «الرجل الأبيض» يدوس بأقدامه على أعناقنا في كل مكان، ثم يجد نفسه قادراً على تمجيد هذا الرجل أو حتى مصادقته.

إنني أشك في آدمية هؤلاء الكُتّاب، وهؤلاء الوزراء، وهؤلاء الأساتذة، نعم أشك في آدميتهم. لأن أول مميزات الإنسان أن يحس بكرامة الإنسان.

أفهم أن تكون هناك ظروف اضطرارية تلجئنا إلى تبادل التمثيل السياسي والقنصلي، وإلى المبادلات التجارية والصلات الاقتصادية مع هؤلاء المستعمرين القذرين. . . أما أن نتبادل العواطف والمشاعر، وأما أن نتحدث عن المآثر والمفاخر، وأما أن نفتح قلوبنا وصدورنا. . فدون هذا ويعجز خيالي عن تصوّر المهانة، وتصوّر المذلّة، وتصوّر المسخ الشعوري الذي يصيب الفطرة البشرية، فيهوي بها إلى ذلك الدرك السحيق من الهوان.

دواعي كره أمريكا وأوروبا:

من الذي يسمع عن وحشية الفرنسيين في الشمال الأفريقي، ثم لا يمزق كل ما هو فرنسي، إن لم يكن بيديه وقدميه، فعلى الأقل بمشاعره وقلمه ولسانه؟

من الذي لا يحتقر أمريكا ويحتقر معها آدمية الأمريكان وهو يجد المعدّات الأمريكية والدولارات الأمريكية تشدّ أزر الاستعمار الأوروبي في كل مكان. . لقاء مساومات اقتصادية أو استراتيجية أو عسكرية؟

من الذي يملك أن يقف على الحياد في معركة الحرية بين الاستعمار الغربي وبين البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها، ثم لا يكتفي بموقف الحياد بل يمد يده بالمصافحة والمحالفة لهذا الاستعمار القذر، الذي تلعنه الأرض والسماء. .

أدوات الاستعمار في بلادنا:

إن الاستعمار لا يغلبنا اليوم بالحديد والنار، ولكنه يغلبنا قبل كل شيء بالرجال الذين استعمرت أرواحهم وأفكارهم، يغلبنا بهذا السوس الذي تركه الاستعمار في وزارة المعارف وفي الصحف والكتب، يغلبنا بهذه الأقلام التي تغمس في مداد الذل والهوان الروحي لتكتب عن أمجاد فرنسا، وأمجاد بريطانيا، وأمجاد أمريكا.

ولن نستطيع التغلّب على هذا الاستعمار، إلا إذا حطمناه في مشاعرنا، وحطمنا معه الأجهزة التي تسحق إيماننا بأنفسنا. هذه الأجهزة الممثلة في وزارة المعارف ومعاهد التربية والأقلام الخائنة الممسوخة، التي سبّحت يوماً بحمد فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا.

الأمل في الجيل الجديد:

وأنا لا أطمع في الجيل الذي شاخ أن يصنع شيئاً. هذا جيل قد انتهى. جيل منخوب مهما بدا كالطود الشامخ. جيل مزيف لأنه لا يؤمن بنفسه، ولا يأنف من تقبيل الأرجل التي تركل قومه ووطنه وإنسانيته أيضاً. جيل لا بأس أن تكرمه فرنسا، وأن تكرمه إنجلترا، وأن تكرمه أمريكا، لأنه يعمل لحسابها، ويؤدي لها خدمات لا يؤدّيها جيش مسلح كامل.

كلا! لست أطمع في هذا الجيل الذي شاخ. إنما أطمع في جيل الشباب المتحرر الذي يحترم رجولته، ويحترم قوميته، ويحترم إنسانيته...

طريق العمل للجيل الجديد:

أطمع في جيل الشباب أن يُخرِس كل صوت يرتفع في مدرسة أو معهد أو كلية بتمجيد الرجل الأبيض، الذي خان أمانة الإنسانية.

أطمع في جيل الشباب أن يحطم كل قلم ينغمس في مداد الذل والعار، ليمجدوا الرجل الأبيض الذي يدوس أعناقنا بحذائه.

أطمع في جيل الشباب أن يحتقر كل رجل يصادق الرجل الأبيض طائعاً

مختاراً بدون ضرورة مُلِحّـة تحتمها الأوضاع الدبلوماسية!.

ويوم ننفض الاستعمار على هذا النحو من أرواحنا وعقولنا..

ويوم تغلي دماؤنـا بالحقـد المقدس على كـل ما هـو أوروبي أو أمريكي..

يوم نسحق تحت أقدامنا كل من يربطنا بعجلة الاستعمار..

عندئذ فقط سننال استقلالنا كاملاً، لأننا نلنا الاستقلال من داخلنا: (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). (سنّة الله ولن تجد لسنّة الله تبديلاً)[1].

(١) لا توجد آية في القرآن بهذا اللفظ. وإنما هناك آيات قريبة من هذا اللفظ مثل قوله تعالى: ﴿ سنّة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ﴾ الأحزاب: ٦٢، وقوله تعالى: ﴿ سنّة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ﴾ الفتح: ٢٣. لذلك اقتضى التنويه.. (صلاح).

(٧)

حمائم في نيويورك

مجلة الكتاب : المجلد الثامن ـ الجزء العاشر ـ ديسمبر ١٩٤٩ ـ صفحات: ٦٦٦ ـ ٦٦٩

سخرية سيد قطب من أمريكا:

قلت: ويحكنّ! أهنا للحمائم الوادعة مكـان؟ أفي نيويـورك ذلك المعترك الصاخب اللاجب، الذي لا يهدأ لحظة ولا يطمئن. أفي نيويورك هذه مكان لسربكنّ الآمن الوديع؟.. وتلفتن يمنة ويسرة بعيونهنّ الوديعة الشفيفة، ولم يفقهن عني شيئاً، ولكني فقهت عنهنّ ووعيت!

كنّ سرباً من الحمائم، قد هبطن على «الطوار» العريض الواسع في إحدى الطرقات العامة[١] غير عابئات بتلك الضجة اللاجبة من حولهنّ، تلك السيارات بحركتها الصاخبة، ذلك الزحام المتماوج المتلاطم كأنه القيامة، تلك الجموع الراكضة كأنمـا تجذبهـا رائحة الفـريسة، تلك الخـطوات المحمومة كأنما تلهبها السياط، تلك النظرات الجامدة القاسية كأنها نظرة الجلاد، أو الحادّة اللامعة ببريق الطمع والرغبة والاشتهاء..

كنّ غير عابئات بذلك كله، كأنما يقلن لذلك القطيع الهائج المحموم: شيئاً من الدَّعة أيّها القطيع، شيئاً من الأمن والطمأنينة والهوادة، شيئاً من التأمل في معنى الحياة، وجمال الحياة، وموسيقى الحياة، وغايات الحياة الأعلى من القضم والهضم والتشهّي والالتهام.

(١) القانون هنا يحمي الطير والحيوان في المدن.

أمريكا ورشة ضخمة:

وقضيت عاماً في تلك «الورشة» الضخمة، التي يسمونها «العالم الجديد» وتنقلت من نيويورك إلى واشنطن، إلى دنفر إلى جريلي.. ولم ألمح في خلال هذه الفترة الطويلة من الزمان، ولا في خلال تلك المساحة الشاسعة من المكان ـ إلا في مرات نادرة ـ وجهاً إنسانياً يعبّر عن معنى الإنسان، أو نظرة إنسانية تطل منها معاني الإنسانية.. ولكنني وجدت القطيع في كل مكان، القطيع الهائج الهائم، لا يعرف له وجهة غير اللذة والمال. لذة الجسد الغليظة التي ترتوي حتى تهمد، وتهمد ريثما تستيقظ في سعار.. ورغبة المال التي تنفق الحياة كلها، خيرها وشرها، ليلها ونهارها في سبيل «الدولار».

وكلما رأيت القطيع الهائج تذكرت: تذكرت ذلك السرب الآمن، سرب الحمائم الوادع في نيويورك، الذي لا يعبأ الضجة والزحام، وكلما راودني اليأس من البشرية التي تتمثل آخر أطوارها في ذلك «العالم الجديد» انساب إلى نفسي الأمل الراضي، وأنا أذكر سرب الحمائم الآمن في جوار ذلك القطيع.

مادية الحياة هناك:

جميل أن يكون في الحياة عمل وكدح، جميل أن يكون في الحياة لذة ومتاع، ولكن على أن لا يستغرق كلاهما الحياة، على أن تبقى فترة للتأمل الهادىء، والتطلّع إلى آفاق أعلى من اللذة والمتاع.. ولكن «العالم الجديد» لا يعرف الحياة، إلا كدحاً في العمل المادي حتى اللغوب، وارتشافاً للذة الحسية حتى الهمود..

حتى التفكير يكاد يكون جهداً عضلياً، فهو جهد غايته تحسين المصنع وترقية المعمل، وإدارة العمل، وتنظيم الأشغال!

والحب. الحب الذي يطلق الطاقات الإنسانية جميعاً... إنه هنا في أمريكا جسد يتشهى جسداً، وحيوان جائع يتشهى حيواناً، ولا وقت للأشواق

الروحية التي ترف بها النفوس، ولا للأماني المرفرفة المجنحة، ولا حتى للغزل الذي يسبق الخطوة الأخيرة. إنه هنا يبدأ من تلك الخطوة الأخيرة، وينتهي عند الخطوة الأولى. حيوان لحيوان، وجسد لجسد، ومتاع لمتاع.

عبيد الشهوات:

وتغدق الطبيعة على هذا البلد خيراتها بلا حساب، حتى الجمال تهبط منه مختلف الأصناف والأشكال... جمال في الطبيعة، وجمال في الوجوه، وجمال في الأجسام.. ولكن أحداً لا يفقه هذا الجمال ولا يحسّه، إلا كما تحسّه البهائم والوحوش في الغابات! وتطلع عليك الفتاة كأنها الجنية المسحورة أو الحوراء الهاربة، ولكن ما إن تقترب إليك حتى تحس فيها الغريزة الصارخة وحدها، مجردة من كل إشعاع، وحتى تشم رائحة الجسد المحترق، لا نكهة العطر الفوّاح.. ثم تنتهي إلى لحم. مجرد لحم. لحم شهي حقاً، ولكنه لحم على كل حال...

حياة حيوان الغابة:

رأيت أفلاماً سينمائية تمثل حياة الغابة، ورأيت هنا عياناً حياة الأمريكان، وكلما رأيت هنا الذكران منطلقة على الإناث، والإناث منطلقة على الذكران، زوجين زوجين، أو جماعات جماعات، أغمضت عينيَّ فترة، فلم أجد إلا الغابة الواسعة الهائجة، تركض فيها الذكران والإناث... تلك النظرات الجائعة، تلك الأجسام المحمومة، ذلك المرح الحيواني.. كل شيء هنا ككل شيء هناك. إلا أن الغابة لم تزدحم بعد بالمصانع والمعامل، وبالمدارس والحانات. ذلك هو الفارق البارز الوحيد.. أجمل جسم هنا هو الذي يمثّل الحيوان الفاره، وأجمل نظرة هنا هي التي يطل منها التحرّق والجوع! وليس وراء ذلك شيء مما يتميز به الإنسان عن الحيوان..

وحينما يقضي الإنسان ساعات حياته كلها في عمل مضنٍ شاق، وجهته الدولار! وحينما تضيق آفاق الحياة كلها فلا تتسع إلا لوجه الدولار.. عندئذ لا يبقى للأشواق الروحية مجال، ولا للأحاسيس الشاعرة المجنحة مكان، فماذا يبقى من الحب بعد ذلك إلا الأجسام وما يتعلق بالأجسام؟

مدينة «جريلي» وأهلها:

وهذه المدينة الصغيرة «جريلي» التي أُقيم بها الآن، إنها جميلة جملية، حتى ليخيل إلى الإنسان أنها أُنبتت نباتاً في روضة حالمة. كل بيت كأنه نبتة في حديقة، وكل شارع كأنه طريق في روضة، وتشهد صاحب كل بيت وصاحبته يقضيان وقت فراغهما في عمل مضنٍ شاق لسقي الحديقة الخاصة وتشذيبها، ولكن هذا هو كل شيء...

لي ستة أشهر لم أشهد مرة واحدة فرداً أو أسرة جالسة تستمتع بذلك الجمال البارع الحالم، ولا سيما في ليالي الصيف التي ترفّ فيها النسمات كالأحلام، المهم هو تنمية الحديقة وتنظيمها، بنفس الطريقة التي ينظم بها صاحب المتجر متجره، وصاحب المصنع مصنعه، ولا شيء وراء ذلك من تذوق الجمال، والاستمتاع بالجمال... إنها آلية التنظيم والترتيب، لا روح التذوق والاستجمال...

حياتهم بدون سعادة:

في كل مكان ضحكات، وفي كل محلّة مرح، وفي كل زاوية أحضان وقبلات، ولكنك لا تلمح في وجه واحد معنى الرضاء، ولا تحس في قلب واحد روح الاطمئنان.

الحياة قلق دائم، وعمل دائم، واشتهاء دائم، وارتواء دائم، وضجيج واندفاع على الدوام.

وبين الحين والحين أرى أسراب الحمائم، هنا في جريلي، كذلك السرب الذي رأيته أول مرة في نيويورك...

وفي كل مرة أتوجه إلى السرب الوادع بنفس السؤال: أهنا للحمائم الوادعة مكان؟... وفي كل مرة أتلقى نفس الجواب: نظرات وادعة من تلك العيون الوادَعة. إنهنّ لا يفقهن عني شيئاً، ولكني أفقه وأعي جواب ذلك السؤال!...

جريلي - كولورادو　　　　　　　　　　　　**سيـد قطب**

(٨)

هتاف الروح
في ليلة دافئة من ليالي كاليفورنيا

في الجو يا مصر دفءٌ ... يُدْني إليَّ خيالك
وتستجيش حنيني ... إلى الليالي هنالك
للأمسيات السكارى ... نشوى ترف خيالك
ونسمة فيك تسري ... ريانة من جمالك
نجواك ملء فؤادي ... تُرى خطرت ببالك.

* * *

النيل والموج سار ... يقبل الشطآن
والبدر والنور ساهٍ ... كحالِم وسْنان
وفي الجواء حنين ... مجنح حيران
ومن هنالك لحن ... يهفو إلى الآذان
صداه ناء عميق ... في ناي هذا الزمان

* * *

في النفس يا مصر شوق ... لخطْرة في رُباك
لضمة من ثَراك ... لنفحة من جَواك
لومضة من سماك ... لهاتف من رؤاك
لليلة فيك أخرى ... مع الرفاق هناك
ظمآن تهتف روحي ... متى تُراني أراك؟

سان فرنسيسكو ـ سيد قطب

مجلة الرسالة : السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد: ٧٧ ـ ٢٤ إبريل ١٩٥٠
صفحة: ٤٧٢.

«٩»

دعــاء الغـريــب

يـا نـائيـاتِ الضِّـفـاف　　هـنـا فـتـاك الـحـبـيـب
عـليـه طـالَ الـمـطاف　　مـتـى يـعـود الـغـريـب؟

* * *

مـتـى تـمسُّ خُـطاه　　ذاك الأديـم الـمـغـبَّـر؟
مـتـى يـشـم شـذاه　　كـالأقـحـوان الـمـعـطَّر؟

* * *

مـتـى تـرى عـيـناه　　تلك الـربـوع الـمـواثـل
أحـلامـه ومـنـاه　　تـدعـوه خلف الحـوائـل

* * *

حـنـيـنـه رَفـاف　　إلـى الـديـار الـبـعـيـدة
متى متـى يـا ضـفـاف　　تـأوي خُـطاه الشـريـدة؟

* * *

رؤاكِ فـي نـاظـريْـه　　تَـرِفُّ كـالأحـلام
تُـرى هـفـوتِ إلـيـه　　عـلى مـدى الأيـام؟

* * *

لـيـلاتُـك الـساريات　　كـالـنسـمـة العـبـقـريـة
حـالـت إلـى ذكـريـات　　مـعـطَّرات نـديـة

* * *

مـجنَّـحات الـعـبـيـر مـرفـرفـات الأمـانـي
فـي عـالـم مـسـحـور مـوشَّـع بـالأغـانـي

* * *

هـنـاكَ حـيـث خُـطاه مـنـثـورة فـي الـطريـق
مـا زال فـيهـا الـحـيـاة تـدعـو دعـاءَ الـغـريـق

* * *

يـا أرض رُدِي إلـيـكِ هـذا الـوحيـد الغـريب!!
هـواهُ وَقْـف عـليـكِ ردِي فَـتـاك الـحـبـيـب!!

سان فرنسيسكو ـ أمريكا ـ

سيد قطب

مجلة الكتاب: مجلد ٩ ـ جزء ٦ ـ تاريخ يونيو ١٩٥٠ ـ صفحة: ٤٩٧

الفصل الثاني

إشارات سيد قطب في المجلات عن أمريكا

(١)

تعليق سيد قطب على مقال العشرون الذين صاغوا القرن العشرين

نشرت مجلة الكتاب مقالاً بعنوان «العشرون الذين صاغوا القرن العشرين» أعده الكاتبان الأمريكيان «آرثر شلسنجر» و«ماركيز تشايلدس» ونشراه في مجلة «لوك» الأمريكية بمناسبة الخمسين سنة من القرن العشرين. وقد ترجم محمد قطب المقال إلى اللغة العربية ونشره في مجلة الكتاب في مايو ١٩٥٠[١] ثم علق عليه سيد قطب ونشر تعليقه في نهاية المقال المذكور.

وقد وقع اختيار الكاتبين الأمريكيين على ثمانية وأربعين رجلاً من أوروبا وأمريكا، وخصصا لباقي العالم رجلين فقط من الهند وهما «غاندي» و«نهرو»! ونورد فيما يلي تعليق سيد قطب ـ لأنه هو المتفق مع موضوع الكتاب.

المقال يصور العقلية الأمريكية:

«هذا المقال يصور العقلية الأمريكية خير تصوير، بما فيها من واقعية كاملة، تهمها الآثار العملية حين تنظر إلى الأشياء والأشخاص، دون القيم

(١) انظر المقال في مجلة الكتاب. السنة الخامسة. الجزء الخامس. تاريخ مايو ١٩٥٠ صفحات: ٣٩٨ ـ ٤١٤.

المعنوية الذاتية. ويبدو ذلك في المقياس الذي وضعه الكاتبان لقيّم الشخصيّات، والذي جعلاه مفتاح هذا العصر: «معدل التغير». كما يبدو في إغفال الفلاسفة والأدباء والفنانين، بحجة أن هذا العصر، كان عصر العاملين لا المفكرين، وعصر العمل لا الفلسفة.

ولولا أنهما لم يستطيعا أن يغفلا «غاندي» لما وجدوا له مكاناً في هذه القائمة، ومع ذلك فقد مرا به مروراً سريعاً، بالقياس إلى رجل كتشرشل أو روزفلت أو روكفلر. على حين أن غاندي يمكن اعتباره «فوق البشر» بالقياس إلى هذه الفترة من التاريخ، كما أنه يجد مكانه في الصفوف الأولى في كل عصر من عصور التاريخ.

سرّ إغفالهما رجالاً مسلمين:

والذي لا يمكن إغفاله هو إغفال الكاتبين الأمريكيين لرجل كالقائد الأعظم «محمد علي جناح» محقق «حلم باكستان» الذي رآه الشاعر الكبير إقبال، وإذا استطعنا أن نفهم إغفالهما لذلك الشاعر الكبير الذي حلم ذلك الحلم الكبير، لأن الشعر عملة لا تُصرف في أمريكا! فإغفال «القائد الأعظم» وأثره الواقعي في ميلاد باكستان غني عن البيان، عما يدعو إلى الدهشة.

ولكن الذي يعيش في أمريكا فترة لن يدهشه هذا. إن محمد علي جناح «مسلم»! هذا هو السر في إغفاله، فالأمريكان يحاولون ما استطاعوا الإغفال والتهوين من شأن الإسلام والعالم الإسلامي بصورة واضحة ظاهرة..

ولعل رجل مثل «مصطفى كمال» كان يجد مكانه في قائمة كهذه لولا هذه الروح المتفشية في أمريكا.. فدوره في إنشاء تركيا الحديثة أكبر من دور هتلر وموسوليني، حين تنظر جميع الظروف والملابسات».

أمريكا

سيد قطب

مجلة الكتاب: السنة الخامسة ـ الجزء الخامس ـ مايو ١٩٥٠ ـ صفحة ٤١٤

(٢)

موسيقى الوجود

«مرتين اثنين، كل منهما لحظة خاطفة كما يومض البرق ثم يغيب، أحسست هذه الموسيقى العلوية الشاملة... موسيقى الوجود. مرة وأنا في عرض المحيط، والباخرة تمرُّ مرَّ الريح على وجه الخضم، والنسيم رخاء، والليل ساكن، والقمر مفضفض اللألاء، والثانية وأنا على قمة جبل تشرف على حديقة من الصخور يسمونها هنا «حدائق الآلهة» وقد انكشف المرتقى والمنحدر كلاهما، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء.

لست أدري كيف أحسست، ولست أدري كيف أقول. إلا أن قولاً واحداً انساب على لساني، في تلك اللحظة التي أومضت في روحي كما تومض الشعلة، فتكشف الطريق إلى بعيد ثم تغيب... تعبير واحد أحسست فيه كل ما فاض على خاطري تلك اللحظة من قدسية وشفافية وتسبيح.. موسيقى الوجود..

تُرى أيملك هذا التعبير الساذج أن ينقل إلى الآخرين ما أشرقت به روحي في هاتين اللحظتين من الفرح والصفاء والتسبيح..»

سان فرنسيسكو
سيــد قطــب

مجلة الكتاب: المجلد التاسع - الجزء الرابع - عدد: أبريل ١٩٥٠ - صفحة ٣٢٦

(٣)

في الأدب والحياة

سرُّ عزوفه عن الكتابة في أمريكا:

عندما كنت بعيداً عن الوطن - مدى عامين في أمريكا - كان في نفسي عزوف لا أدري مأتاه، عن الكتابة إلا في القليل النادر، وعلى الأكثر في مناسبات يفوت أوانها، أو يموت التفكير فيها، إذا هي لم تسجَّل في لحظتها.

ولعل منشأ هذا العزوف كان هو الرغبة في تحقيق شيء أكبر من مجرد الكتابة! إنني على إيماني بقوة الكلمة وامتدادها كنت أحس أننا في مصر وفي الشرق قد تكلمنا أكثر مما ينبغي، وأنه آن لنا أن نصنع شيئاً وراء الكلام وغير الكلام!

لم يكن هذا تحولاً مني إلى مذهب «البراجماتزم» الأمريكي، ولا إلى الواقعية المادية! ولكنها الرغبة في تحقيق الأحلام والمثل والمبادىء، تحقيقها في واقع الحياة كما هي محققة في واقع الشعور. فقد طالت العزلة بين أحلامنا التي يصورها الأدب والشعر، وبين واقعنا الحي في العمل والسلوك. طالت العزلة إلى حد يبعث على الشك في قيمة الكلمة، حتى في نفوس المؤمنين بقوة الكلمـة. . .

مجلة الكتاب: المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ عدد: أبريل ١٩٥١ ـ صفحة: ٣٨٩

تركيزه على كتابة الرسائل «الإخوانية»

ولكن داء الكتابة لم يزايلني البتة في خلال تلك الفترة! كنت أكتب إلى أخي وأختَيَّ وأصدقائي في مصر وسائر البلاد العربية، وفي إنجلترا وفرنسا كذلك. . وكنت أقول لهم في رسائلي الخاصة ما أود أن أقوله للناس في الكتابات المنشورة. . كنت أستروح لهذا اللون من التعبير الضيق المباشر. لأني لا أتكلف له ما يتكلفه الكُتاب عادة لما ينوون نشره، وكنت أحس فيه من الصدق والإخلاص والبساطة ما لا أحسه للكثير من المنشور، وكنت أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حدّ أن أعيش هذه الأفكار والخواطر وأترجمها شعوراً وسلوكاً لحظة بعد لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنت أجد من الصفاء الروحي والرضاء النفسي بسبب عيشتي لهذه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أن لا أجد ما يخلجني أمام نفسي من عزلة بين ما أقوله للناس، وما أزاوله في الحياة، وكنت من الفرح بهذا التوافق إلى حدّ أن أحفظ ـ أنا الذي لا أحفظ له ـ فقرات كاملة من هذه الرسائل الخاصة، لكثرة استعادة ألفاظها، وأنا أستشعر مدلولاتهـا. . . .

المرجع السابق: ٣٩٠ ـ ٣٩١

(٤)

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

هدية الحكيم لسيد قطب وإيحاؤها:

صديقي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم.

شكراً لك على هديتك الكريمة: كتابك الجدير «الملك أوديب»، إنها شيء عزيز ثمين بالقياس إليَّ هنا في تلك «الورشة» الضخمة السخيفة، التي يسمونها «العالم الجديد».

لقد استروحتُ في كلمة الإهداء: «ممن يذكرك دائماً » نسمة رخية من روح الشرق الأليف ـ فالذكرى هي خلاصة هذه الروح ـ وما كان أحوجني هنا إلى تلك النسمة الرخيمة..

إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيين ـ على حين تذخر أمريكا بكل شيء ـ شيء واحد لا قيمة له عندهم... الروح!

نماذج لأبحاثهم ونماذج لأزيائهم:

بحث يقدم للدكتوراة في إحدى جامعاتهم ـ وقد قدم فعلاً ـ عن: «أفضل الطرق لغسل الأطباق» أحب إليهم ألف مرة وأهم من رسالة عن «الإنجيل» إن لم يكن أهم من ذات الإنجيل.

أمامي وأنا أكتب إليك هذه الكلمات في مطعم، شاب أمريكي يثب على صدره «سبع» ويجثم على ظهره «فيل» لا ترع! فذلك السبع إنما هو رسم يملأ فراغ رباط عنقه، وهذا الفيل إنما هو رسم كذلك يملأ فراغ صدريته! لقد رسم السبع باللون البرتقالي الفاقع على أرضية «أخضر زرعي»، ورسم الفيل باللون الكحلي على أرضية «كرنبي» وهذا السبع مع رباط الرقبة مدلى فوق الصدرية لا تحتها حسب مزاج «التقاليع».

هذا هو الذوق الأمريكي الغالب في الألوان.

والموسيقى.. ولكن مالي وهذا كله؟ إن ذلك حديث آخر ليس وقته

الآن. أردت فقط أن أقول لك: كيف كانت هديتك لي في «العالم الجديد».

رغبة سيد في أمريكا بمحادثة «إنسان»!

أشعر بأنني أردّ لك بعض جميلك، حين أحدثك بصراحة كاملة عن عملك الفنّي الجديد، مؤثراً هذه الطريقة على كتابة مقالة نقد، ليست بي الآن أقل رغبة لكتابة مقالات، وليس لدي الوقت أيضاً، إنما يشجعني على الكتابة للحظة أنني أستحضر شخصك في خيالي، وأبادلك حديثاً بحديث، ليس فيه كلفة التحضير، ولا تعمُّل الفكرة، ولا اصطناع الأسلوب. . . . ما أحوجني هنا لمن أبادله حديثاً بحديث، في غير موضوع الدولارات ونجوم السينما وماركات السيارات. . . حديثاً في شؤون الإنسان والفكر والـروح.

واشنطن

سيـــد قطـــب

مجلة ـ رسالة : السنة السابعة عشرة ـ المجلد الأول ـ عدد: ٨٢٧ ـ تاريخ ٩ مايو ١٩٤٩ ـ صفحة: ٨٢٣

(٥)

«إلى عباس خضر»

بين صديقي وبيني أو بين مصر وأمريكا

أخي عباس

صحت نبوءتك لا بفضل Mrs Ferro صديقتك الحسناء، ولكن بفضل انتقالي من سان فرنسيسكو برياحها الرطبة المتغيرة أبدا، إلى مدينة صغيرة في وسط الوادي تسمى Palo Alto وقد شممت فيها رائحة مصر فتعافيت.

أذكر أنك مرة كتبت عن الربيع وشعراء الربيع في مصر. أنا أوافقك على الشطر الثاني! أوافقك على أن شعراء الربيع في مصر «عِزَّة!» أما إنحاؤك على جو مصر وترابه وعفارة. . . إلخ، فأؤكد لك أنه «بطر» بنعمة الله! هنا في أمريكا التي ينشرون دعوة طويلة عريضة عن جوهـا، وبخاصـة جو كاليفورنيا، لا تقاس بشيء إلى مصر. ولا تسمع ما يقوله بعض الرقعاء عن جو فرنسا، فبين يدي الآن رسالة من شاب مصري غير مخدوع، يعيش في

فرنسا مفتوح العينين، يحدثني عن التقلبات والأنواء، ويتمنى نسمة مصرية، وهذا هو ما أتمناه أنا كذلك!

إننا ننقص من قدر أنفسنا حتى في الطبيعة، أما الأجانب فيعرفون كيف يقومون بالدعاية لبلادهم ليجلبوا إليها الناس، لغرض «مادي» هو الحصول على نقد أجنبي، وإن كان الذين زاروا مصر هم يخجلون أن يقيسوا بلادهم بها.

في مصر طاقات معطلة:

إننا نملك أشياء كثيرة ولكننا لا ننتفع بها ولا نستغلها... هذه هي المسألة، فإذا أنحينا باللائمة فلننح لا على بلادنا، ولكن على تلك الحفنة الجاهلة المريضة الأنانية التي تتولى أقدارها، ولا تؤدي لها خدمة ما، ولا تستغل كنوزها، سواء كانت كنوز الطبيعة الأرضية أو كنوز الطبيعة البشرية.

إننا نملك طاقات من الذكاء الخارق ـ حين نقارن شعبنا إلى الشعب الأمريكاني ـ ولكننا نهمل هذه الكنوز بالجهل والأمية والفقر المدقع القاتل لكل موهبة، وذلك لتستمتع حفنة من «الباشوات» و«الكروش» بترف لا تعرفه القرون الوسطى..

هذا هو عيبنا، أما طبيعة بلادنا، وطبيعة شعبنا، فهما فوق مستوى الشبهات، قولوا ـ أيها الكتاب ـ للشعب حين تكتبون: إن المتحكمين فيكم يقبرون نبوغكم، ويدفنون مواردكم، وأنتم تملكون ما لا يملكه شعب آخر في هذا الوجود..

وتحياتي إليك وإلى اللقاء.

أخي ـ بعد أن كتبت لك هذا وقرأته رأيته يصلح للنشر والتعليق، فإذا رأيت أن تجعله موضوع تعليقك فأنت في حل من نشره.

سيد قطب

مجلة الرسالة: السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد: ٨٨٧ ـ تاريخ ٣ يوليو ١٩٥٠ ـ صفحة: ٧٥٦

(٦)
دور أمريكا واستغلالها لرصيدها

يخبرنا عباس خضر عن بعض رسائل سيد قطب إليه بقوله: «ليست هذه الرسالة الوحيدة من رسائل الأستاذ سيد قطب إليّ، التي تضمنت بعض الموضوعات العامة، فقد كتب مرة يقول: «تصلح أمريكا أن تكون «ورشة العالم» فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون، أما أن يكون العالم كله كأمريكا، فتلك هي كارثة الإنسانية بكل تأكيد».

فكتبت إليه فيما كتبت: «إني يا أخي لا أرى لدينا روحية محبوبة، فنحن ماديون كالأمريكيين، وكل ما بيننا من فرق أن ماديتهم منظمة ونحن في فوضى.

فجاء رده:

لمحت في رسالتك إليّ أنك «قرفـان» من مصر، ولهذا لا تستريح إلى ما أكتبه أنا عن أمريكا، إنني حين أكتب عن أمريكا ما أحسه من حقائق لا أعني أنني راضٍ عن الحياة في الشرق وما فيها، ولكن هناك شيئاً واحداً لا يصح أن نفعله، إن أمريكا تستخدم كل رصيدها الممكن، وإننا نهمل كل رصيدنا فنبدو مفلسين! إن الحاضر الواقع في بلادنا لا يرضي أحداً، ولكن الممكنات أمامها كثيرة، لو وثقنا في أنفسنا، وفي رصيدنا المكنون، وهذا هو مفرق الطريق، ولو أنك عشت في أمريكا بعض الوقت، كما عشت لحمدت للشرق روحه رغم هذا الخمول الذي يعانيه..

المرجع السابق: ٧٥٦ - ٧٥٧

(٧)
بين صديقي وبيني أو بين الكفاية والوصولية
الرســـالة الثانيـــة

وهذا مقطع من رسالة من سيد قطب إلى عباس خضر:

«أخي عباس. . .

آسف أن أكون في حديثي إليك عن Mrs Ferroy Miss من فضلك! قد مسست سياستك الداخلية في بيتك. فأنت الذي جعلتني أتحدث لك عنها باهتمامك الظاهر بها وبأخبارها، وبتفصيلات اهتمامها بخطك. . . إلخ. . . وإلا فبيني وبينها الآن حوالي ٥٠٠ ميل، ولم يشفني حسنها ولا حسن تمريضها، بقدر ما شفتني نسمات فيها من نسمات مصر مشابه وروائح!

وأفرغ من هذا إلى تعليقك على رسالتي إليك. . عن تلك الحفنة من «الباشوات» و«الكروش» وعن تلك «الحفنات» التي تحدثت عنها من الوصوليين الذين يسيرون في ركابهم، ويصهرون إليهم، وغير ذلك من أساليب. . . إلخ».

سان ديجو ـ كاليفورنيا

سيد قطب

مجلة الرسالة : السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد: ٨٩١ ـ تاريخ ٣١ يوليو ١٩٥٠ ـ صفحة: ٨٧٢

(٨)

رسالتان إلى أنور المعداوي

الرسالة الأولى:

أخي أنور:

سلامي إليك وشوقي. وبعد. فكيف أنت وكيف الأدب والفن على حسك؟؟ أحس أن آباد وآماد بيني وبين ذلك الماضي القريب منذ عام. . هنا الغربة، الغربة الحقيقية. غربة النفس والفكر. غربة الروح والجسد. هنا في تلك الورشة الضخمة التي يدعونها العالم الجديد.

عرفت الآن مدى الدعاية التي تغمر بها أمريكا العالم، والتي يسهم فيها المصريون الذين جاؤوا إلى أمريكا ثم عادوا، وأستطيع أن أقيس ـ على ضوئها ـ مدى الدعاية التي تغمرنا بها أوروبا، والتي يسهم فيها المصريون

العائدون من هناك. وأشخاصهم الضئيلة. إنهم لا يجدون لأنفسهم قيمة ذاتية، فيبالغون في تضخيم أوروبا، وتضخيم أمريكا، علّهم يستمدون منها قيمة ذاتية!

وبعد: فقد أنهيت المهمة الأولى في اللغة الإنجليزية، وأصبح لديَّ من الوقت ما يسمح أن أعرف أحوالكم وأخباركم هناك في الوطن المجهول من أبنائه، فلعلك تجد بين يديك ما تحدثني به أنا بعد، عن الحياة وعن الأدب وعن خواطرك الخاصة.

والسلام عليك ورحمة الله.

كولورادو: ٢٣/ ١٢/ ١٩٤٩

من أخيك

سيد قطب

الرسالة الثانية:

أخي أنور

كنت في حاجة نفسية إلى رسالتك لأفرح بك ولك. ثم لأصدق ظني فيك. فلقد كان الكثيرون يلومونني - في مواراة - إذ قدَّمتك للنقد الأدبي في مجلة «العالم العربي» وكنت أعرف ماذا أصنع وهم لا يعرفون!.

وإنك لتزيدني فرحاً وغبطة إذا أنت بعثت إليّ بين الحين والحين بقصاصات من مقالاتك في الرسالة، في شتى الموضوعات.

تنتظر عودتي لأخذ مكاني في ميدان النقد الأدبي؟ أخشى أن أقول لك: إن هذا لن يكون، وإنه من الأولى لك أن تعتمد على نفسك إلى أن ينبثق ناقد جديد! إنني سأخصص ما بقي من حياتي وجهدي لبرنامج اجتماعي كامل، يستغرق أعمار الكثيرين. ويكفي أن أجدك في ميدان النقد الأدبي لأطمئن إلى هذا الميدان!.

بهذه المناسبة: هل لي أن أذكر لك بعض أخطار الطريق التي بلوتها

فيه: إن أخطر ما في طريق النقد الأدبي هو مغرياته الكثيرة وتكاليفه الشاقة، مغـريات الصـداقة والجفـوة، مغريـات الشهرة ولفت الأنـظار، مغريـات الملابسات الكثيرة في حياة الفرد وحياة الشعب. ثم تكاليف قلة الحق التي كثيراً ما يكون ثمنها غالياً. فهل لي أن أطمئن إلى أنك ستستيقظ بهذه الدوافع كلها، فلا تَدَع واحدة منها أو جميعها تغشى صفحاتك بالضباب. أرجو وأدعو الله لك بالتوفيق.

وأشرت إلى أن ما بيني وبين الدكتور طه حسين. إنني أعتقد على أية حال أنه من الخير للبلاد أن يكون هذا الرجل في وزارة المعارف. ولست أسأل عمّا يكون لي أو عليّ، فطريقي واضح أمامي، وهدفي معروف لي في جميع الظروف!

بهذه المناسبة: أتذكر مقال: «بدء المعركة بين الشيوخ والشباب» في «العالم العربي»؟ كتب إليّ أستاذ في جامعة «هاليفاكس» بكندا في هذه الأيام يستأذن في ترجمته للّغة الإنجليزية، لينشر في أمريكا. وقد أجبته بالموافقة!

أكتب إليّ كثيراً، ولا تنتظر رسالة برسالة.

أخوكـــم

سيــد قطــب

الرسالة غير مؤرخة. ومن تاريخ ختم البريد على المظروف يتبيّن أنها صادرة من واشنطن في ٦ مارس ١٩٥٠

مجلة الكاتب: سنة ١٥ ـ عدد: ١٧٥ ـ أغسطس ١٩٧٥ ـ صفحات: ٢٨ ـ ٢٩

الفصل الثالث

إشارات سيد قطب في الظلال عن أمريكا

(١)

المجتمعات الجاهلية في طريق الانهيار

يشير سيد قطب إلى الرخاء المادي والرفاه الاجتماعي الذي تقدمه المجتمعات الجاهلية لأفرادها، ولكن رغم ذلك فإنها سائرة في طريق الانهيار. وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة.. ﴾ البقرة: ٢٠٨.

«ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلب من الإيمان بالله؟.

إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات، وتبرج الفتن، وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات، ليعوض خواء الروح وطمأنينة القلب بالعقيدة، والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب... ثم الانتحار..

والحال كهذا في أمريكا.. والحال أشنع من هذا في روسيا..»
في ظلال القرآن ١ : ٢١١

(٢)

صورة واقعية لمجتمعات الجاهلية

ويرسم سيد هذه الصورة الحقيقية الواقعية لمجتمعات الجاهلية - في أمريكا وغيرها - ويبيّن نفوس أفرادها المنكودة، وأزيائها الشاذة، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ﴾ البقرة: ٢١١.

وها هي ذي البشريّة المنكودة الطالع في أنحاء الأرض كلها تعاني العقاب الشديد، وتجد الشقوة النكدة، وتعاني القلق والحيرة، ويأكل بعضها بعضاً ويأكل الفرد منها نفسه وأعصابه، ويطاردها بالأشباح المطلقة، والخواء القاتل الذي يحاول المتحضرون أن يملأوه تارةً بالمسكرات والمخدرات، وتارةً بالحركات الحائرة التي يخيل إليك معها أنهم هاربون تطاردهم الأشباح!

ونظرة إلى صورهم في الأوضاع العجيبة المتكلفة التي يظهرون بها: من مائلة برأسها، إلى كاشفة عن صدرها، إلى رافعة ذيلها، إلى مبتدعة قبعة غريبة على هيئة حيوان! إلى واضع رباط عنق رسم عليه تيتل أو فيل! إلى لابس قميص تربعت عليه صورة أسد أو دب. . . .

في ظلال القرآن ١: ٢١٣

(٣)

من آثار جريمة الربا في المجتمعات الجاهلية

أشار سيد إلى آثار جريمة الربا في المجتمعات الجاهلية، والنكد والقلق الذي تعيشه تلك الشعوب، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. . «البقرة: ٢٧٥».

«إنها الشقوة البائسة المنكودة، التي لا تزيلها الحضارة المادية، ولا الرخاء المادي، ولا يُسر الحياة المادية وخفضها ولينها في بقاع كثيرة. وما

قيمــة هــذا إذا لـم ينشىء في النفــوس السعـادة والــرضى والاستقـرار والطمأنينة. .

إنها حقيقة تواجه من يريد أن يرى، ولا يضع على عينيه غشاوة من صنع نفسه كي لا يرى! حقيقة أن الناس في أكثر بلاد الأرض رخاءً عاماً. . في أمريكا وفي السويد، وفي غيرهما من الأقطار التي تفيض رخاءً مادياً. . إن الناس ليسوا سعداء. إنهم قلقون يطل القلق عن عيونهم وهم أغنياء، وإن الملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج! وإنهم يُغرقون هذا الملل في العربدة والصخب تارةً. . وفي «التقاليـع» الغريبـة الشاذة. وفي الشـذوذ الجنسي والنفسي تارةً. . ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب. الهـرب من أنفسهم، ومن الخواء الذي يعشعش فيها! ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجريانها. فيهربون بالانتحار. ويهربون بالجنون. ويهربون بالشذوذ! ثم يطاردهم شبح القلق والخواء والفراغ ولا يـدعهم يستريحون أبـداً».

في ظلال القرآن ١: ٣٢٦

(٤)

الخواء الذي يعيشه الجاهليون

ويصور الخواء الذي تعيشه أمريكا ـ وغيرها من البلاد الجاهلية ـ والذي لاحظه عندما زارها، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ أفغير دين الله يبغون؟ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعـون ﴾. آل عمران: ٨٣.

«إن البشريّة اليوم تعاني من الخواء المرير. خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها. . حقيقة الإيمان. . وخواء حياتها من المنهج الإلٓهي. هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون الذي تعيش فيه. . ».

إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيداً عن ذلك الظل

الوارف الندي، ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيداً عن ذلك الخط القويم، والطريق المأنوس المطروق؟!.

ومن ثم تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب، وتحس الخواء والجوع والحرمان، وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات، وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام! وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسورة والفراغ الكثير.. لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتزايد كلما تزايد الرخاء المادي والإنتاج الحضاري واليسر في وسائل الحياة ومرافقها، إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف، يطاردها فتهرب منه. ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير!.

«وما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية في الأرض حتى يكون الانطباع الأول في حسّه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم. هاربون من ذوات أنفسهم، وسرعان ما يتكشف الرخاء المادي والمتاع الحسي الذي يصل إلى حدّ التمرغ في الوحل، عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمسكرات والمخدرات والجريمة... وفراغ الحياة من كل تصور كريم...».

في ظلال القرآن ١: ٤٢٢.

(٥)

التفرقة العنصرية في الجاهلية الأمريكية

ويشير إلى التفرقة العنصرية في أمريكا. وذلك في معرض حديثه عن تشريعات الجاهلية، في تشديد العقوبات على العبيد والمستضعفين وتخفيفها على الكبراء، عندما فسّر قوله تعالى: ﴿ فإذا أُحصنَّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما المحصنات من العذاب.. ﴾. النساء: **٢٥**.

(وما تزال الجاهلية الحديثة في أمريكا وفي جنوب أفريقيا وفي غيرها

تزاول هذه التفرقة العنصرية، وتغفر للأشراف «البيض» ما لا تغفره للضعاف «الملونين»، والجاهلية هي الجاهلية حيث كانت).

في ظلال القرآن ٢ : ٦٢٩

(٦)

صور من انحلال الجاهليين

تحدث عن الانحلال الأخلاقي والعهر والفساد والإباحية والحيوانية التي تعيشها الجاهليات القديمة والمعاصرة، وأنه هو السبب الحقيقي في هزيمة الدول القديمة... والدول المعاصرة أيضاً في الحربين العالميتين: الأولى والثانية... وذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً. يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً..﴾ النساء: ٢٧ ـ ٢٨.

فبعد أن ينقل فقرات مطولة تعرض نماذج لانحلال المجتمعات الأوروبية وإباحيتها بين الشباب والشابات ينتقل للحديث عن أمريكا ـ وهو ما يهمنا هنا ـ فيقول: (والحال في أمريكا لا تقل عن هذه الحال. ونذر السوء تتوالى. والأمة الأمريكية في عنفوانها لا تتلفت للنذر. ولكن عوامل التدمير تعمل في كيانها، على الرغم من هذا الرواء الظاهري، وتعمل بسرعة، مما يشي بسرعة الدمار الداخلي على الرغم من كل الظواهر الخارجية)!!!.

لقد وُجد الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكريّة لأعدائهم، لا لأنهم في حاجة إلى المال، ولكن لأن بهم شذوذاً جنسياً، ناشئاً من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع.

وقبل سنوات وضع البوليس الأمريكي يده على عصابة ضخمة ذات فروع في مدن شتى، مؤلفة من المحامين والأطباء ـ أي من قمة الطبقة المثقفة ـ مهمتها مساعدة الأزواج والزوجات على الطلاق، بإيجاد الزوج أو الزوجة في حالة تلبس بالزنا، وذلك لأن بعض الولايات لا تزال تشترط هذا الشرط لقبول توقيع الطلاق! ومن ثم يستطيع الطرف الكارِه أن يرفع دعوى

على شريكة بعد ضبطه عن طريق هذه العصابة متلبساً، وهي التي أوقعته في حبائلها. . .

كذلك من المعروف أن هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين! وذلك في مجتمع لا يدري فيه الزوج إن كان سيعود فيجد زوجته في الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق! ولا تدري الزوجة إن كان زوجها الذي خرج في الصباح سيعود إليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها وأشد جاذبية! مجتمع تعيش البيوت فيه في مثل هذا القلق الذي لا يدع عصباً يستريح!!

وأخيراً يعلن رئيس الولايات المتحدة أن ستة من كل سبعة من شباب أمريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذي يعيشون فيه. . .

وينقل سيد عن كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي قول مجلة أمريكية عن الثالوث الشيطاني الذي يسعر الحرب الجنسية هناك: الأدب الفاحش الخليع. والأفلام السينمائية الفاضحة العارية. وتبرج النساء وعريهنّ. . ويعلق على قول المجلة قائلاً: (والذي حدث أن أمريكا لم تحدّ من طغيان هذه العوامل الثلاثة، بل استسلمت لها تماماً، وهي تمضي في الطريق الذي سار فيه الرومان. . .).

وينقل عن انحراف شباب وشابات أمريكا ما يلي: (انتشرت موجة الإجرام بين المراهقين والمراهقات من شباب أمريكا، وأعلن حاكم ولاية نيويورك أنه سوف يجعل علاج هذا الانحراف على رأس برنامج الإصلاح الذي يقوم به في الولاية).

وعمد الحاكم إلى إنشاء المزارع و«الإصلاحيات» التهذيبية والأندية الرياضيّة. . إلخ ولكنه أعلن أن علاج الإدمان على المخدرات التي انتشرت بصفة خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات ـ ومنها الحشيش والكوكايين ـ لا يدخل في برنامجه، وأنه يترك أمره للسلطات الصحية. . .

ويتابع إيراد النماذج الدالة على انحلال الأمريكيين فيقول: (وقد قدّرت

لجنة الأربعة عشر الأمريكية التي تعني بمراقبة حالة البلاد الخلقية أن ٩٠ بالمائة من الشعب الأمريكي مصابون بالأمراض الجنسية السرية الفتاكة (وذلك قبل وجود المركبات الحديثة من مضادات الحيويات كالبنسلين والأستربتومايسين).

وكتب القاضي (لندسي) بمدينة (دنفر) أنه من كل حالتي زواج تعرض قضية طلاق...)

في ظلال القرآن ٢ : ٦٣ - ٦٣٧باختصار

(٧)

قانون «الجفاف» في أمريكا

في أثناء مقارنته بين نجاح الإسلام في تحريم الخمر بكلمات، وإخفاق أمريكا في محاولة ذلك رغم جهودها وتضحياتها وخسارتها، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾. النساء: ٤٣.

يقول: (أما في أمريكا فقد حاولت الحكومة الأمريكية مرة القضاء على هذه الظاهرة فسنت قانوناً في سنة **١٩١٩** سميّ قانون «الجفاف» من باب التهكم عليه، لأنه يمنع «الري» بالخمر! وقد ظل هذا القانون قائماً مدة أربعة عشر عاماً، حتى اضطرّت الحكومة إلى إلغائه في سنة **١٩٣٣**، وكانت قد استخدمت جميع وسائل النشر والإذاعة والسينما والمحاضرات للدعاية ضد الخمر. ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضدّ الخمر بما يزيد على ستين مليوناً من الدولارات. وإن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على عشرة بلايين صفحة. وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن **٢٥٠** مليون جنيه. وقد أعدم فيها **٣٠٠** نفس، وسجن كذلك **٥٣٢٣٣٥** نفساً، وبلغت الغرامات **١٦** مليون جنيه وصادرت من الأملاك ما يبلغ **٤٠٠** مليون وأربعة بلايين جنيه... وبعد ذلك كله اضطرّت إلى التراجع وإلغاء القانون.

فأمّا الإسلام فقضى على هذه الظاهرة العميقة في المجتمع الجاهلي.. ببضع آيات من القرآن...

في ظلال القرآن ٢: ٦٦٣.

(٨)

أمريكا وسنّة الله سبحانه وتعالى

ويتحدث عن ما رآه في أمريكا عن كثرة نعم الله عليهم هناك، وعن نسيانهم وغفلتهم، وعن قدوم العذاب إليهم، وعن وقوع سنّة الله بهم، وبلفظ آخر طبق عليهم آية من كتاب الله تقرر سنّة من سننه سبحانه. وهي قوله تعالى: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون.. ﴾. الأنعام: ٤٤.

(ولقد كنت - في أثناء وجودي في الولايات المتاحدة الأمريكية - أرى رأي العين مصداق قول الله سبحانه: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾.... فإن المشهد الذي ترسمه هذه الآية.. مشهد تدفق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب.. لا يكاد يتمثل في الأرض كلها كما يتمثل هناك..).

وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي همّ فيه، وشعورهم بأنه وَقْف على «الرجل الأبيض» وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة! وفي صلف على أهل الأرض كلهم لا يقاس إليه صلف النازية الذي شهَّر به اليهود في الأرض كلها، حتى صار عَلَماً على الصلف العنصري، بينما الأمريكي الأبيض يزاوله تجاه الملونين في صورة أشد وأقسى! وبخاصة! إذا كان هؤلاء الملونون من المسلمين...

كنت أرى هذا كله فأذكر هذه الآية، وأتوقع سنّة الله، وأكاد أرى خطواتها وهي تدب إلى الغافلين...

في ظلال القرآن ٢: ١٩١.

(٩)

الجاهلية تنحدر إلى السفح

ويشير إلى عصبيات أمريكا والجاهليين عموماً ـ التي أنزلتها من القمة الساحقة إلى السفح الهابط، فنزلت إليه وأنزلت البشرية معها كذلك. وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ الأنعام: **٥٣**.

... (ثم تتراجع البشرية عن القمة الساحقة، وتنحدر مرة أخرى إلى السفح. وتقوم ـ مرةً أخرى ـ في نيويورك، وواشنطن، وشيكاغو... وفي جوهانسبرغ... وفي غيرها من أرض «الحضارة»! تلك العصبيات النتنة، عصبيات الجنس واللون، وتقوم هنا وهناك عصبيات «وطنية» و«قومية» و«طبقية» لا تقلّ نتناً عن تلك العصبيات).

ويبقى الإسلام هناك على القمة.. حيث ارتسم الخط الوضيء الذي بلغته البشرية.. يبقى الإسلام هناك ـ رحمة من الله للبشرية ـ لعلها أن ترفع أقدامها من الوحل، وترفع عينيها عن الحمأة.. وتتطلّع مرةً أخرى إلى الخط الوضيء..

في ظلال القرآن ٢: ١١٠٤.

(١٠)

بين قوم لوط والأمريكيين

يقارن بين شذوذ قوم لوط ـ الذي تعرضوا به للهلاك ـ وبين شذوذ أهل أمريكا. وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة؟ ما سبقكم بها من أحد من العالمين؟ إنكم لتأتون الرجال ـ شهوة ـ من دون النساء، بل أنتم قوم مسرفون.. ﴾ الأعراف: ٨٠ ـ ٨١.

«وطبيعة التصور الاعتقادي، ونظام الحياة الذي يقوم عليه، ذو أثر حاسم في هذا الشأن «العلاقة بين الجنسين» فهذه هي الجاهلية الحديثة في

أوروبا وأمريكا، ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسي الشاذ انتشاراً سريعاً بغير مبرر! إلا الانحراف عن الاعتقاد الصحيح وعن منهج الحياة الذي يقوم عليه...».

وقد كانت هناك دعوى عريضة، من الأجهزة التي يوجهها اليهود في الأرض لتدمير الحياة الإنسانية لغير اليهود، بإشاعة الانحلال العقيدي والأخلاقي.. كانت هناك دعوى عريضة من هذه الأجهزة الموجهة، بأن أصحاب المرأة هو الذي ينشر هذه الفاحشة الشاذة في المجتمعات! ولكن شهادة الواقع تخرق العيون. ففي أوروبا وأمريكا لم يبق ضابط واحد للاختلاط الجنسي الكامل بين كل ذكر وكل أنثى - كما في عالم البهائم! - وهذه الفاحشة الشاذة يرتفع معدلها بارتفاع الاختلاط ولا ينقص، ولا يقتصر على الشذوذ بين الرجال، بل يتعداه إلى الشذوذ بين النساء... ومن لا تخرق عينيه هذه الشهادة فليقرأ «السلوك الجنسي عند الرجال» و«السلوك الجنسي عند النساء» في تقرير «كنزي» الأمريكي.. ولكن هذه الأجهزة الموجهة، ما تزال تردّد هذه الأكذوبة وتسندها إلى حجاب المرأة، لتؤدي ما تريده بروتوكلات صهيون ومؤتمرات المبشرين...

في ظلال القرآن ٣: ١٣١٥ - ١٣١٦.

(١١)

وبين قوم نوح والأمريكيين

ويقارن بين قوم نوح - عليه السلام - وبين الأمريكيين في عالم القيّم والموازين والاعتبارات، وكيف أن الفريقين الجاهليين يقيِّمون الرجل بما يملك من متاع دنيوي زائل.. وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قالوا ما نراك إلا بشراً مثلنا، وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل... ﴾ هود: ٢٧.

«فقوم نوح في كلامهم هذا يقيسون الفضل بالمال، والفهم بالجاه، والمعرفة بالسلطان.. وهكذا الأمريكيون.. في أمريكا اليوم يقاس المرء

بدخله، ويَوزن برصيده في البنك!! وموجة الوثنية تطغى من أمريكا على العالم، حتى في الشرق الذي يزعم أنه مسلم!!!!».

في ظلال القرآن ٤ : ١٨٧٣ حاشية.

(١٢)

إعجاز القرآن بالتأثير

يستشهد على إعجاز القرآن في التأثير ـ في أكثر من موطن في الظلال ـ بحادث وقع له عندما كان على ظهر الباخرة التي أقلته إلى أمريكا عام **١٩٤٨**. وقد ذكر الحادث كاملاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أم يقولون أفتراه؟ قل: فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾. . يونس: ٣٨.

(إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري. . . إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً. . . وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول ـ وإن لم تكن هي القاعدة ـ ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل. . .).

ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري، ولكني أذكر حادثاً واحداً وقع لي، وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً. . . كنّا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم. . وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينيّة إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة، وحاول أن يزاول تبشيره معنا!. . . وقد يسّر لنا قائد السفينة ـ وكان إنجليزياً ـ أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها ـ وكلهم نوبيون مسلمون ـ أن يصلي معنا منهم من لا يكون في «الخدمة» وقت الصلاة! وقد فرحوا بهذا فرحاً

شديداً. إذْ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة.. وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة، والركاب الأجانب - معظمهم - متحلقون يرقبون صلاتنا! وبعد الصلاة جاءنا كثير منهم يهنئوننا على نجاح «القداس»! «فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا! ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم «تيتو» وشيوعيته - كانت شديدة التأثر والانفعال. تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح!.. وليس هذا موضع الشاهد في القصة.. ولكن ذلك كان في قولها: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها «قسيسكم» فالمسكينة لا تتصور أن يقيم «الصلاة» إلا قسيس - أو رجل دين - كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة، وقد صححنا لها هذا الفهم!.. وأجبناها. فقالت: إن اللغة التي كان يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب. وإن كنتُ لم أفهم منه حرفاً.. ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن ليس هذا هو الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه.. إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن «الإمام» كانت ترد في أثناء كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق أيقاعاً.. هذه الفقرات الخاصة كانت تُحدث في رعشة وقشعريرة! إنها شيء آخر! كما لو كان الإمام مملؤاً من الروح القدس! - حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها - وفكرنا قليلاً. ثم أدركنا أنها تعني «الآيات القرآنية» التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة! وكانت - مع ذلك - مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما تقول شيئاً!!».

في ظلال القرآن: ٣: ١٧٨٦.

(١٣)

من «أحاسيسه الخفية» وهو في أمريكا

لمّا كان يتحدث عن «رؤيا» يوسف عليه السلام، وقف يتحدث عن ظاهرة «الأحلام والرؤى» والأحلام التنبؤيّة والأحاسيس الخفية.. ودلالاتها

النفسيّة والإنسانيّة، وارتباطها بالحواس والشعور.. ثم أشار إلى حادث له وهو في أمريكا، عن أمر جرى لأهله في القاهرة. وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وكذلك يجتبيك ربك، ويعلمك من تأويل الأحاديث..﴾ يوسف: ٦.

«وأستطيع أن أكذب كل شيء، قبل أن أكذب حادثاً وقع لي وأنا في أمريكا، وأهلي في القاهرة، وقد رأيت فيما يرى النائم أن ابن أخت لي شاباً، وفي عينه دم يحجبها عن الرؤية، فكتبت إلى أهلي أستفسر عن عينه بالذات، فجاءني الرّد بأن عينه قد أصيبت بنزيف داخلي، وأنه يعالج...

ويلاحظ أن النزيف الداخلي لا يُرى من الخارج، فقد كان منظر عينه لمن يراها بالعين المجردة منظراً عادياً، ولكنها كانت محجوبة عن الأبصار بالنزف الداخلي في قاعها. أما الرؤيا فقد كشفت عن هذا الدم المحجوب في الداخل! ولا أذكر غير هذه لأنها وحدها تكفي..».

في ظلال القرآن ٤: ١٩٧٢ حاشية.

(١٤)

من ثمار الاختلاط في أمريكا

أشار إلى بعض نتائج الاختلاط في أمريكا، وبعض ثمار تلك الغرسة النكدة التي غرستها شياطين الأنس في أمريكا، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قلّ للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون. وقلّ للمؤمنات يغضضنّ من أبصارهنّ ويحفظنّ فروجهنّ..﴾ النور: ٣٠ - ٣١.

«ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق، والاختلاط الميسور، والدعاية المرحة بين الجنسين، والاطّلاع على مواضع الفتنة المخبوءة... شاع أن كل هذا تنفيس وترويح، وإطلاق للرغبات الحبيسة، ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية، وتخفيف من حدّة الضغط الجنسي، وما وراءه من اندفاع غير مأمون..

شاع هذا على أثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرّقه من الحيوان، والرجوع به إلى القاعدة الحيوانية الغارقة في الطين! ـ وبخاصة نظرية فرويد. . . ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية. رأيت بعيني في أشد البلاد إباحية وتفلّتاً من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والإنسانية ما يكذبها وينقضها من الأساس. . .

نعم. . شاهدت في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي، والاختلاط الجنسي، بكل صوره وأشكاله، أن هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها! إنما انتهى إلى سُعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع!

وشاهدت الأمراض النفسية والعقد، التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، وإلا من التلهف على الجنس الآخر المحجوب. شاهدتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه. . ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذي لا يقيده قيد، ولا يقف عند حدّ، وللصداقات بين الجنسين تلك التي يباح معها كل شيء! وللأجسام العارية في الطريق، وللحركات المثيرة، والنظرات الجاهرة، واللفتات الموقظة. .

وليس هنا مجال التفصيل، وعرض الحوادث والمشاهد، مما يدل بوضوح على ضرورة إعادة النظر في تلك النظريات التي كذبها الواقع المشهود. . ».

في ظلال القرآن ٤ : ٢٥١١.

(١٥)

عودة إلى نفس الموضوع

ويعود إلى نفس الموضوع ـ ثمار الاختلاط النكدة في أوروبا وأمريكا ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب. ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ ﴾. الأحزاب: **٥٣**.

«والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله، وكذب المدعين غير ما يقوله الله، والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما نقول. وهي في البلاد التي بلغ فيها الاختلاط الحرّ أقصاه، أظهر في هذا وأقطع من كل دليل. وأمريكا أول هذه البلاد التي أتى الاختلاط فيها أبشع الثمار...».

في ظلال القرآن ٥: ٢٨٧٨.

الفصل الرابع

إشارات سيد قطب في كتبه الإسلامية عن أمريكا

(١)

إشارات في «معركة الإسلام والرأسمالية»

عداوة أمريكا لهذه الأمة:

يتحدث سيد عن عداوة الجبهة الغربيّة للأمة الإسلامية، ومظاهر هذه العداوة، وحرصهم على إذلالنا.. «وبعد فإن الجبهة الغربيّة المؤلفة من أمريكا وإنجلترا وفرنسا تستعبدنا وتستذلنا، ولا مكان لنا فيها إلا مكان الذيول والعبيد. وكلّ تفكير في الانضمام إليها إنما ينشأ من المصلحة المشتركة بين الرأسمالية المستغلة والاستعمار الذي يحميها، وكلّ ستار آخر إنما هو ستار خادع، للتعمية على الجماهير، التي أصبحت لحسن الحظ لا تنخدع بهذا الستار..»

معركة الإسلام والرأسمالية: ٢٩

من أخلاق أمريكا:

بعد أن يتحدث عن مكرّ الجبهة الغربيّة ـ إنجلترا وفرنسا ـ بالأمة الإسلامية ويورد نماذج لعداواتهم لنا ينتقل للحديث عن أمريكا فيقول: «فأما أمريكا: فالذين لم يعيشوا فيها ولم يروها، قد لا يذكرون لها إلا خيانتها لنا في قضيتنا بمجلس الأمن، وفي حرب فلسطين. ولكن الذين عاشوا فيها، ورأوا كيف ولغت صحافتها ومحطات إذاعتها وشركات أفلامها في كرامتنا وفي سمعتنا، وكيف نشرت ذلك بعداء واضح واحتقار مقصود، أو أحسوا ذلك العداء العنيف لكلّ ما هو إسلامي وشرقي بوجه عام، أو عرفوا كيف ينظر

الأمريكان للملونين عامة ومدى ما يكنّون لهم من احتقار؛ هؤلاء يعرفون ما هي أمريكا، ويعرفون كيف يجب أن يردوا لها هذا الجميل وذاك.

ولقد لقي «الآلاي» التركي الذي ذهب إلى كورية جزاءه الحق من الأمريكان، وعرف نصيبه ونصيب أي جيش شرقي يذهب لمعاونة هؤلاء المتغطرسين على الشرقيين لقد تركوه يحمي مؤخرة هزيمتهم، فلما قام بدوره تركوه بلا حماية من الطيارات، وبلا معونة من السيارات، بل بدون ذخيرة ودون طعام!.

وإنه لمثل بسيط لما ينتظر جيوش العبيد في أي حلف مشترك: فالأتراك في نظر الأمريكان همّ أرقى الشرقيين لسبب تافه بسيط: إنهم بيض البشرة! ومع ذلك فتلك معاملتهم لهم في الميدان... معاملة السيد الخائن الجبان!.

معركة الإسلام والرأسمالية: ٣٢ ـ ٣٣

فشل الكنائس في أمريكا:

يتحدث عن مشاهدته للكنائس في أمريكا، وفشلها في ضبط سلوك وحياة روادها: «وكثيراً ما ذهبت إلى هذه الكنائس، واستمعت إلى الوعاظ في الكنيسة، وإلى الموسيقى والتراتيل والأدعية، وكثيراً ما استمعت إلى إذاعة الآباء في محطات الإذاعة في الأعياد المسيحية.. دائماً يحاول الآباء أن يعقدوا الصلة بين قلب الفرد وبين الله. ولكن واحداً منهم لم أسمعه يقول: كيف يمكن أن تكون مسيحياً في واقع الحياة اليومية، ذلك أن المسيحية إنما هي مجرد دعوة للتطهر الروحي، ولم تتضمن تشريعاً للحياة الواقعة، بل تركت ذلك لقيصر..».

معركة الإسلام والرأسمالية: ٥٦ ـ ٥٧.

نموذج لخريج من أمريكا:

إن أمريكا تمسخ وتشوه الذين يدرسون فيها، والذين يتخرجون من جامعاتها فيعودون إلى بلادهم بدون شخصية أو كيان، وبدون علم أو أدب أو

خلق. . . إلّا من رحم الله فثبته هناك على دينه، واستعلى عليهم بإيمانه، وعاد أكثر ثقة بدينه وأنفذ بصراً بما حوله. .

ويعرض علينا سيد نموذجاً لخريج من أمريكا، مشوه ممسوخ ملوث. . «وليس حكم الإسلام وحده هو الذي يثير هذه الصورة الماحلة في خيالهم، بل إن بعضهم ليثير هذه الصورة في حسّه مجرّد الربط بين الحكم وعنصر الأخلاق! ولست أنسى أن أحد «الدكاترة» في التربية العائدين من أمريكا، كان يتحدث معي عن المجتمع الأمريكي، فقلت إن لهذا المجتمع مزاياه. ولكن الذي أنكره عليه هو أنه ينفي العنصر الأخلاقي من حسابه جملة، ويعده عنصراً دخيلاً على الحياة. فانتفض في حماسة وأستاذية يقول: «إذا كنّا سنتحدث عن الأخلاق، إذن فلنرجع إلى عيشة الخيام».

وبمثل هذه الروح سيتولى ذلك الدكتور العظيم إعداد جيل من المعلمين في معهد التربية، يتولون بدورهم إعداد أجيال من أبنائنا، الذين نسلمهم إليهم في ثقة واطمئنان. .

معركة الإسلام والرأسمالية: ٦٥ - ٦٦.

نموذج لنشاط «كنسي» لا أخلاقي:

يحرص سيد على أن يعرض نماذج من نشاط «الكنائس» في أمريكا، واستخدامها وسائل غير أخلاقية لاجتذاب الشباب والشابات. . وقد تحدث من نموذج يعتبر «ليلة حمراء» في كنيسة أمريكية في مقاله «أمريكا التي رأيت» وأعاد هذا النموذج هنا باختصار. .

«لقد فهمت الكنيسة في أمريكا ما يفهمه أولئك العصريون والمتحررون، فاستحالت من هيكل عبادة إلى ساحة رقص، ومن قدس تطهر إلى ساحة لذّة. . ولست أنسى ذلك «الأب» الذي انتهى من الصلاة والترتيل، ليقود «أبناءه وبناته» إلى ساحة الرقص الملحقة بالكنيسة، ووقف ينظر برضا إليهم وإليهنّ أزواجاً أزواجاً متلاصقة، تدور في الساحة على أنغام الموسيقى، في ظل الأنوار الحمر والصفر والزرق، التي تلقي ظلال

الـرومانسيـة العنيفـة، وتهيـج الـدم في عـروق الشبـاب! ثم تقـدم إلى «الجراموفون» ليختار «إسطوانة» يـرقص عليها أبنـاؤه وبناتـه تحت سمعه وبصره، فاختار قطعة غزل جنسية صارخة، تمثل حواراً بين شاب وفتاة، عائدين من السينما بعد منتصف الليل، وهو يمسك بها في حجرته الدافئة، ولا يطلقها لتعود إلى أهلها لأن الليلة باردة، وفي نهاية كل مقطع تتردّد تلك الجملة But Baby: its cold outside «يا صغيرتي إنها باردة في الخارج!».

معركة الإسلام والرأسمالية: ٦٩.

حكام أمريكا «خريجو» مدارس التبشير:

«إن أجهزة الدعاية الأمريكية في الشرق هي التي تتولى الدعاية للهند، بأموال أمريكية يظهر صداها في صحافة الشرق واضحاً، لماذا لأن الهند ليست مسلمة ولأن بينها وبين أول دولة مسلمة في الشرق نزاعاً. . . .

والكثرة من الحاكمين في الدولة الأمـريكية تخـرجوا في المعـاهد التبشيرية. . وهي حقيقـة أفضى بها إليّ أحد الأساتذة الإنجليز الذين التقيت بهم في أمريكا، وعدّ لي عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية وفي السلك السياسي، ولم يكن يفضي إليّ بهذه الحقيقة بريئاً لوجه الله! ـ وإنما هو ـ كما عرفت فيما بعد ـ أحد رجال قلم المخابرات البريطاني الذين يهمهم ألا يثق الشرقيون كثيراً في نيات أمريكا! مما دعاني إلى التشكك في بياناته لي، فتحققتها بوسائل أخرى. .».

معركة الإسلام والرأسمالية: ٩٧ ـ ٩٨.

(٢)

إشارات في «دراسات إسلامية»

أمريكا مع بريطانيا ضدنا:

«وإنجلترا ـ كما يقول كُتابنا الخونة ـ هي الدولة التي لا تتدخل في الحرية الدينية. . . ومن وراء الاستعمار البريطاني والفرنسي، تقف أمريكا

بدولاراتها وطياراتها ودباباتها وقنابلها الذريّة، تحمي الاستعمار في كل مكان، وترّد له هيبته الضائعة، وتقتل المواطنين الأحرار الذين يدافعون عن بلادهم، وتخذل قضايا الحرية في هيئة الأمم المتحدة، وفي مجلس الأمن الدولي.

وأمريكا ـ كما يقول كُتابنا المرتزقون ـ هي حامية الحرية «في العالم الحرّ» الذي يتحدثون عنه ولا يعرف العالم له وجوداً..».

دراسات إسلامية: ١٦٩ ـ ١٧٠.

صورة من تبعية عملاء أمريكا لها:

وهـو ـ الاستعمار ـ لا يرصد لنا قوة الحديد والنار وحدها، بل إنه يضع لنا الفخاخ الاقتصادية، على نحو ما تحاوله أمريكا في هذه الأيام من عقد المعاهدة التجارية الرهيبة، التي عرضتها في العهد الماضي، ثم عادت اليوم تحاولها من جديد.

وهي المعاهدة التي تحتم علينا قبول البضائع المستوردة من أي بلد من بلاد العالم، ما دامت تحمل الشعار الأمريكي.. أي أن المصانع الأمريكية في إسرائيل تغزونا في عقر دارنا، ونحن لا نملك لها رداً.. وكذلك تغل يدنا عن الاحتفاظ بالعملة التي نريد الاحتفاظ بها، لأنها تبيح للشركات الأمريكية وللرعايا الأمريكان في مصر أن يخرجوا نقودهم بأية عملة كما يشاؤون.

وذلك كله في مقابل أن يكون لنا ـ نحن المصريين ـ حقوق مماثلة في الأرض الأمريكية أي والله. مقابل أن تكون لنا في أمريكا شركات ومصانع وموظفون وأموال.... وأن نستمتع بالحريات والضمانات التي يتمتع بها الرعايا الأمريكان في بلادنا... تماماً كما كان لنا حق استخدام الموانيء والمطارات وطرق المواصلات في قلب إنجلترا بحكم معاهـدة الشرف والاستقلال في يوم من الأيام. لولا أننا ـ لسوء الحظ ـ قد ألغينا هذه المعاهدة! ومن يومها وأساطيلنا البحرية والجوية في أوروبا لا تجد لها مرسى، لأننا قد فقدنا حق استخدام المطارات والموانيء الإنجليزية..

دراسات إسلامية: ١٧٣.

حادثة أمريكية تكشف ضمير أمريكا:

«وهو ذاته (ضمير الغربي المتحضر الحرّ) الضمير الذي شاهدته بعيني في أمريكا، والبيض يتجمعون على شاب زنجي بمفرده، ليضربوه ويركلوه ويدهسوه بكعب نعالهم، حتى يخلطوا عظمه بلحمه، في الطريق العام، والبوليس لا يحضر أبداً إلا بعد إتمام الجريمة، وتفرق الجماهير المتوحشة كوحوش الغابة..».

دراسات إسلامية: ١٧٣.

لعبة أمريكية سياسية:

«وقف مسيو «روبير شومان» وزير الخارجية الفرنسية ينذر وزير الخارجية الأمريكية بأن فرنسا سترفض التصديق على معاهدة الصلح الألمانية وتوقيع ميثاق الدفاع عن غرب أوروبا، كما ستنسحب من حلف الأطلنطي، إذا أيّدت الولايات المتحدة التونسيين والمراكشيين في الأمم المتحدة.».

وحق لفرنسا أن تهدد أمريكا. فهي تعلم أن أمريكا غير جادة في نصرة قضية تونس ومراكش، ولكنها تضحك على ذقون العرب والمسلمين، حين تتظاهر بتأييدهم في قضاياهم ضدّ الاستعمار الأوروبي، ولو كانت جادة لوجدت الوسيلة، فإن فرنسا وإنجلترا تعيشان عالة على أمريكا. ولو أمسكتْ عنهما المدد لأفلستا. فهي تملك إذن أن تصنع شيئاً لو أرادت، ولكنها لا تريد.

واللعبة الأمريكية في موقفها هذا مكشوفة، إنها تدَع فرنسا تهدّد وتخضع لهذا التهديد الوهمي، الذي ما كانت فرنسا لتُقْدم عليه لو أنها تعلم أن أمريكا صادقة النيّة... كذلك تستخدم دوّل أمريكا اللاتينيّة للغرض نفسه، فتوحي إليها أن تعارض أي نص قاطع يؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين في الاستقلال، ليكون ذلك تكأة لأمريكا في التراجع.

وقد صرّح رئيس الوفد الأندونيسي، بأن أعضاء الكتلة العربية الآسيويّة التي تعمل لوضع مشروع قرار بتشكيل لجنة معظم أعضائها منهم، قد تخلوا

عن الفكرة الأولى التي تقضي بأن تتضمن مشروع القرار فقرة تؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين في الاستقلال، وذلك خشية عدم تأييد دوّل أمريكا اللاتينيّة للقرار، إذا قدم متضمناً هذه الفقرة.

ووراء هذا كله أمريكا. فقد صرّح مستر «فيليب جيسوب» رئيس الوفد الأمريكي في هيئة الأمم: بأن الولايات المتحدة تحاول إقناع الكتلة العربية الآسيويّة بعدم التطرّف في عداء فرنسا، وأنه «سعيد» لأن أعضاء هذه الكتلة قد بدأوا يتراجعون عن موقف التطرف الشديد في عدائهم لفرنسا! إن الولايات المتحدة تريد أن يكون مشروع القرار الذي سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلاً بحيث يقتصر على مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات.

هذه هي المأساة التي تمثل في هذه الأيام، على مسرح هيئة الأمم بمعرفة أمريكا والاستعمار الأوروبي..

أمريكا صليبيّة كأوروبا:

«... ومع ذلك فنحن ببلاهة منقطعة النظير نقف لننتظر العون الأمريكي الذي يخلصنا من الاستعمار الأوروبي..

إننا ننسى أن العالم الأوروبي والعالم الأمريكي يقفان صفاً واحداً بإزاء العالم الإسلامي. والروح الصليبيّة القديمة هي هي ما تزال. إننا ننسى هذا، لأن فينا مغفلين كثيرين ومغرضين كثيرين يضللوننا، وينشرون دعاية مغرضة عن رغبة أمريكا في إنصاف الشعوب المستبعدة، ومساعدة الشعوب المتأخرة ومع أننا ذقنا الويل من أمريكا في فلسطين، فإن أجهزة الدعاية الأمريكية تعمل.. و«جمعية الفلاح» تظهر في الميدان، وتقوم بواجبها.

إن جراحات العالم الإسلامي تنبض بالدم في كل مكان، وأمريكا واقفة تتفرج، بل تساعد المستعمر الأوروبي القذر. ومع هذا توجد صحف ويوجد ناس: ناس مصريون ومسلمون يتسمون أحمد وحسين، وحسن، وعلي... يتحدثون عن تمثال الحرية في ميناء نيويورك، وعن فرنسا أم الحرية..».

تعريف أولادنا على حقيقة الصليبيين:

«وأحياناً يسألك بعض المتخاذلين أو بعض المدسوسين: وماذا نملك أن نصنع ونحن ضعفاء؟».

ماذا نصنع؟ إذا لم نستطع أن نحطم الكّف التي تمتد إلينا بالسوء، فلا يجوز أن نُقَبلها ونحن نقبل الكّف.

إذا لم نستطع أن نصنع شيئاً، فلنحتفظ على الأقل بأحقادنا المقدسة، ولنورثها أبناءنا، فقد يكونون في ظروف تمكّنهم من ردّ الجميل للرجل الأبيض!.

إن الرجل الأبيض يدوسنا بقدميه، بينما نحن نحدث أولادنا في المدارس عن حضارته ومبادئه العالمية ومثله السامية..

إننا نغرس في نفوس أبنائنا عاطفة الإعجاب والاحترام للسيد الذي يدوس كرامتنا ويستعبدنا.

فلنحاول أن نغرس بذور الكراهية والحقد والانتقام في نفوس الملايين من أبنائنا، ولنعلمهم منذ نعومة أظفارهم أن الرجل الأبيض هو عدو البشرية، وأن عليهم أن يحطموه في أول فرصة تعرض، ولنكن واثقين من أن الاستعمار الغربي سيرتجف حين يرانا نبذر هذه البذور..

«اليونسكو» لعبة إستعمارية أمريكية:

«إن هذا الاستعمار هو الذي حاول أن يغرس في نفوسنا حبه واحترامه، فلما خشي اليوم أن نستيقظ اخترع حكاية «اليونسكو» ودعا هذا «اليونسكو» إلى حذف كل ما يثير الأحقاد القومية في دراسة التاريخ، وذلك باسم الإنسانية والإخاء البشري..

وهذه لعبة استعمارية جديدة يجب أن ننتبه إليها كأننا إذا أتبعنا تعاليم اليونسكو فسنخدر كل شعور قومي ناهض. ولن يستفيد من هذا التخدير سوى الاستعمار وهذا ما تقصد إليه «هيئة اليونسكو».

إن أوروبا وأمريكا دول مستعمرة، فماذا عليها من حذف كلّ ما يثير

الأحقاد القومية في دراسة التاريخ؟ إنها تكسب بهذا ولا تخسر شيئاً. أما نحن فإن الاستعمار يخنقنا، فإذا لم ننبه شعور الحقد عليه، فقد خسرنا السلاح الأول وخسرنا المعركة كلها...».

دراسات إسلامية: ١٨١ - ١٨٥.

(٣)

إشارات في «السلام العالمي والإسلام»

من آثار التبرج والاختلاط:

«فأما التهذيب والتصريف النظيف باللقاء وبالحديث... فليسألوا عنها نسبة الحبالى من تلميذات الثانوية الأمريكية، وقد بلغت في إحدى المدن ٤٨ من المائة.[١].

وأما البيوت السعيدة بعد زواج الاختلاط المطلقِ والاختيار الكامل فليسألوا عنها نسبة البيوت المحطمة بالطلاق في أمريكا، وهي تقفز فترة بعد فترة كلما زاد الاختلاط وكلما تمّ الاختبار! وهذه النسبة المخيفة تمضي في هذه الخطوط، حسب إحصائية أمريكية صدرت في سنة ١٩٥٠ م.

التاريخ	النسبة في المائة
سنة ١٨٩٠ م	٦ ٪
سنة ١٩٠٠ م	١٠ ٪
سنة ١٩١٠ م	١٠ ٪
سنة ١٩٢٠ م	١٤ ٪
سنة ١٩٣٠ م	١٤ ٪
سنة ١٩٤٠ م	٢٠ ٪
سنة ١٩٤٦ م	٣٠ ٪
سنة ١٩٤٨ م	٤٠ ٪

(١) في إحصاء عن مدينة «دنفر» عاصمة ولاية كولورادو، وأحسب أننا ماضون في طريق دنفر بعد أن اخترنا لأنفسنا أخيراً هذا الطريق اللعين!! (سيد)

والبقية تأتي من البيوت المحطمة تحت مطارق الشهوات الجامحة، والرغبات المتقلبة، والقلق الجانح، الذي يثيره تقلب العواطف في المجتمع المتقلب، الذي تلوح فيه للأزواج والزوجات مزايا جديدة في نساء جدد ورجال، فينفلت هؤلاء إلى صيد جديد، وتتأرجح البيوت في مهاب الريح، كلّما لمح زوج أو لمحت زوجة بارقة لامعة في شخصية جديدة، كما لو كان الزوج أو كانت الزوجة قطعة أثاث أو رباط عنق أو زياً جديداً في عالم «المودات»!

الواقع الأمريكي يكذب النظريات الجاهلية:

لقد آن أن تراجع البشرية تلك النظريات الخيالية الخاوية التي تقول: إن الاختلاط تصريف جزئي ملطف نظيف. وإن التجربة تقود إلى الاختيار، وإن الاختيار طريق الاستقرار.

إنها نظريات تبدو منطقية، ولكن التجربة الواقعية، التي بلغت في أمريكا بالذات غايتها، كفيلة بأن تسخر من هذا المنطق الظاهري البراق! فَلَم يؤد الاختلاط إلى تصريف نظيف، إنما أدى إلى بهيمية كاملة تطبع النزوات الجسدية وتلبيها بلا حدّ ولا قيّد. ولم تؤدّ التجربة الكاملة والاختلاط المطلق إلى التماسك في البيوت، ولا إلى الاستقرار وثبات، إنما أدى إلى تفكك دائم، وطلاق متزايد وجوع مستمر وسعار!.

وإن التجربة الأمريكية في هذا المجال لتجبه آراء «فرويد» وأمثاله بالتكذيب، إنها لتصرخ في وجه من يريد أن يسمع، بأن الاختلاط الدائم مدعاة إلى تهيّج دائم، إما أن ينتهي إلى ذروته وغايته فينطفىء مؤقتاً ريثما يعود إلى الاشتعال، وإما أن لا ينتهي إلى هذه الغاية العملية والمادية، فيؤدي إلى الضغط العصبي وما وراءه من أمراض..

السلام العالمي والإسلام: ٧٤ ـ ٧٦.

فصل «والآن...» الذي صادرته مصر الثورية:

يقول الأستاذ يوسف العظم في كتابه عن سيد قطب «بقي هام لا بدّ من

الإشارة إليه، وهو أن السلطات المصرية في الثورة المتحررة أمرت بحذف فصل كامل من الكتاب (السلام العالمي والإسلام) عنوانه (والآن) لأنه يفضح السياسة الاستعمارية الأمريكية في المنطقة، ويكشف زيف الادعاءات الأمريكية بتقديم المعونات المالية والاقتصادية للدول النامية..».

رائد الفكر الإسلامي المعاصر: ١٦٢.

تقديم الأستاذ يوسف العظم لكلام سيد:

وبما أن الطبعات اللاحقة من كتاب «السلام العالمي والإسلام» خالية من ذلك الفصل الهام، وبما أنه مرتبط بموضوع كتابنا ارتباطاً مباشراً، لذلك سنعتمد على الأستاذ يوسف العظم في ما نقل من ذلك الفصل.

يقول في تقديمه لكلام سيد: «ولقد كان الشهيد واضحاً جريئاً فيما قدم من تحليل وتناول من كشف خطط، بحيث سلط الأضواء على السياسة الأمريكية الجديدة، المتسترة برداء المعونات للدول النامية، والسياسة السوفياتية المتلفعة بمسوح الحرص على الطبقة العاملة ومصلحة الكادحين.

وراح يعري هذه وتلك، بصورة واعية مدروسة وموضوعية مؤثرة..

ولم يقف عند حدّ كشف جرائم الاستعمار البريطاني المهترىء في كل بقعة من ديار الإسلام، كما فعل الكثيرون ممن طاردوا النفوذ البريطاني في المنطقة، بتخطيط من التوجيه الأمريكي، ودعم من نفوذ الدولار.

لقد تناول الرجل السياسة الأمريكية الجديدة بالتحليل، وعراها من كل زخرف، حتى بدت بشاعتها القائمة على أسوأ أنواع الإستعلاء والظلم والتسلط، عبر الفكر المسموم والعهر الفاضح والاقتصاد الربوي المستغل، وكشف كثيراً من المشاريع الأمريكية في المنطقة، وبين ارتباط هذه المشاريع بتجار الحروب، وبالرغبة الأمريكية الملحة في فتح أسواق لتسويق بضائعها، واستهلاك منتجاتها..».

رائد الفكر الإسلامي المعاصر: ٢٠٨.

أمريكا تأكلها الحرب:

يقول سيد قطب في الفصل المشار إليه «أن أمريكا تريد أن تحارب، ولو طاوعتها أوروبا لما صبرت عن الحرب. حتى حادث كوريا، فلقد كانت تريدها حرباً كاملة منذ أزمة برلين المعروفة، ولكن أوروبا المحطمة، كانت أعجز من أن تلبي رغبة أمريكا الملحة، وهي ماتزال تلعق جراحها، وتعالج مآسيها، فضلاً عن أن للشيوعيّة فيها قوى مذخورة تتهيأ للحظة المنظورة، وإغراء الدولار كان يملك أن يصنع كل شيء في أوروبا إلا أن يدفعها إلى حرب عالمية ثالثة... ولهذا وحده صبرت أمريكا.

المرجع السابق: ٢٠٨.

الحرب من أجل رؤوس الأموال الأمريكية:

«إن رؤوس الأموال الأمريكية في حاجة ملّحة إلى حرب جديدة. هذه هي المسألة، إن الفتوحات العلمية التي أسرعت خطاها في الحرب الماضية، والتجارة التي أفادتها الصناعة من تعبئة الموارد في أيام هذه الحرب، قد هيأت للصناعة الأمريكية فرصاً جديدةً لمضاعفة الإنتاج، في الوقت الذي أصبحت مسألة التصريف مسألة عسيرة..

ومع أن الأسواق كانت بعد الحرب خاوية، وفي حاجة ماسة إلى الإنتاج المدني وخاوية من المنافسة الأوروبية، إلا أن القدرة على الشراء كانت ضعيفة وبخاصة في أوروبا المحطمة معنى هذا هو الكساد بالقياس إلى الإنتاج الأمريكي، ومعنى الكساد هو الخسارة المؤكدة لرؤوس الأموال الأمريكية..». **المرجع السابق: ٢٠٨ ـ ٢٠٩**

مشروع «مارشال» الأمريكي وغاياته الحقيقية:

«ومن هنا كان «مشروع مارشال» وكانت لهذا المشروع غايات أساسية ثلاث:

الغاية الأولى:

كانت هي تصريف الإنتاج الأمريكي الفائض، دون أن تدفع الدول

المنتفعة به ثمنه نقداً بالدولار الأمريكي، فقد كانت الحكومة الأمريكية تفتح الاعتمادات للدول الأوروبية لتنفقها هذه الدول في شراء الإنتاج الأمريكي في الغالب.

وحقيقة أن رؤوس الأموال الأمريكية كانت تتحمل ضرائب عالية لتمكين الحكومة من تنفيذ مشروع مارشال، ولكنها مع هذه الضرائب العالية كانت تحقق ربحاً لا شك فيه بتنفيذ المشروع، وتتقي الخسارة التي تنشأ من الكساد!.

والغاية الثانية:

كانت هي اتقاء حالة التبطل بين عمال أمريكا، وما يتبع التبطل من هزات اجتماعية بعد وقف الإنتاج الحربي الذي كان يستغرق هذه الأيدي العاملة، وكان هذا يقتضي إيجاد مصرف للإنتاج المدني الذي يسمح بتشغيل المصانع إلى الحدّ الأقصى، فكان مشروع مارشال، وتغذية دول أوروبا بالآلات، هو الوسيلة لتحقيق هذا الهدف، الذي ينطوي بدوره على تحقيق نوع من الربح لرؤوس الأموال الأمريكية.

والغاية الثالثة:

كانت هي تعمير أوروبا، وإعادة سير الحياة فيها ـ وبخاصة حياة العمل ـ تحقيقــاً للنشاط الاقتصادي العلمي من ناحية، ومقاومة للشيوعية في أوساط المتعطلين من ناحية أخرى... وكان مشروع مارشال يعاون على تحقيق هذه الغاية.

المرجع السابق: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

«مارشال» أحد رجال التاريخ الأمريكي:

«ومن هنا يُعد «مارشال» صاحب هذا المشروع ـ في نظر الأمريكان ـ أحد رجال التاريخ الأمريكيين، وقد عدته مجلة «لوك» أحد «العشرين الذين

صاغوا القرن العشرين» لا في أمريكا وحدها، بل في العالم على الإطلاق..».

المرجع السابق: ٢١٠.

إنجلترا تمكر بأمريكا:

ولكن مشروع «مارشال» لم يكن يمكن امتداده إلى الأبد، فطبائع الأشياء تقتضي وقوفه عند حدّ معين، عندما تصل الأسواق الأوروبية إلى درجة التشبع من جهة، وعندما تصل أداة الإنتاج الأوروبّية إلى درجة الاكتمال من جهة أخرى «وقد استعادت أوروبا أو أوشكت أن تستعيد قدرتها الكاملة على الإنتاج، وعادت إلى الوقت الذي تصبح فيه مصدرة لا مستهلكة، ومزاحمة للإنتاج الأمريكي لا في الأسواق الأوروبّية وحدها، بل كذلك في أسواق العالم الأخرى.

عند ذلك لعبت بريطانيا لعبتها الماكرة التي استغلت فيها سذاجة العقلية الأمريكية، وقلة خبرتها الدولية. تلك هي لعبة تخفيض قيمة الجنيه الإسترليني بالنسبة لقيمة الدولار. فلقد تركت أمريكا تقدم عليها للقيمة الواقعية للدولار في الأسواق لا القيمة الرسمية، وتظاهرت بالذعر منها والإشفاق، وهي تكتم عن حليفتها نيّة أخرى.. تلك النيّة التي لم تتبينها أمريكا إلا أخيراً.

أما النتيجة فكانت هي إغلاق الأسواق في وجه البضائع الأمريكية التي أصبحت أسعارها مرتفعة بالقياس إلى العملة في منطقةِ الإسترليني. أما في سواها فقد صارت أرخص بكثير من مثيلها الأمريكاني..!».

المرجع السابق: ٢١١.

وأمريكا ترّد على المكر الإنجليزي:

«وعندما تنبهت أمريكا «أخيراً إلى هذه الخدعة، أخذت ترّد عليها باستنزاف الخامات في الأسواق العالمية، ذلك كي ترفع سعر هذه الخامات

في وجه الصناعة البريطانية، وتجعلها أقلّ قدرة على المنافسة، لأن ارتفاع ثمن الخامات يجبر الصناعة الإنجليزية على رفع أسعار المنتجات، وبذلك يقع شيء من التعادل بين الأسعار الأمريكية والأسعار الإنجليزية. وقد ارتفع سعر خامات الصوف مثلاً خمسمائة في المائة، لأن الصوف صناعة إنجليزية رئيسية. وكذلك ارتفعت أسعار معظم الخامات التي تقوم على أساس الصناعة البريطانية بتأثير هذه الخطة الأمريكية التي جاءت رداً على الخدعة البريطانية. وكان هذا سبباً في موجة الغلاء التي عمت العالم أخيراً، بجانب الأسباب الطبيعية الناشئة من الاستعداد للحرب العالمية».

المرجع السابق: ٢١١.

الشيوعية تأخذ الصين من أمريكا:

إلا أن هذا الإجراء الأمريكي لم يكن ليزيد على أنه إجراء وقتي لمواجهة هجوم معين، ولكن الحالة العامة في الأسواق بالقياس إلى استقبال الإنتاج الأمريكي لم تتأثر تأثيراً يذكر، وقد صادف ذلك صدّ كاملة باكتساح الشيوعيّة لذلك القسم الهام من أسواق العالم وهو الصين، الصين ذات الخمسمائة مليون من السكان، ربع سكان الأرض على وجه التقريب، وحقيقة أن **الصين** لم تكن سوقاً أمريكية رئيسيّة، ولكن كان المرجو بعد هزيمة اليابان أن تصبح كذلك. فلما اكتسحتها الشيوعيّة أغلق هذا المنفذ، وأحست رؤوس الأموال الأمريكية بشيء من الاختناق، كما أحست الدوائر الاجتماعية بالخطر من انتشار البطالة، وقد بلغت الأيدي المتعطلة قبيل الحرب الكورية نحو خمسة ملايين (نقصت إلى ثلاثة ملايين بعد انتهاء الحرب).

ومن هنا لم يكن بدّ لأمريكا أن تحارب. وإذا كانت الحرب الكورية قد اجتذبت نحو مليونين من الأيدي المتعطلة، فإنها لا تصلح وحدها علاجاً للموقف، ولا بدّ من حرب شاملة تجتذب جميع الأيدي العاملة من جهة، وتضمن لرؤوس الأموال أرباحاً كاملة من جهة أخرى، فالحرب بالقياس إلى

أمريكا اليوم[1] هي ضرورة قومية، فضلاً على الرغبة القوية في وقف تيار الشيوعيّة العالمية بطبيعة الحال، هذا التيار الزاحف الذي يغمر في كل يوم أرضاً جديدة ويقفل في كل يوم سوقاً جديدة.

المرجع السابق: ٢١١ ـ ٢١٢.

أوروبا وأمريكا في وجه الشيوعية:

«وإذا كانت أوروبا تتلكأ في الاستجابة لأمريكا، فتؤجلّ بهذا التلكؤ موعد نشوب الحرب المطلوبة، فإنها لن تتلكأ طويلاً، لأنها ستجد نفسها قريباً مدفوعة إلى الحرب بنفس الأسباب التي تدفع أمريكا، وفي اليوم الذي يبلغ الإنتاج الأوروبي الرأسمالي ذروته سيواجه الموقف ذاته بالنسبة إلى الأسواق. وما دامت الشيوعيّة تزحف ـ وهي لا بدّ أن تزحف ـ تملي لها تلك الأحوال الاجتماعية السيئة في معظم بلاد العالم، وفوارق الطبقات السحيقة التي تثير الحقد في الصدور، ويغذيها ذلك الجشع الغبي الذي تتمسك به الرأسمالية والإقطاعية، وبخاصةً في مناطق الشرق.. وما دامت الشيوعيّة تزحف فهي تغلق في كل يوم سوقاً جديدة في وجه الإنتاج الرأسمالي في أوروبا وأمريكا. وهنا تلتقي مصلحة رؤوس الأموال هنا وهناك في محاولة وقف هذا التيار، واسترداد الأسواق بقوة السلاح، أو على الأقل بالاستهلاك الحربي، إنتاج الأسلحة والذخائر وأدوات الموت والدمار، تلك التي تضمن للمصانع أن تعمل، ولرؤوس الأموال أن تربح وللملايين أن تموت)..

المرجع السابق: ٢١٢ ـ ٢١٣.

من وسائل أمريكا في احتواء الدول الأخرى:

«فأما الكتلة الرأسمالية بقيادة أمريكا فتستخدم عدة وسائل لهذه الغاية.

تستخدم أولاً عامل التخويف للرأسماليين في كل أنحـاء الأرض، وبخاصة في العالم العربي الإقطاعي، من الشيوعية التي تزحف يوماً بعد

(١) ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٩٥١. (سيد)

يوم، وتناشدهم المصلحة المشتركة بين الاستعمار والرأسمالية، تلجأ في ذلك إلى المحالفة الطبيعية بين الرأسمالية المحلية والرأسمالية العالمية..

وتستخدم ثانياً الضغط السياسي - والاقتصادي، وأحياناً الضغط المسلح، في البلاد الواقعة في ربقة الاستعمار المباشر وغير المباشر: كما هو الشأن في مجموعة البلاد العربية.

وتستخدم ثالثاً إغراء الدولار تحت عنوانات كثيرة، منها ذلك العنوان الجديد الذي خلف مشروع «مارشال» وهو عنوان «المساعدات الاقتصادية» وعنوان «النقطة الرابعة» في مشروع ترومان!.

وهي على العموم تخاطب الطبقات الحاكمة والمستغلة.. ولا تعتمد كثيراً على الجماهير، لأن مصالح هذه الطبقات معلقة بانتصار الكتلة الرأسمالية. وتبذل جهوداً جبارة في هذا السبيل، وإن كانت لا تريد في الوقت ذاته أن تلقي بالاً إلى مطالب الشعوب القومية، لفرط ثقتها بالطبقات الحاكمة والمستغلة، ويقينها أن هذه الطبقات لن تعادي الاستعمار عداءً حقيقياً في سبيل مطالب شعوبها القومية.. وسيظل موقفها كذلك إلى أن تتولى هذه الشعوب قضاياها بأنفسها، وتبرهن على أنها لا تستنيم لشعوذات المشعوذين من زعمائها وكبرائها، وأنها معتزمة أن تسبب للاستعمار وللجبهة الرأسمالية متاعب حقيقية، وتعرض مصالح هذه الجبهة وجيوشها لأخطار حقيقية في حالة نشوب حرب... وعندئذٍ فقط قد تفكر الرأسمالية الاستعمارية في الأنصات لصيحات هذه الشعوب...

المرجع السابق: ٢١٣ - ٢١٤.

وقد نقل الأستاذ يوسف العظم معظم فصل «والآن..» من الطبعة الثانية من كتاب «السلام العالمي والإسلام» الطبعة الثانية **١٩٥٢** صفحات: **١٥٨ - ١٦٤** باختصار ويلاحظ أن الطبعات اللاحقة - الثالثة وما بعدها - خالية من ذلك الفصل القيم.

(٤)

إشارات في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة»

تحدث سيد عن أمريكا في كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» وأورد فيه فقرات من كتابه «أمريكا التي رأيت» وأعلن عنه أنه تحت الطبع ـ وقد أشرنا إلى مصير ذلك الكتاب فيما سبق.

وبعض كلامه الذي أورده هنا أخذه من مقالاته التي نشرها في مجلة الرسالة بعنوان «أمريكا التي رأيت: في ميزان القيّم الإنسانية» ـ وقد نقلنا هذه المقالات في هذا الكتاب ـ وبعضه لم يرد في المقالات الثلاث التي أشرنا إليها...

وأورد معظم كلامه عن أمريكا في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة» في فصل «المرأة وعلاقات الجنسين» باعتبار نظرة الأمريكيين إلى المرأة وعلاقات الجنسين «سؤة» الحضارة الأمريكية والنظم الأمريكية والشعب الأمريكي.

نموذجان لنظرة الأمريكيين للجنس:

المهم هنا أن نقرر جموح النظرة إلى المرأة، وبعد انفلات أوروبا من نير الكنيسة والتصورات الكنسية، وشرودها ـ إبّان هذا ـ عن الله ومنهجه في الحياة، والفصل بين اللذة الجنسية في علاقات الجنسين وأهدافها الإنسانية ـ ثم أهدافها الحيوانية أيضاً...

«قالت لي إحدى الفتيات الأمريكيات في معهد المعلمين «جريلي كولورادو» في أثناء مناقشة عن الحياة الاجتماعية في أمريكا»:

إن مسألة العلاقة الجنسية مسألة بيولوجية بحتة، وأنتم ـ الشرقيون ـ تُعقِّدون هذه المسألة البسيطة، بإدخال العنصر الأخلاقي فيها. فالحصان والفرس، والثور والبقرة، والكبش والنعجة، والديك والفرخة، لا يفكر أحد منها في حكاية الأخلاق هذه وهو يزاول الاتصال الجنسي. ولذلك تمضي الحياة سهلة بسيطة مريحة...

وكانت إحدى المدرسات في المعهد المركزي لتعليم اللغة الإنجليزية للغرباء بمعهد ويلسون للمعلمين بواشنطن. تلقي على مجموعة من طلبة أمريكا اللاتينية - الذين يعدون في هذا المركز لتلقي الدراسة باللغة الإنجليزية - درساً في تقاليد المجتمع الأمريكي. وفي نهاية الدرس سألت طالباً من جواتيمالا عن ملاحظاته على المجتمع الأمريكي.. فقال لها: لقد لاحظت أن فتيات صغيرات في سن الرابعة عشرة وفتياناً صغاراً في سن الخامسة عشرة يزاولون علاقات جنسية كاملة.. وهذا وقت مبكر جدّ لمزاولة هذه العلاقات! وكان ردّها في حماسة: إن حياتنا على الأرض جدّ قصيرة. وليس هناك وقت لنضيعه أكثر من الرابعة عشرة...[1].

وقد اخترت هذين النموذجين بالذات من مئات الأمثلة التي شاهدتها هناك. لأن صاحبتيهما مدرستان، وتأثير المُدرِّسة في نشر مثل هذه الإيحاءات أوسع من تأثير أي شخص آخر.

الإسلام ومشكلات الحضارة: ٦٩ - ٧٠

نماذج للشذوذ الجنسي في أمريكا:

«ومع هذه الإباحية المطلقة - أو بسبب هذه الإباحية المطلقة - لم تعد العلاقات الجنسية الطبيعية المباحة الرخيصة تشبع الميول الجنسية.. فانتشر الشذوذ الجنسي بالميل إلى الجنس الآخر سواء في عالم الفتيان، أو في عالم الفتيات، ويحتوي تقريرا «كنزي» عن «السلوك الجنسي عند الرجال» «والسلوك الجنسي عند النساء» إحصاءات دقيقة وعجيبة عن هذا الشذوذ.»

«وأذكر - بقدر ما يسمح به الحياء وأدب الكتابة - مشاهدة شخصية في أحد فنادق واشنطن:

كنت مع زميل مصري ننزل في هذا الفندق - بعد وصولنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بيومين اثنين - وقد أنس إلينا عامل المصعد الزنجي - لأننا أقرب إلى لونه، ولأننا لا نحتقر الملونين - فجعل يعرض علينا «خدماته» في

---

(١) من كتاب «أمريكا التي رأيت...» (سيد).

«الترفيه». . ويذكر «عينات» من هذا الترفيه. بما فيها «الشذوذات» المختلفة. .

وفي أثناء العرض جعل يقص علينا كثيراً ما يكون في إحدى الحجرات «زوج» من الفتيان أو الفتيات. . ثم يطلبان إليه أن يدخل إليهما زجاجة «كوكا كولا» دون تغيير لوضعهما عند دخوله!!!. . .

ولما بدا علينا الاشمئزاز والاستغراب، وقلنا له: أما يخجلان؟

أجاب بدوره متعجباً لا شمئزازنا وتعجبنا وسؤالنا عن الخجل:

لماذا؟ إنهما يرضيان ميولهما الخاصة، ويمتعان أنفسهما. .

وعلمت فيما بعد - من المشاهدات الكثيرة - أن المجتمع الأمريكي لا يستنكر على إنسان أن يرضي ذاته بالشكل الذي يروق له. طالما ليس هناك إكراه. . . ومن ثم فلا جريمة. حتى فيما لا يزال القانون - على الورق - يعده جريمة[1].

والحال في أوروبا - وبخاصة في بلاد الشمال - لا يفترق كثيراً عن الحال في أمريكا، أما أثر الانحلال في حياة المجتمع، وفي «تدمير الإنسان» وتحطيم المجتمع الإنساني» وفي تهديد الحضارة الإنسانية الراهنة بالانزواء» كما انزوت حضارة الرومان القديمة. . فسنتحدث عنه في فصل تال. .»).

الإسلام ومشكلات الحضارة: ٧٠ - ٧١

الكنيسة تفقد سلطانها في أمريكا:

«والكنيسة! ما شأنها مع هذا الانحلال الجارف؟ ورجال الدين ما شأنهم مع المجتمع الجديد؟

إن كثيرين ممن لم يعيشوا بعض الوقت في أوروبا أو أمريكا - أو ممن عاشوا هناك ولكنهم لم يتعمقوا وراء الظواهر - كثيراً ما تخدعهم كثرة الكنائس وانتشارها - وبخاصةً في الولايات المتحدة - حيث تقوم في البلد الصغير

(١) من كتاب «أمريكا التي رأيت». . (سيد)

الذي لا يتجاوز تعداده عشرة آلاف نسمة أكثر من عشرين كنيسة أحياناً. . . . وكثيراً ما تخدعهم كثرة مظاهر الاحتفالات الدينيّة والمراسم والأعياد الدينيّة. . وكثيراً ما تخدعهم كثرة الأحزاب التي تحمل أسماء «المسيحيّة». . ثم كثيراً ما يخدعهم ما يكتبه ويذيعه رجال الدين من مكتب ومقالات وبحوث وإذاعات في موضوعات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية البحتة أحياناً. .

كثيراً ما يخدعهم هذا كله، فيحسبون أن للدين شأناً في أوروبا وأمريكا. وأن لرجال الدين أثراً في الحياة الاجتماعية هناك. . وهذه نظرة سطحية لا تدرك حقيقة ما هو واقع هناك».

المرجع السابق: ٧١

سيد ينقل كلامه في مجلة الرسالة:

بعدما أورد كلاماً مطولاً من كتاب «الحجاب» لأبي الأعلى المودودي، وكتاب «الإسلام على مفترق الطرق» للأستاذ محمد أسد عن نظرة الجاهلية - على مدار التاريخ - إلى المرأة والعلاقات بين الجنسين، والانحلال البشع الذي تزاوله. عرج على الجاهلية المادية المعاصرة، وبيّن انحلالها «وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» عن فقدان الكنيسة لسلطانها في بلاد الغرب، وعن عبادة الغرب للمادية بدل عبادة الله. وعن مشاركة الكنيسة للشعب هناك انحلاله. . .

قال بعد ذلك: «لا بأس - بعد رسم هذه الصورة بقلم الكاتبين الواعيين (محمد أسد وأبو الحسن الندوي» أن أضيف إليها فقرة مما كتبته عن مشاهداتي الخاصة في كتاب أمريكا التي رأيت[1] عن موضوع الكنيسة والمجتمع بالذات، في مسألة المرأة والعلاقات بين الجنسين. . فقد يزيد في جلاء الوهم الذي يراود الزائرين العابرين، أو المخدوعين في المظاهر والعناوين. . .: ٧٥.

(١) تحت الطبع. (سيد)

ثم أورد كلامه بالنص الذي سبق له نشره في المقالة الثانية من مقالاته الثلاث في مجلة الرسالة عن أمريكا. والذي يسجل فيه ظاهرة كثرة الكنائس في أمريكا، وعن ابتعاد الأمريكي عن الشعور الحقيقي بالدين رغم كثرة الكنائس، وعن كون الكنائس هناك مكاناً لكل شيء إلا العبادة، وعن أندية الكنائس وانحلالها، وعن نماذج من برامج الكنائس هناك. وعن مشاهداته الخاصة لحفلة ماجنة إباحية في إحدى كنائس كولورادو، ورقص الفتيات والفتيان في ساحة الرقص في الكنيسة على أنغام وكلمات أغنية ماجنة وضعها «الأب» ثم غادر الكنيسة فرحاً مسروراً، وعن نماذج من «توظيف» الآباء هناك لفتيات ماجنات لاصطياد الشباب إلى الكنائس... وقد سبق لنا نقل كلامه كاملاً فيما سبق فلا داعي لإعادته هنـا....[1].

أمريكيون لا يصلحون للخدمة:

أشار إلى انحلال الشباب الأمريكي، ودفعهم «ثمن» الترف والانحراف والإباحية، بقوله: «ومثل هذه الظاهرة أخذت تتجلى في الشباب الأمريكي. فقد أعلن رئيس الولايات المتحدة أن أكثر من مليوني شاب أمريكي لم يصلحوا للخدمة العسكرية، من بين ستة ملايين تقدموا للتجنيد. وعزا ذلك إلى ضعف بنيّة الشعب الأمريكي بصفة عامة، نتيجة لحياة الترف التي انغمس فيها...».

المرجع السابق: ١٣٦ حاشية.

(٥)

إشارات في كتاب «معالم في الطريق»

سيد يهاجم أمريكا:

انطلاقاً من استعلاء سيد قطب بإيمانه، وشعوره بالعزة والكرامة، وأنه على الحق، وأن الجاهلية تأخر وانحطاط ورجعيّة وانتكاس، مهما ملكت من

---

(١) انظر الفصل الأول من القسم الثاني من هذا الكتاب. الحلقة الثانية. عناوين: كنائس بدون =

القوى المادية والإمكانيات الدنيويّة.. كان يهاجم أمريكا، ويفند نظمها، ويعري مناهجها، ويتحدث عن نقائصها ومبادلها وانحطاطها، ويبيّن عظمة الإسلام وسموه وفضله وحاجة الإنسانية إليه:

«إنه إذا كان هناك من يحتاج للدفاع والتبرير والاعتزاز فليس هو الذي يقدم الإسلام للناس. وإنما هو ذاك الذي يحيا في هذه الجاهلية المهلهلة المليئة بالمناقضات وبالنقائص والعيوب، ويريد أن يتلمس المبررات للجاهلية. وهؤلاء هم الذين يهاجمون الإسلام، ويُلجئون بعض محبيه الذين يجهلون حقيقته إلى الدفاع عنه، كأنه معهم مضّطر للدفاع عن نفسه في قفص الاتهام».

بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام ـ في أمريكا في السنوات التي قضيتها هناك ـ وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير.. وكنت على العكس، أتخذ موقف المهاجم للجاهليـة الغربيّة.. سواء في معتقداتها الدينيّة المهلهلة، أو في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية المؤذية.. هذه التصورات عن الأقانيم وعن الخطيئة وعن الفداء، وهي لا تستقيم في عقل ولا ضمير.. وهذه الرأسمالية باحتكارها ورباها وما فيها من بشاعة كالحة.. وهذه الفردية الأثرة التي ينعدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون.. وهذا التصور المادي التافه الجاف للحياة. وحرية البهائم التي يسمونها (حرية الاختلاط).. وسوق الرقيق التي يسمونها (حرية المرأة).. والسخف والحرج والتكلف المضاد لواقع الحياة في نظم الزواج والطلاق والتفريق العنصري الحاد الخبيث.... ثم ... ما في الإسلام من منطق وسمو وإنسانيّة وبشاشة، وتطلُّع إلى آفاق تظلع البشرية دونها ولا تبلغها، ومن مواجهة الواقع في الوقت ذاته، ومعالجته معالجة تقوم على قواعد الفطرة الإنسانية السليمة.

= حياة. كنائس للهو والتسلية. أندية الكنائس ودعايتها. برنامج حفلة كنيسة ليلة حمراء كنيسة القساوسة وصائدات الرجال. الغاية عندهم تبرر الوسيلة... وقارن ذلك مع كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة» ٧٥ ـ ٧٩.

وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة البشرية.. وهي حقائق كانت تُخجل أصحابها حين تُعرض في ضوء الإسلام.. ولكن ناساً - يدَّعون الإسلام - ينهزمون أمام ذلك النتن الذي تعيش فيه الجاهلية، حتى ليلتمسون للإسلام مشابهات في هذا الركام المضطرب والبائس في الغرب. وفي تلك الشناعة المادية البشعة في الشرق أيضاً!...

معالم في الطريق: ٢١٥ - ٢١٦ دار دمشق.

(٦)

أمريكا والعالم العربي بمنظار سيد قطب

كان سيد قطب يدرك اهتمام أمريكا بالعالم العربي، وحرصها على احتوائه والسيطرة عليه، وتخطيطها لأن يبقى - بدوله وحكامه - تابعاً لها، ووقوفها في وجه كل شخص أو جماعة أو محاولة تهدف لأبعاد أمريكا عنه، ورسمها للأدوار والأحداث والحوادث والوقائع التي تضمن ذلك، وإعدادها للمسرحيات والممثلين من زعمائه الذين ينفذون كل ذلك... كان سيد قطب يدرك هذا كله، وينظر في الأحداث المختلفة التي تمرّ بالعالم العربي بهذا المنظار ويحلّلها على هذا الضوء، ويرى الخيوط الخفية، والخطوط الدقيقة التي تربط ما بين هذه الأحداث وبين شياطين أمريكا... ويعرض هذا على زواره وجلسائه وإخوانه، ويجعله مادة الحديث والحوار في مجالسه ولقاءاته...

ونكتفي بمثال على ذلك.. وهو لقاء سيد قطب مع الأخ حافظ الشيخ - عضو اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في السودان، الذي زار القاهرة مع وفد من اتحاد الطلاب لحضور اجتماع تمهيدي لتأسيس اتحاد عام للطلاب العرب في الفترة التي أفرج فيها عن سيد قطب عام ٦٤ و ١٩٦٥ - ويخبرنا الأخ حافظ الشيخ عن الحديث الذي جرى بينه وبين قطب عندما زاره في منزله بحلوان...

تلقانـا الشهيد بالبشر والترحاب، وأقبل علينا في وداعة ومودّة، وأجلسنا منه قريباً قريباً.. وعلم أني قادم من السودان فقال: كنت أقرأ عن أخبار السودان منذ أيام في صحفنا، ولكنها صحف هذه الجاهلية، وسألني عن مجريات الأحداث، وكلمته عن المعركة الانتخابية القادمة، وعن نشـاط الشيوعيين بالسودان ونشاط جبهة الميثاق الإسلامي. فقال لا تنزعجوا لنشاط الشيوعيين فيشغلكم عن العمل. إن الشيوعيّة لا يمكن أن تنتصر من الطريق الديمقراطي، لأنه ليست لها جذور في السودان، ولكن الخطر أن يلجأ الشيوعييون إلى نظام شيوعي بالقوة، فالخطر في الجيش!!. ولكن حتى إذا أفلح الجيش في القيام بانقلاب، وأقام الشيوعييون نظامهم فإنه لن يستمر طويلاً!! لأن الأمريكان حريصون ألا يقوم في الشرق العربي نظام شيوعي، وهم أصحاب النفوذ في المنطقة!!.

ثم ضرب مثلاً بسوريا فقال: إن سوريا كادت تصبح شيوعية، فدبروا لها الوحدة مع مصر، مع أنها تتنافى مع المخطط الصهيوني في المنطقة، فتمت الوحدة بين مصر وسوريا لغرض معين وهو القضاء على الشيوعيّة، وانتهت بمجرد أدائها الغرض... فهو يعتقد أن الوحدة كانت مخططاً أمريكياً لتحقيق غرض مخصوص، ولم يكن جمال عبد الناصر إلا أداة لتنفيذ ذلك المخطط...

ثم قال الشهيد: إن الخطر الحقيقي هو خطر الصهيونية والأمريكان، وهم الذين يبسطون نفوذهم على منطقة الشرق، والأمريكان لا يرضون بأي نظام أقل من الدكتاتورية العسكرية الصارمة عن طريق الانقلابات.. وقد كانت لكم تجربة مع الدكتاتورية العسكرية.. ويجب ألا تلهيكم الفرحة بالديمقراطية عن تذكير الناس دائماً بمساوىء الدكتاتورية العسكرية حتى يقلل ذلك من فرص أي انقلاب عسكري لصالح الأمريكان أو الشيوعيين.

وحينما حدثته عن إقبال الناس على جبهة الميثاق الإسلامي قال: يجب ألا يشغلكم إقبال الجماهير عن تنظيم صفوفكم الداخلية، وإعداد رجال

يواجهون الشدائد، ويثبتون عند المحن، فإنها آتية بلا ريب، ولا بدّ دون النصر من الابتلاء...

كتاب «الشهيد سيد قطب» نشر جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب: ٩٠ - ٩١ نقلاً عن جريدة «الميثاق الإسلامي» السودانية عدد: ٣٢٤ تاريخ ١٦/٩/١٩٦٦م.

(٧)

عملاء أمريكا في العالم العربي في شعر سيد قطب

هبل..... هبل
هبل هبل.. رمز السخافة والدجل
من بعد ما اندثرت على أيدي الأُباة
عادت إلينا اليوم في ثوب الطغاة
تتنشق البحخور تحرقه أساطير النفاق
من قُيدت بالأسر في قيد الخنا والارتزاق
وثن يقود جموعهم....... يا للخجل
هبل.... هبل
رمز السخافة والجهالة والدجل
لا تسألَنْ يا صاحبي تلك الجموع
لمن التعبد والمثوبة.... والخضوع
دعها فما هي غير خرفان القطيع
معبودها صنم يراه العم سام
وتكفل الدولار كي يضفي عليه الاحترام
وسعى القطيعُ غباوة... يا للبطل
هبل... هبل
رمز الخيانة والجهالة والسخافة والدجل
هتافة التهريج ما ملوا الثناء
زعموا له ما ليس عند الأنبياء

مَلَك تجلبب بالضياء وجاء من كبد السماء
هو فاتح... هو عبقري ملهم
هو مرسَل... هو عالم ومعلم
ومن الجهالة ما قتل
هبل... هبل
رمز الخيانة والعمالة والدجل
صيغت له الأمجاد زائفة فصدقها الغبي
واستنكر الكذب الصراح ورده الحر الأبي
لكنما الأحرار في هذا الزمان هم القليل
فليدخلوا السجن الرهيب ويصبروا الصبر الجميل
وليشهدوا أقسى رواية.. فلكل طاغية نهاية
ولكل مخلوق أجل..
هبل... هبل.. هبل.. هبل

مجموعة «لحن الكفاح»: ١١ - ١٤.

الخاتمة

بهذا ينتهي ما قدر الله له أن يكون ضمن هذا الكتاب، والحمد لله على توفيقه وإنعامه. . . وبهذا يقف القارىء الكريم على معلومات صحيحة ودقيقة عن أمريكا والحياة فيها، وعن قيمها ومبادئها. حتى تتفتح عينه على الواقع الأمريكي، فلا يخدع بزخرفته، ولا يتأثر بدعايته، ويقومه بالقيمة التي لا تخطىء، وبالميزان الذي لا يخدع. .

وبهذا يقف القارىء الكريم على مقدار الخطر الأمريكي الماحق الذي يحيط بالأمة الإسلامية، إن هي أسلمت قيادها وأمرها إلى هذا الشعب الأمريكي - وهذا هو رصيده من القيّم والأخلاق - وإلى الدولة الأمريكية - وهذا هو رصيدها من المبادىء والمثل - وإلى المضارة الأمريكية الجاهلية - وهذا هو ما تساويه في عالم الدول وما تضيفه إلى رصيد البشرية - وبذلك يتحقق لنا مقدار الخسارة التي تدفعها الأمة إذا استسلمت لأمريكا، وأصبحت ذلولاً لها. ويحق لنا أن نشارك سيد قطب إشفاقه على الإنسانية عموماً، وعلى الأمة الإسلامية خصوصاً إذا آلت قيادتها إلى أمريكا - وهذا هو رصيدها -.

وإننا نرى في أيامنا هذه - في أواسط الثمانينيات - صدق كلام سيد، وصدق وصحة تحليلاته، وصدق وعمق نظراته، وصدق وحرارة إشفاقه. . بعد أن استسلم أناس كثيرون لأمريكا، وبعد أن أصبحت تصول وتجول في عالمنا الإسلامي، تبشر بحضارتها ومبادئها، وتنشر دعايتها وزخارفها، وتصنع رجالها وعملاءها، وتسلمهم مقاليد الأمور في البلدان، وتصوغ لهم

الأمجاد الزائفة والبطولات المدعاة، وتصطنع معهم الخلافات والمشكلات الموهومة ذراً للرماد في العيون . لينخدع بذلك السذج من الجماهير والجموع المستغفلة، وتهيمن أمريكا ـ بمخابراتها ورجالها وعملائها ـ على مختلف نواحي الحياة في عالمنا الإسلامي، السياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية والفنية، وتنتشر بيننا مناهج التعليم الأمريكية، وقيم الحياة الأمريكية، والموارد الاستهلاكية الأمريكية، والخداع والنفاق والانتهازية السياسية الأمريكية، وتغزونا المجلات والمؤلفات والمسلسلات والمسرحيات والأفلام والأغاني والرقصات والموسيقى. . . الأمريكية. . .

وصارت الأمة المنكوبة تدفع ثمن الغزو الأمريكي الشامل باهظاً، تدفعه من وجودها وعزتها وكرامتها، تدفعه من أخلاقها ومبادئها ونظمها، تدفعه من دينها وعرضها وحياتها، تدفعه من طاقاتها ومدخراتها، تدفعه من أوقاتها وأعمارها، تدفعه من حيويتها وشبابها وشاباتها، تدفعه من أموالها وكنوزها وخيراتها. . وتستبدل الذي هو أدنى ـ من أمريكا ـ بالذي هو خير ـ من منهج الله ودينه وشريعته ـ وهي راضية لأنها مخدرة مضبوعة. سكرى لا تكاد تفيق. .

ويبقى في الساحة رجال من رجال الله، وجنود من جنوده، استعصوا على الانقياد لأمريكا وعملائها، واستعلوا بإيمانهم، وفتحوا عيونهم الإسلامية واسعة، واستعملوا المنظار القرآني الصادق بتفوق، واستيقظوا وسط الأمة المخدرة المضبوعة المستسلمة. . . وراحوا يوقظونها ويفتحون عيونها، ويضعون أيديها على حقيقة الأمر. . وتنبهت أمريكا لخطر هؤلاء على مخططاتها ومستقبلها في المنطقة، بل على وجودها وقيادتها الشيطانية للبشرية، فأوعزت إلى عملائها وأذنابها بالتصدي لهم، واستخدام كافة الأساليب الشيطانية ـ من ترغيب وترهيب، وابتلاء بالمحنة وبالنعمة، وبالمغازلة والمعاداة لاحتوائهم وإسكاتهم، أو القضاء عليهم واجتثاثهم. . . ويخرج هؤلاء الجنود الأبرار من كل محنة أو ابتلاء أقوى عوداً وأثبت وجوداً. . والحرب سجال. . ولكن يعلم كل مؤمن بأن أمريكا وعملاءها لا

تحارب هؤلاء في الحقيقة، وإنما تحارب الله ـ سبحانه ـ وتحاول أن تمنع إرادته، وأن تقف في وجه أمره وقضائه... وعاقبة من يحارب الله وإرادته معروفة في التاريخ الإنساني كله... ويمكرون ويمكـر الله، والله خير الماكرين...

إن كل جندي كريم من جنود الله سبحانه يقرأ هذا الكتاب، يعرف الكثير عن عدوه اللدود، يعرفه على حقيقته وعلى قزامته وعلى ضآلته، بدون انتعاش أو استعراض أو رتوش... وإن كل جندي كريم من جنود الله يقرأ هذا الكتاب سيقف على موهبة جديدة من مواهب سيد قطب، موهبة عمق ونفاذ النظرات الإيمانية، وصحة صـدق التحليلات الإيمانيـة، وصوابيـة الأحكام والنتائج، وصدق الفراسة الإيمانية التي ينظر من خلالها بنور الله، فيحذر من الأخطار الوشيكة، ويكشف منحنيات الطريق الخطرة، ويشير إلى الشياطين الذين يكمنون في تلك المنحنيات...

فرحم الله سيد قطب، وجزاه عن دينه ورجاله وجنوده ودعوته خير الجزاء، وتقبل الله منه عمله وكلامه، وجهده وجهاده، وجعله في ميزان حسناته...

ونحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسر وأعان على إتمام هذا الكتاب، ونبرأ إلى الله من كل حول وطول، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونعوذ بالله من فتنة القول والعمل، ونسأله أن ينفع بهذا الكتاب واضعه وجامعه وناشره وقارءه...

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المراجع

أولاً الكتب:

١ ـ **الإسلام ومشكلات الحضارة**: لسيد قطب، بدون تاريخ أو ناشر.

٢ ـ **دراسات إسلامية**: لسيد قطب، دار الشروق ـ بدون تاريخ.

٣ ـ **رائد الفكر الإسلامي المعاصر**: الشهيد سيد قطب، ليوسف العظم، دار القلم ـ الطبعة الأولى: ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠.

٤ ـ **السلام العالمي والإسلام**: لسيد قطب، دار الشروق ـ الطبعة السادسة ١٩٧٤.

٥ ـ **سيد قطب الأديب الناقد**: لعبد الله الخباص، مكتبة المنار ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٦ ـ **سيد قطب الشهيد الحي**: لصلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ ـ ١٩٨١.

٧ ـ **الشهيد سيد قطب**: نشر جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب بدون تاريخ أو ناشر.

٨ ـ **في ظلال القرآن**: لسيد قطب، دار الشروق ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٧.

٩ ـ **لحن الكفاح**: لسيد قطب وهاشم الرفاعي، مجموعة شعرية بدون تاريخ أو ناشر.

١٠ ـ **معالم في الطريق**: لسيد قطب، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ـ بدون تاريخ.

١١ ـ **معركة الإسلام والرأسمالية**: لسيد قطب، الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٩.

ثانياً: المجلات

١٢ ـ **آفاق إسلامية**: نشرة غير دورية يصدرها الإخوان المسلمون في الأردن.

١٣ ـ **الثقافة**: المجلد الثامن: السنة الرابعة ـ عدد: ٤٧ تاريخ أغسطس ١٩٧٧.

١٤ ـ **الرأي الأردنية**: عدد: ٥٠٢٦ تاريخ ١٦ آذار ١٩٨٤.

١٥ ـ **الرسالة**: السنة الرابعة عشرة، المجلد الثاني عدد: ٦٩٤ تاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٤٦.

١٦ ـ **الراسلة**: السنة السادسة عشرة المجلد الثاني. عدد: ٧٩٠ تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٨.

١٧ ـ **الرسالة**: السنة السابعة عشرة، المجلد الأول، عدد: ٨٢ تاريخ ٩ مايو ١٩٤٩.

١٨ ـ **الرسالة**: السنة السابعة عشرة، المجلد الأول، عدد: ٨٢٨ تاريخ ١٦ مايو ١٩٤٩.

١٩ ـ **الرسالة**: السنة الثامنة عشرة، المجلد الأول، عدد: ٨٧٧ تاريخ ٢٤ أبريل ١٩٥٠.

٢٠ ـ **الرسالة**: السنة الثامنة عشرة، المجلد الثاني عدد: ٨٨٧ تاريخ ٣ يوليو ١٩٥٠.

٢١ ـ **الرسالة**: السنة الثامنة عشرة، المجلد الثاني، عدد: ٨٩١ تاريخ ٣١ يوليو ١٩٥٠.

٢٢ ـ **الرسالة**: السنة الثامنة عشرة، المجلد الثاني، عدد: ٨٩٤ تاريخ ٢١ أغسطس ١٩٥٠.

٢٣ـ **الرسالة**: السنة التاسعة عشرة، المجلد الأول، عدد: ٩٤٣ تاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥١.

٢٤ ـ **الرسالة**: السنة التاسعة عشرة المجلد الثاني عدد: ٩٥٧ تاريخ ٥ نوفمبر ١٩٥١.

٢٥ ـ **الرسالة**: السنة التاسعة عشرة المجلد الثاني. عدد ٩٥٩ تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥١.

٢٦ ـ **الرسالة**: السنة التاسعة عشرة، المجلد الثاني: عدد: ٩٦١ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١.

٢٧ - **الرسالة** السنة العشرون، المجلد الأول، عدد: **٩٩١** تاريخ **١٩٥٢**.

٢٨ - **الرسالة**: السنة العشرون، المجلد الأول، عدد: **٩٩٥** تاريخ **٢٨** يـوليو **١٩٥٢**.

٢٩ - **الرسالة**: السنة العشرون، المجلد الثاني، عدد: **١٠٠٩** تاريخ **٣** نوفمبر **١٩٥٢**.

٣٠ - **الشهاب**: السنة السادسة، العدد التاسع، أيلول **١٩٧٢**.

٣١ - **الغرباء**: السنة الثانية عشرة، العدد الثالث، سبتمبر **١٩٧٥**.

٣٢ - **الكاتب**: السنة الرابعة، العدد: **٥٤** تاريخ سبتمبر **١٩٦٥**.

٣٣ - **الكاتب**: السنة الخامسة عشرة عدد: **١٧٣** تاريخ أغسطس **١٩٧٥**.

٣٤ - **الكتاب**: المجلد الثامن، الجزء العاشر، ديسمبر: **١٩٤٩**.

٣٥ - **الكتاب**: المجلد التاسع، الجزء الرابع، أبريل **١٩٥٠**.

٣٦ - **الكتاب**: المجلد التاسع، الجزء الخامس، مايو **١٩٥٠**.

٣٧ - **الكتاب**: المجلد التاسع، الجزء السادس، يونيو **١٩٥٠**.

٣٨ - **الكتاب**: المجلد العاشر، الجزء الرابع، أبريل **١٩٥١**.

الفهرس

الفصل الثالث: كلام سيد قطب عن أمريكا

القسم الثاني: النصوص

الفصل الأول: مقالات سيد قطب عن أمريكا

الفصل الثاني: إشارات سيد قطب في المجلات عن أمريكا

الفصل الثالث: إشارات سيد قطب في الظلال عن أمريكا

الفصل الرابع: إشارات سيد قطب في كتبه الإسلامية عن أمريكا

من وسائل أمريكا في احتواء الدول الأخرى ١٩٢